محمد أحمد الغباشى
كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر

العقل في القرآن والإنجيل والتوراة

مركز التنوير الإسلامي
للخدمات المعرفية والنشر



قال الله- تعالى- فى كتابه الكريم :-

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

[سورة آل عمران آية ١٩٠ ، ١٩١]

قال رسول الله ﷺ :-

«مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماءا ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »

أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى موسى الأشعرى

كتاب العلم . باب فضل من علم وتعلم

سبحانك اللهم خير معلم ... علمت بالقلم القرون الأولى

أخرجت هذا العقل من ظلماته ... وهديته النور المبين سبيلاً

أرسلت بالتوراة موسى مرشدًا ... وابن البتول فعلم الإنجيلا

وفجرت ينبوع البيان محمدا ... فسقى الحديث وناول التنزيلا (١)

(شعر أحمد شوقى أمير الشعراء)

(١) الشوقيات -أحمد شوقى . قصيدة قم للمعلم وفه التبجيلا ج١ ص١٦٩ ط. مكتبة مصر .

ذي الحجة ١٤٢٦هـ – يناير ٢٠٠٦ ص(*)

اسم الكتاب : العقل في القرآن والإنجيل والتوراة
المـــــؤلف : د. محمد أحمد الغباشي
تصميم الغلاف : د. إسلام أحمد عبد الله
الإخراج الفني : أ. وليد عبد الرحمن

الناشــــر : مركز التنوير الإسلامي
عنوان المراسلة : القاهرة–كوبري القبة ـــ ١٠١شارع القائد
البريد الإليكتروني : abuislam_a@hotmail.com
الهاتف : ٤٨٤٤٦٠٤ ــ ٤٨٥٧٥٧٣القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣٠٩٠
الترقيم الدولي : ٣-٩٩-٠-٢٨٩-٩٧٧

(*) استخدمت حرف (ص) بمعنى: إشارة إلى التقويم الصليبي المعروف خطأ بالتقويم الميلادي، وفي داخل الكتاب استخدمت حرف (غ) بدلاً من حرف (ص) إشارة إلى التقويم الغربي الصليبي، خشية الخلط بين حرف (ص) الذي يشير إلى كلمة صفحة.

تقديم

أبو إسلام أحمد عبد الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية وخاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإني أحمد الله تعالى كثيراً أن رزقني العمر الذي أنعم فيه عليّ قبل مماتي بمثل هذا الشباب الذي يمكن أن تقتدي به الأجيال ، وأن يكون راعياً لأبناء يتعلمون منه وينهلون من علمه .

الابن والأخ والباحث النابه الشيخ الدكتور محمد أحمد الغباشي ، نوع من شباب الأمة الذي يؤكد دوام خيريتها ويرد إلينا البشرى بأن الإسلام آت بمشيئة الله وقريباً، ولا أزكيه على الله .

لقد أحببت الدكتور محمد كإنسان أولاً ، فكان عطاؤه قريباً إلى نفسي وإلى قلبي ، وإذا كانوا قد درّسوا لنا في الجامعة أن الأعمال العلمية لا تخضع للعواطف ، فإن ما قالوه لم يعد مقدساً لي كما كان من قبل ، وأدركت أن ضوابط الإسلام هي الأقدس ، وأن الحب في الله والعاطفة الإسلامية تبث في العمل العلمي ما قد يكون العمل خالياً منه ، وأن المناهج العلمية ليست ثوابت إنما هي (صنعة) صانع من البشر ، وطريقة تفكير ترتبط بالزمان والمكان ، وأن مناهج الكتابة المعتمدة في الجامعات المصرية ، تختلف عنها في بلاد الخليج ، تختلف عنها في بلاد المغرب ، واكتشفت أن كل بيئة فكرية ومنهجية هي أسيرة انتمائها الفكري الغربي ، فهذا قبلته فرنسا ، وهذا قبلته انجلترا ، وهذا قبلته أمريكا ، وذاك قبلته ألمانيا ، وهكذا ، أما نحن فلا قبلة لنا غير مكة المكرمة ، في هدي صاحبها نحيا وعلى هدي صاحبها نموت صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

في هذه الدراسة التي هي في الأصل دراسة الماجستير للدكتور محمد الغباشي ، نصحب عقلاً مرتباً ، ورؤية جلية ، وصفاءً ذهنياً ، في رحلة من أشق وأصعب الرحلات التي شطحت قديماً بعشرات الفلاسفة والمفكرين وأهل الرأي ، وهي الغوص في دائرة العقل وقضاياه .

فإذا ما كانت قضية العقل هنا متعلقة بالديانات الثلاث الكبرى ، كان الأمر أكثر تعقيداً وأشد شائكية ، واحتاج قدراً كبيراً من الدقة والذكاء ، ورغم ذلك كانت الرحلة في هذه الدراسة سهلة وممتعة ، على غير ما تعودنا مع مثل هذه القضايا ، وتلك نعمة وهبها الله عز وجل صاحب الدراسة ، لينتهي في خاتمتها إلى عدة نتائج وجدت على غير ما يذهب أصحاب المناهج الغربية ، أن أذكرها في هذا التقديم ، ليعلم القارئ منذ البداية ، محطة النهاية التي سوف ينتهي إليها الباحث بمشيئة الله ، وهي بتصرف مني :

القرآن والعقل

ـــ إن القرآن الكريم أنزل العقل البشري منزلة عظيمة ، اقتضت منه حتمية التسليم بوحدانية الله ويكون تعطيل العقل عن أداء مهمته هو تعطيل للمقتضى ، ومن أشكال التعطيل ، انتهاك حرمة العقل بإفساده أو تبديل مهمته أو أسره ومحاصرته ، لذلك شهدت آياته بالتوافق مع حقائق العلم التي توصل إليها العقل ووصل فيها إلى درجة اليقين ، وإذا تناقض مفهوم العقل للعلم مع حقائق القرآن ، فالفساد يكون في العقل ، وبذلك يتحقق التوافق بين تعاليم القرآن من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وبين حاجات العقل وغاياته ، فإن تنازعت لزم تقويم العقل ليستقيم مع القرآن .

البشارات (الإنجيل) والعقل

ـــ تناقضت البشارات في موقفها من العقل ، وبدت فيها الحيرة بين الذم والمدح مع غياب الضوابط الملزمة للعقل ليكون متسقاً مع مقتضى خلق الله للإنسان بأن يعبده ولا يشرك به شيئاً ومن أوضح صور التناقض ، موقفها من أخطر عوامل التعطيل والإفساد وهي الخمر ، فحيناً يمقتها ويحذر منها ، وحيناً يوصي بها ويجعل صناعتها أول معجزات الرب ويثني على جودتها .

ـــ ولأن هذا الكتاب هو من صنع البشر ، فقد توافقت بعض نصوصه مع العقل ، وخاصمته نصوص أخرى بلغت مبلغ الاصطدام ، فاستحال القول بانسجام تعاليم هذا الكتاب مع العقل البشري ، بل كان منافياً لمقتضى خلق الله عز وجل للإنسان وعقله .

الأسفار (التوراة) والعقل

ـــ مثل كتاب البشارات ، تناقض موقف الأسفار مع العقل ، فمدحت العقل في بعض النصوص ونقصت من قيمته في نصوص أخرى ، ولم يكن موقفها من الخمر المعطل للعقل ، ومن العلم المعبر عن سلامة العقل ، بأفضل مما كان في البشارات ، فالذي وقعت فيه تاريخية الأسفار ومؤلفيها ، هو ذاته الذي وقعت فيه كتب الأسفار ، من التأليف والحذف والإضافة والتعديل والتنقيح وفقاً للطائفية والعنصرية والانتماء العقدي والصراعات المذهبية لكل من أتباع المعتقدين ، فاستحال القول باتفاق تعاليم النصوص مع مقتضى خلق العقل عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

فاللهم تقبل واحتسب .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ولا فهم لنا إلا ما فهمتنا إنك أنت الجواد الكريم . نبرأ إليك من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

((اللهم هيئ لنا الخير واعزم لنا على الرشد وآتنا من لدنك رحمة واكتب لنا السلامة فى الرأى وجنبنا فتنة الشيطان أن يقوى بها فنضعف أو نضعف لها فيقوى ولا تدعنا من كوكب هداية منك فى كل ظلمة شك منا واعصمنا أن تكون آراؤنا فى الحق البين مكان الليل من نهاره أو تنزل ظنوننا من اليقين النير منزلة الدخان من ناره نسألك بوجهك ونتوسل إليك بحمدك وندعوك بأفئدة عرفتك حين كذب غيرها فاقرأت وآمنت بك فزلزل غيرها واستقرت))[1]

وبعد فإن العقل من أعظم المنح التى أعطاها الله -تبارك وتعالى- للإنسان حيث كرمه بها وميزه فصار المخلوق المكرم قال الله تعالى :- ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر و البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[2]

كما أن العقل هو مناط التكليف فهو الأساس الذى ينبنى عليه تكليف الإنسان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ والصبى حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل ﴾[3].

هذا والناظر إلى حال هؤلاء الثلاثة يجد أن هناك جامعاً يجمع بينهم وهو انعدام العقل .

كما أنه بالعقل يتفاضل الناس وتختلف مراتبهم :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدى الكماة عوالي المران(٤)،(٥)

وعن طريق العقل المسترشد بنور الوحي يتعرف الإنسان على الله من خلال النظر فى آياته المقروءة من خلال الكتب السماوية وفى آياته المنظورة من خلال آياته الكونية .

قال تعالى :- ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن فى السماوات والأرض لآيات للمؤمنين * وفى خلقكم ما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾(٦).

وبالعقل يهتدى الإنسان ويصل إلى الإيمان الحق الذى به ينجو من عذاب يوم القيامة ويوم يعطل الإنسان هذه المنحة الربانية يتدنى إلى مستوى أقل من مستوى البهائم العجماوات . قال تعالى :- ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾(٧). وعليه يكون تعطيل العقل حسرة وندامة يوم القيامة لمعطله فيندم المرء ولات حين ندم . قال تعالى :-﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾(٨).

وبالعقل منحت للإنسان آفاق العلوم ودروب الفنون فغاص فى بحورها وسار فى دروبها حتى تسنى له استخراج كل نافع،وفك بعقله رموز هذا الكون العجيب وفى هذا يقول الشاعر العربى :-

كل العجائب صنعة العقل الذى هو صنعة الله الذى سواكا

والعقل ليس بمدرك شيئاً إذا ما الله لم يكتب له إدراكا (٩)

إن العقول المهتدية بهدايات السماء هي الموازين التي تعرف العدل وتبحث عن الحق لتتعرف بذلك على مقادير الأمور .

وكما قيل عن العقل ((العقل نور في القلب نفرق به بين الحق والباطل وبالعقل عرف الحلال والحرام وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام وجعله الله نوراً في قلوب عباده يهديهم إلى الهدى))(١٠)

و العقل هو المخاطب الأول بالكتب المقدسة التي نزلت إليه من عند الله - قرآنا وإنجيـ وتوراة- وغيرها حيث نزلت إليه هذه الكتب ليفهمها وليعمل بما فيها قال تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾(١١).

ولما كان العقل مخاطبا بالكتب التي نزلت إليه من عند الله فإن الأمر يقتضى أن يكون فاهما لها أو على الأقل لا تتعارض معه حتى لا يكلف الإنسان بما لا يطيق .فإن العقل وهو ((محور التفضيل وأساس المسئولية من حقه أن يدرك ما يلقى إليه من شرائع ومعتقدات ، وأن يفهم ما يطلب منه اتباعه ... فيستطيع أن يسير عليها في اقتناع ويقين ويمكن أن يحاسب عليها في وضوح وتبيين ،فإذا لم يستطع العقل أن يفهم شيئا مما يلقى إليه فإنه لا يمكنه أن يسير عليه ، ولا يمكن لأحد أن يسأله أو يحاسبه وإلا جازت مساءلة البهائم والأحجار والأشجار عن كافة شرائع الأرض والسماء وهذا لم يقل به أحد))(١٢)

وهذا البحث محاولة لدراسة موقف الكتب المقدسة من العقل الإنساني هذا .

كما يظهر من خلال النقاط الآتية .

مشكلة البحث

تدور مشكلة البحث الرئيسة حول الإجابة على سؤال محدد هو ما هي حقيقة موقف القرآن والإنجيل والتوراة من العقل ؟ هل احترمت هذه الكتب العقل البشرى المخاطب بها أم لا ؟ وما هي المنزلة التي احتلها عقل الإنسان في هذه الكتب ؟ وإذا ظهر

احترام الكتب المقدسة للعقل فى النصوص التى تمتدح العقل وأهله فهل يظل هذا الاحترام ساريا عند وضع هذه الكتب فى ميزان العقل من خلال دراسة تعاليمها أو من خلال موقفها من العلم البشرى فيظهر الانسجام والتوافق بين الكتب وبين العقل أم ستكون العلاقة هى علاقة التنافر والتخاصم ؟ هذا ما يحاول البحث إيجاد حل له .

حدود البحث

هذه الدراسة تبحث فى موقف القرآن والإنجيل و التوراة من العقل لذا فهى مقتصرة على هذه الناحية فقط إذ أنها ليست متخصصة فى الحديث عن العقيدة فى هذه الكتب وإن كان الحديث عن العقيدة جزءا منها ولا عن الشريعة وإن كان الحديث عنها جزءا منها ولا الأخلاق وإن كانت كذلك . كما أن الدراسة لا تتكلم عن العقل من خلال مدلوله الواسع الذى اختلف فيه أصحاب العلوم والفنون كلهم بل تقصد بالعقل معنى محدد هو القوة المفكرة فى الإنسان .

والدراسة تبحث عن مدى احترام الكتب الثلاثة للعقل الذى منحه الله -تبارك وتعالى- للإنسان وهذا هو جوهر البحث الرئيس لذلك كانت هذه القضية هى المحور الذى دار البحث حوله .

أسباب اختيار الموضوع :

* دفع إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب :-

١- ما لهذا الموضوع من أهمية للدعوة الإسلامية حيث ينوه بشأن العقل ويبين منزلته فى القرآن الكريم وما امتاز به من بين الكتب من احترام تام لعقل الإنسان وتكريم كامل له فيجعل المؤمن يزداد إيمانا ويقيناً . كما يدعو غير المسلمين إلى الدخول عن قناعة فى الإسلام هذا الدين الذى يقنع العقل ويطمئن القلب وإلا فإن الحجة تقام على من لم يهتد .

٢- ما للعقل من أهمية عظيمة فإنه مناط التكليف بدونه يسقط التكليف عن الإنسان وهو محور التفضيل بين البشر وهو الميزان الذى يلتقى عليه البشر أجمعون على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأديانهم .

٣ - ما يراه القارئ للقرآن من اهتمام عظيم بالعقل من حيث التنويه بشأنه ومدحه وجعله حجة على غير المؤمن .

لذا كانت الحاجة ماسة إلى هذه المقارنة بين القرآن الكريم وبين الإنجيل والتوراة فى موقفهم من العقل حيث إنه يعد دليلاً على صدق الكتاب وصحة نسبته إلى الله إن كان سالماً من تحريف البشر وتغييرهم .

ويعد حجة على كذب غير الثابتة نسبته إلى الله إن كان محرفاً قد تدخلت فيه تحريفات البشر وأهواؤهم .

٤- الرد على شبهات أعداء الإسلام من الذين غلبت عليهم العصبية وعدم الحيدة والنزاهة فراحوا يبالغون فى كيل التهم إلى الإسلام فى شخص كتابه العظيم – القرآن الكريم- .

ومن أعجب التهم التى اتهموا بها القرآن ظلماً وزوراً أنه يعوق النظر العقلى كما نقل عن الفيلسوف الألمانى (تنمان)[١٣] الذى يقول :

((إن عدة عقبات ثبطت تقدم العرب فى الفلسفة وهى :

١-كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلى الحر .

٢- حزب أهل السنة وهو حسب متمسك بالنصوص))[١٤] .

إلى آخر الترهات التى أثارها أشباهه من غير المنصفين لذا كان خير من يرد عليهم هم بنوا قومهم من غير المسلمين الذين أنصفوا الإسلام واعترفوا بتفوق كتابه من ناحية موقفه العظيم من العقل . كما سيظهر فى ثنايا البحث " إن شاء الله " .

أهداف البحث

يحاول البحث أن يصل إلى وضع تصور كامل بحسب الطاقة عن موقف القرآن والإنجيل والتوراة من العقل الإنسانى وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتب فى موقفها من العقل ، ثم إظهار الحق وبيانه فيما وقع فيه الاختلاف ومن وراء ذلك محاولة الإسهام فى إثراء المكتبة الإسلامية ببحث متواضع يفتح بابا جديدا فى مجال الدراسة المقارنة للأديان .

الدراسات السابقة

بالبحث عن الدراسات التى لها علاقة بهذا البحث وُجِدَتْ دراستان تتشابهان معه فى بعض النقاط وهما :

أولاً :- رسالة (دكتوراه) بعنوان منهج القرآن الكريم فى تحرير العقل والفكر الإسلامى . للدكتور عبد الفتاح محمد عبد الكريم العزب بإشراف الدكتور / عبد الغنى عوض الراجحى / بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة عام ١٩٧٨م .

وكما هو واضح من العنوان فقد كانت الرسالة تبحث فى مجال القرآن الكريم مقصورة عليه وحده ولم يكن مجال بحثها هو مجال الدراسات المقارنة إلا ما ندر من الإشارة فى ثنايا البحث إلى التوراة والإنجيل وقد بحثت عن العقل فى القرآن الكريم من خلال مكانة العقل الإنسانى فى القرآن الكريم وتحدثت عن مجالات العقل فى القرآن الكريم .

ثانياً :- رسالة (ماجستير) بعنوان العقل ومكانته فى القرآن الكريم للدكتور سيد محمد يوسف منصور اللبان إشراف دكتور محمد عبد المنعم القيعى . بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة عام ١٩٨٤م

وهى مثل الرسالة الأولى حيث كان مجالها أيضاً هو البحث فى القرآن الكريم من ناحية مكانة العقل فيه وقد بحثت الرسالة عن نظرة القرآن الكريم للعقل وبحثت عن العقل من ناحية كونه مناطا للتكليف وعن علاقة العقل السليم بالشرع وتحدثت عن الموانع التى تمنع العقل من التحرر ولم يكن مجالها أيضاً هو مجال الدراسات المقارنة بين الأديان .

منهج البحث :-

يسير هذا البحث على منهاج الدراسات المقارنة حيث يشتمل على ثلاثة مناهج (١٥)

المنهج الأول :- المنهج الوصفى- حيث تدرس قضية موقف الكتب من العقل دراسة وصفية كما وردت فى الكتب من غير تدخل من الباحث .

المنهج الثانى :- المنهج المقارن :- حيث يقارن بين الكتب فى موقفها من العقل لإظهار مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف .

المنهج الثالث :- المنهج النقدى . وفيه يناقش ما فى الكتب لبيان الحق فيما وقع فيه الاختلاف .

خطـــة البحث :-

يشتمل هذا البحث بعد المقدمة والتمهيد على بابين وخاتمة الباب الأول بعنوان "موقف القرآن والإنجيل والتوراة من العقل" وكان الحديث ملتزماً بالمنهج الوصفى حيث وصف موقف الكتب الثلاثة من العقل كما جاءت فى هذه الكتب وكان مشتملاً على ثلاثة فصول .

*الفصل الأول -:تحدث عن موقف القرآن من العقل واشتمل على تمهيد وخمسة مباحث .

- التمهيد كان عن مرادفات كلمة (عقل) فى القرآن .

والمبحث الأول عن منزلة العقل فى القرآن .

والمبحث الثانى عن موانع أعمال العقل وموقف القرآن منها .

والمبحث الثالث عن وظائف العقل فى القرآن .

والمبحث الرابع عن موقف القرآن من العلم

والمبحث الخامس عن مدى مطابقة تعاليم القرآن للعقل

*الفصل الثانى : وقد تحدث عن موقف الإنجيل من العقل ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

– التمهيد عن كلمة (عقل) ومرادفاتها فى الإنجيل

والمبحث الأول عن منزلة العقل فى الإنجيل .

والمبحث الثانى عن مجالات عمل العقل فى الإنجيل .

والمبحث الثالث عن موقف الإنجيل من العلم .

والمبحث الرابع عن مدى مطابقة تعاليم الإنجيل للعقل .

*الفصل الثالث : ويتحدث عن موقف التوراة من العقل ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث – التمهيد يتحدث عن كلمة (عقل) ومرادفاتها فى التوراة .

والمبحث الأول يتحدث عن منزلة العقل فى التوراة .

والمبحث الثانى عن مجالات عمل العقل فى التوراة .

والمبحث الثالث عن موقف التوراة من العلم .

والمبحث الرابع عن مدى مطابقة تعاليم التوراة من للعقل .

والباب الثانى بعنوان "أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتب فى موقفها من العقل" وقد كان الحديث فيه ملتزماً بالمنهج المقارن فى الفصل الأول والثانى والمنهج النقدى فى الفصل الثالث .

ففى الفصل الأول : كان الحديث عن أوجه الاتفاق بين القرآن والإنجيل والتوراة فى موقفها من العقل .

والفصل الثاني : عن أوجه الاختلاف

والفصل الثالث والذى كان يتبع المنهج النقدى فقد تحدث عن نقد الكتب التى ظهر عدم احترامها للعقل البشرى فى مواضع منها من خلال ميزان عقلى وضع للفصل والحكم.

ثم ختم البحث بتجربة عقلية لباحث عن الحق تحت عنوان ((رحلة عقل)) بين فيها تجربته فى التفكير والمقارنة بين الكتب المقدسة حتى آمن بالقرآن ودخل فى دين الإسلام .وألحق بالخاتمة قائمة تضمنت أهم النتائج التى توصل إليها البحث والتوصيات التى يوصى بها الباحث .

ولا أزعم أنى قد أصبت الصواب مع أنها غاية أمنيتى ولكن حسبى أنى قد اجتهدت ((فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له وإن كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء)) .(١٦)

هذا وأتعهد فى هذا البحث ملزما نفسى أن أكون منصفا ملتزما بالحيدة والموضوعية فى البحث و النقاش والجدال مترسما خطى القرآن فى منهجه فى الجدال مع المخالفين قال تعالى مبينا بعض آداب الجدال :-﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾.(١٧)

أمور يجب التنبيه عليها

أحب أن أشير إلى أمور لوضعها فى الاعتبار عند قراءة هذا البحث .

أولا : قد يلاحظ المطلع على البحث أن الباحث يسوى بين القرآن من ناحية وبين الإنجيل والتوراة من ناحية أخرى فى وضعه معهما فى مقارنة ، أو فى عدم نسبة نصوصها إلى الله تبارك وتعالى مباشرة فى مواضع كثيرة فيظن أن الباحث يشك فى نسبة نصوص القرآن إلى منزله - سبحانه وتعالى - ويعلم الله أن الباحث على يقين كامل

لايتزعزع قيد أنملة ولا أدق من ذلك من أن القرآن الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى وأنه ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١٨)

غير أن الضرورة هى التى ألجأت إلى هذه المقارنة والباحث- فى هذه النقطة وغيرها- كان مهتديا بهدى القرآن فى قول الله تعالى مخاطبا نبينا الكريم محمدا -صلى الله عليه وسلم :- ﴿ قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين * قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون ﴾(١٩)

والنبى _ صلى الله عليه وسلم _لم يكن ليشك فى موقفه أهو على الهدى أم على غيره ولكنه أدب يعلم القرآن المسلمين إياه فى شخص النبى _صلى الله عليه وسلم _ليتعلموا منه كيف يكون الحوار مع المخالفين فى العقيدة . حيث ينسى المرء أن تكون لديه فكرة مسبقة عن شيء بل ينزل الجميع على حكم قاض لن يختلف على حكمه أحد ألا وهو العقل وهو قمين أن يرتضى الجميع حكمه إذا صفت النفوس وخلصت من أمراضها وأغراضها . ومن الملاحظ أيضا فى الآية الثانية أن القرآن أمر النبى _ صلى الله عليه وسلم-أن ينسب إلى نفسه لفظ الإجرام-وهو النبى المجتبى والرسول المصطفى- ولاينسبه لمخالفيه بل ينسب لهم لفظ العمل ترفيقا لقلوبهم وإيقاظا لعقولهم . فيا له من أدب رفيع .

ثانيا :- كان ترتيب الكتب فى عنوان البحث تابعا للترتيب التصاعدى حيث روعى فيه زمن تنزيل الكتب وقد تقدم الأحدث نزولا فالأقدم فالأقدم .

ثالثا :- المقصود بالإنجيل فى البحث مجموع أسفار العهد الجديد (كما هو مشهور عند النصارى) والمقصود بالتوراة مجموع أسفار العهد القديم وهى تسمية جائزة لكلا الكتابين كما سيرد فى تعريف كل من الكتابين _ إن شاء الله-

هوامش المقدمة

(١) ١٩٦٩م مصطفى صادق الرافعي-تحت راية القرآن-ص٥ ط. مكتبة الإيمان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ،.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه بسنده عن على-رضى الله عنه-وقال حديث حسن غريب. كتاب الحدود باب ما جاء فيمن لايجب عليه الحد . ج٤ ص ٣٢

(٤) ضيغم : أسد --المران : الرماح

(٥) للشاعر العربى أبى الطيب المتنبى (ديوان المتنبى) قصيدة مازلت تضربهم ص ٣٨٧ ط مكتبة مصر

(٦) سورة الجاثية الآيات من ١ – ٥

(٧) سورة الأعراف آية١٧٩

(٨) سورة الملك آية ١٠

(٩) من قصيدة للشيخ إبراهيم البديوى من كتاب(بغية الواعظ والخطيب. د. على محمد عبد الوهاب ص٤٩)

(١٠) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٢ ص٢٤٨ باب العقل

(١١) سورة ص آية ٢٩

(١٢) أ. محمد مجدى مرجان - الله واحد أم ثالوث ص٦١

(١٣) تنمان (Tennemann) فيلسوف ألمانى له كتاب يسمى (المختصر فى تاريخ الفلسفة) توفى عام ١٨١٩ م

(١٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية-الشيخ مصطفى عبد الرازق ص٥

(١٥) أخذ هذا التقسيم عن د/ محمد عبد الله الشرقاوى. من كتاب المنطق ومناهج البحث منهج نقدى . ط. دار النصر للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م من ص١٩٧-حتى ص٢٠٨ . باختصار

(١٦) مقولة لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجها النسائي في سننه كتاب النكاح باب إباحة التزويج بغير صداق .ج ٦ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ط دار الكتب العلمية بيروت

(١٧) سورة العنكبوت آية ٤٦

(١٨) سورة فصلت آية ٤٢ .

(١٩) سورة سبأ أية ٢٤ ، ٢٥

التمهيد

تعريف بأهم مصطلحات البحث

١- القرآن

٢- الإنجيل

٣- التوراة

٤- العقل

٥- مرادفات العقل



بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

التعريف بأهم مصطلحات البحث

أولاً : تعريف القرآن :-

(أ) فى اللغة :

يطلق القرآن فى اللغة على مصدر الفعل قرأ يقال . ((قرأ الكتاب قراءة وقرآناً بالضم . وقرأ الشيء قرءاناً بالضم أيضاً جمعه وضمه ومنه سمى القرآن لأنه يجمع السور ويضمها وقال تعالى ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ .(١) أى قراءته)) (٢)

((والأصل فى هذه اللفظة : الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمى القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران ، وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه وعلى القراءة نفسها . يقال قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً .

قال تعالى :- ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ (٣) أى قراءته قال ابن عباس رضى الله عنهما :- فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بين لك)) (٤)

وقد رجح صاحب مناهل العرفان أن يكون اشتقاق لفظ القرآن من الفعل قرأ كمصدر مرادف للقراءة ثم نقل عن هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز والمنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- من باب إطلاق المصدر على مفعوله واستبعد باقى الأوجه)) (٥)

تعريف القرآن فى الاصطلاح :-

((هو كلام الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد- صلى الله عليه وسلم بوساطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب فى المصاحف المحفوظ فى الصدور المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس المتحدى باقصر سورة منه)) (٦)

وهذا التعريف يحدد القرآن تحديدا لا يختلط به غيره .كما يظهر فيما يلي:

(("الكلام" جنس شامل لكل كلام وإضافته إلى "الله" تعالى تميزه عن كلام سواه من الإنس والجن والملائكة .

"والمنزل" مخرج للكلام الإلهى الذى استأثر الله به نفسه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر .

وتقيد المنزل بكونه (على محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى وقيد "المتعبد بتلاوته" : أى المأمور بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد وكالأحاديث القدسية وهى المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا إنها منزله من عند الله بألفاظها))(٧)

و"المتحدى باقصر سورة منه" لأن القرآن قد جاء بالتحدى للمشركين أن يأتوا ولو بسورة مثله ولم يستطيعوا - يقول الله عز وجل _ فى القرآن الكريم :-﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٨).

ثانيا : تعريف الإنجيل :-

فى اللغة :

جاء فى دائرة المعارف الكتابية فى تعريف كلمة إنجيل : ((إنجيل مأخوذة من الكلمة اليونانية (إفاجيليون) ومعناها بشارة أو خبر طيب)) (٩)

وقال صاحب اللسان : ((الإنجيل كتاب عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يؤنث ويذكر فمن أنث أراد الصحيفة ومن ذكر أراد الكتاب . وفى صفة الصحابة رضى الله عنهم : معه قوم صدورهم أناجيلهم هو جمع إنجيل ، وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى -عليه السلام- وهو اسم عبرانى أو سريانى وقيل هو عربى ، يريد أنهم يقرءون كتبهم فى الصحف ولا يكاد أحدهم يجمعها حفظا إلا القليل فى رواية وأناجيلهم فى صدورهم أى كتبهم محفوظة فيها ،

والإنجيل مثل الإكليل والإخريط وقيل إن اشتقاقه جاء من النجل الذى هو الأصل يقال : هو كريم النجل أى الأصل والطبع))(١٠)

ويطلق لفظ الإنجيل أيضا على البشارة (١١)

تعريف الإنجيل فى الاصطلاح :-

يطلق لفظ الإنجيل ويراد به فى الاصطلاح " الكتاب الذى أنزله الله تعالى على عيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة . (١٢) يقول الله تعالى :" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين "(١٣).

((ويطلق اسم الإنجيل عرفاً على تلك القصص التى كتبها تلاميذ المسيح وتلاميذهم بعد زمانه بأكثر من نصف قرن بالنسبة إلى واضعها وهى تروى أحواله وأعماله

التى وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التى أجراها الله على يديه وقصة صلبه من وجهة النظر المسيحية وتعترف الكنيسة المسيحية بأربعة فقط من هذه الأناجيل)) (١٤).

((وبعد رفع المسيح عليه السلام وضياع الإنجيل الربانى المنزل عليه كتبت أناجيل كثيرة زادت على المائة اختارت منها الكنيسة أربعة وهى المقصودة بكلمة إنجيل عند النصارى الآن وهذه الأناجيل هى (متى ،ومرقس، ولوقا ،ويوحنا) ......ويطلق الإنجيل مجازاً على العهد الجديد الذى يشتمل على هذه الأناجيل والرسائل الملحقة به التى فى قبولها خلاف بين الكنائس النصرانية .)) (١٥) .

وقد جاء فى معجم اللاهوت الكتابى ((تدل كلمة إنجيل بالنسبة إلينا إما إلى الكتاب الذى يروى حياة يسوع وإما إلى القراءة التى تتلى أثناء القداس الإلهى)) (١٦)

وجاء فى دائرة المعارف الكتابية أن المراد بكلمة إنجيل فى العهد الجديد ((الرسالة التى نادى بها المسيح ورسله))(١٧).

وعلى ذلك فالمقصود بكلمة الإنجيل فى البحث مجموع أسفار العهد الجديد.

ثالثاً: تعريف التوراة

فى اللغة :

ليس لكلمة (التوراة) أصل فى اللغة العربية وقد ورد فى كتاب(الكليات) لأبى البقاء الكفوى أن لها معنى قال ((التوراة معناها الضياء والنور))(١٨). وهى ((كلمة مستعربة عن أصلها العبرى(تورا) معنى القانون والتعليم والشريعة))(١٩)

فى الاصطلاح :

التوراة : ((الكتاب الذى أنزله الله تعالى على موسى عليه الصلاة والسلام فى طور سيناء مشتملا على العقيدة والشريعة ... وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى من العهد

القـــديم . ســـفر التكوين وســـفر اللاويين وســـفر الخـــروج وســـفر العـــدد وسفر التثنية)) (٢٠)

وقد يطلق لفظ التوراة على ((مجموع كتب العهد القديم كلها مجازاً وعددها تسعة وثلاثون كتاباً . وكلمة العهد القديم هى التسمية العلمية لأسفار اليهود وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم . وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى لأنه أبرز أنبياء بنى إسرائيل وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية)) (٢١) ((وقد ظل الخلاف فى أسفار التوراة هذه وعددها بين اليهود إلى أن أحسوا بخطر المسيحية عليهم عندئذ اجتمع اليهود فى عام ١٠٠م تقريباً فى بلدة تسمى (جامنيا) وحاولوا نسيان الخلاف بينهم وعملوا جاهدين على تقريب وجهات النظر بينهم وقد اتفقوا فى هذا المجتمع على أسفار التوراة من حيث عددها وترتيبها كما هى عليه الآن والتوراة التى أقرها اليهود فى هذا المجمع أو العهد القديم تتكون من تسعة وثلاثين سفراً))(٢٢)

وعلى ذلك فالمقصود بكلمة (التوراة) فى البحث هى مجموع أسفار العهد القديم كما ترد فى تسمية النصارى .

رابعاً تعريف العقل :

فى اللغة :

يطلق (العقل) فى اللغة ويراد به معان كثيرة ولكنها تدور كلها حول معنى المنع والحبس .

يقال ((العاقل : الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها . أخذ من قولهم اعتقل لسانه أى حبس ومنع الكلام)) (٢٣)

((وعاقله فعَقَله يعقُله بالضم كان أعقل منه)) (٢٤)

((والعقل : التثبت فى الأمور . والعقل : القلب ، والقلب العقل وسمى العقل عقلاً لأنه يعقُل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه وقيل العقل هو التمييز الذى به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان)) (٢٥) .

– ومن معانى العقل أيضاً : الفهم ((يقال لفلان قلب عقول ولسان سؤول . وقلب عقول : فَهِمٌ وعقل الشىء يعقله عقلاً : فهمه)) (٢٦) .

– ومن معانى العقل أيضاً فى اللغة الإمساك : ((يقال : عقل الدواء بطنه يعقلُه ويعقُله عقلاً أمسكه ويقال : أعطنى عقولاً فيعطيه ما يمسك بطنه)) (٢٧) .

–ومنه سمى العقال : فهو الرباط الذى يعقل به وجمعه عُقُل (٢٨) .

–((وقيل للدية عقل لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها بفناء ولى المقتول ثم كثر ذلك حتى قيل لكل دية عقل وإن كانت دنانير أو دراهم)) (٢٩) .

((وعَقَلْتُ الشىء عقلاً من باب ضرب تدبرته وعقِل يَعقَل من باب تَعِب لغة ثم أطلق العقل الذى هو مصدر على الحجا واللب ولهذا قال بعض الناس العقل غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب فالرجل عاقل والجمع عُقَّال مثل كافر وكفار وربما قيل عقلاء وامرأة عاقل وعاقلة كما يقال بالغ وبالغة والجمع عواقل وعاقلات)) (٣٠)

((والعقل نقيض الجهل- عقل يعقل عقلاً فهو عاقل والمعقول هو ما تعقله فى فؤادك ويقال هو ما يفهم من العقلة ... والعقيلة هى المرأة المخدرة المحبوسة فى بيتها وجمعها عقائل وعقلت القتيل عقلاً أى وديت دينه من القرابة لا من القاتل .. قال أنس بن مدركة :

إني وقتلى سلكاً ثم أعقله ** كالثور يضرب لما عافت البقر (٣١).

والعقل الحصن وجمعه عقول وهو المعقل أيضاً وجمعه معاقل .

قال النابغة (٣٢) :-

وقد أعددت للحدثان حصناً ** لو ان المرء تنفعه العقول

وفلان معقل قومه أي يلجؤون إليه إذا حزبهم أمر قال الشاعر :

كان المهلب للعراق سكينة **وحيا الربيع ومعقل الفرار)) (٣٣)

فى الاصطلاح :

يطلق العقل فى الاصطلاح على عدة معانٍ أورد الإمام الغزالى(٣٤) بعضها فقال :

((يطلق العقل على ثلاثة أوجه :-

*الأول : يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان فى كلامه واختياره وحركاته وسكناته .

*الثانى : يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه يطلق لمعان مجتمعة فى الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح .

*الثالث : يراد به صحة الفطرة الأولى فى الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها)) (٣٥)

تعريف العقل فى اصطلاح الفلاسفة :

* عند الكندى (٣٦) : هو جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها .

*عند الجرجانى(٣٧) : هو شيء مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله .

*وعند غيرهم :

- هو قوة فى النفس بها يحصل تصور المعانى وتأليف القضايا والأقيسة .

- قوة الإصابة فى الحكم التى تميز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح .

- مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة)) (٣٨)

وقد قسم العلامة القزوينى (٣٩) القوة العقلية إلى أربعة أقسام وجعلها راجعة إلى العقل الغريزى والعقل المكتسب فقال :

القوة العقلية أربعة أقسام :

*الأول : القوة التى يفارق الإنسان بها البهائم وهى التى استعد بها لقبول العلوم النظرية .. وتدبير الصناعات الفكرية .

*الثانى : القوة التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون فى مكانين . فيقال له التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة والحكماء يسمونه العقل بالملكة .

*الثالث : قوة يعقل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الأحوال فمن اتصف بها يقال أقل فى العادة ومن لم يتصف بها يقال أنه غبى غمر فيقال لها معان مجتمعة فى الذهن من مقدمات تستنبط بها المصالح فى الأغراض .

*الرابع : قوة بها تعرف حقائق الأمور وعواقبها فتنقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة . وتحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل فإذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلاً حيث . إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب بحكم الشهوة العاجلة والأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب)) (٤٠)

مفهوم العقل الذى يدور حوله البحث :

ليس غرض البحث الحديث عن العقل من حيث مدلوله العام الذى اختلف فى تحديده أهل كل فن وعلم على اختلاف علومهم سواءً أكانوا فلاسفة، أو من علماء الكلام، أو من غيرهم بل إن غرض البحث تناول معنى محدد للعقل .

فالعقل فى البحث هو القوة التى تخاطبها الكتب المقدسة مطالبةً إياها بالتبصر، والتفهم، والتدبر، والتذكر، والاعتبار، والتفقه. وهو الملكة التى شرف الله عز وجل بها الإنسان رفيض بها الفهم والإدراك ، . وهو الوسيلة التى تمنع المكلف من فعل ما لا ينبغى. وبإيجاز هو القوة المفكرة الفاهمة فى الإنسان .

خامساً : تعريف مرادفات العقل :

للعقل مرادفات كثيرة فى اللغة منها ما يلى :-

١ * اللب :

من الكلمات المرادفة للعقل كلمة اللب وهى تعنى فى اللغة :((لب كل شيء ولبابه خالصه وخياره وقد غلب اللب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه من الثمر ولب الجوز واللوز ونحوهما ما فى جوفه والجمع اللبوب .

واللباب : الخالص من كل شيء .

واللب : العقل والجمع ألباب وألبب قال الكميت (٤١) :

إليكم بنى آل النبى تطلعت*** نوازع من قلبى ظماءٌ وألبب .

((ولبيب عاقل ذو لبٍّ من قوم ألباب)) (٤٢)

وقد ورد من معانى اللُّب ما يفيد أيضاً معنى الحبس على الشيء وهو اللزوم جاء فى (لسان العرب) : ((واللب الحادى اللازم لسوق الإبل لا يفتر عنها ولا يفارقها ورجل لُبٌّ لازم لصنعته لا يفارقها)) (٤٣)

((ولب بالمكان لباً ألبّ أقام به ولزمه وألب على الأمر . لزمه فلم يفارقه : وقولهم لبيك ولبيه منه أى لزوماً على طاعتك)) (٤٤)

والكلمة على هذا الوجه تشبه العقل فى أن كلتيهما ترجعان إلى معنى المنع والحبس أيضاً . ((ويطلق اللب ويراد به العقل لأنه صفوة اللب وخلاصته)) (٤٥)

٢ *الحجا :

من مرادفات العقل فى اللغة حيث يعرف فى اللغة بأنه العقل .

قال صاحب اللسان : (((الحجا) مقصور : العقل والفطنة وأورد أيضاً فى معانى الحجا ما يدل على أنه مشترك فى معنى المنع والحبس . فقال : " وفلان لا يحجوا الرأى : لايحفظه . حجا سره يحجوه إذا كتمه ...

ويقال للراعى إذا ضيع غنمه فتفرقت : ما يحجوا فلان غنمه ولا إبله : أى لايمسكها ويمنعها .

"وسقاء لا يحجوا الماء : لا يمسكه . وجاء بمعنى الفطنة فى قول الكميت :

هجوتكم فتحجوا ما أقول لكم *** بالظن إنكم من جارة الجار .

أى تفطنوا. وجاءت الكلمة بمعنى العقل فى الحديث : " حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا قد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة "(٤٦) . أى من ذوى العقل .

وبمعنى الملجأ : يقال إنه لحجىٌ إلى بنى فلان أى لاجئ إليهم . والحجا : الملجا))(٤٧)

و جاءت بمعنى اللزوم . ((يقال حجنت بالشىء وتحجيت به يهمز ولا يهمز : تمسكت ولزمت قال الشاعر :

أصم دعاء عاذلتى تحجى *** بآخرنا وتنسى أو لينا .

((أى تمسك به وتلزمه)) (٤٨).

((ويطلق الحجا ويراد به العقل لأن العقل به تصاب الحجة)) (٤٩)

٣ *الحِجر:

ورد لفظ الحجر فى القرآن بمعنى العقل(٥٠) فى قوله تعالى ﴿ هل فى ذلك قسمٌ لذى حجر ﴾ (٥١) وجاءت لفظة (الحجر) فى اللغة بمعنى المنع فى الأصل .

قال صاحب القاموس ((الحجر : المنع .. ونشأ فى حجره أى فى حفظه وستره)) (٥٢).

((وحجر القاضى عليه : منعه من التصرف)) (٥٣).

قال صاحب اللسان : ((وأصل الحجر فى اللغة ما حجرت عليه أى منعته من أن يوصل إليه وكل ما منعت منه فقد حجرت عليه .. والحجر بالكسر : العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز)) (٥٤).

((... وفى التنزيل ﴿ هل فى ذلك قسمٌ لذى حجر ﴾(٥٥) وسمى العقل بالحجر لحجره عن ركوب المناهى)) (٥٦).

٤ *القلب:

قد يذكر القلب ويراد به العقل .

قال صاحب الكليات :- ((القلب : قلب كل شيء خالصه وقد يعبر بالقلب عن العقل)).

قال الحكماء :- حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو قوله تعالى ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾(٥٧).

وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والغضب والهوى)) (٥٨).

وجاء فى القاموس :((والقلب : الفؤاد أو أخص منه والعقل . ومحض كل شيء)) (٥٩).

وجاء فى اللسان : " وقد يعبر بالقلب عن العقل قال الفراء فى قوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... ﴾ (٦٠) ((أى عقل قال الفراء وجائز فى العربية أن تقول مالك قلب وما قلبك معك تقول :- ما عقلك معك وأين ذهب قلبك ؟ أى أين ذهب عقلك ؟)) (٦١)

((وكلمة القلب فى اللغة تعنى تحويل الشيء عن وجهه . يقال قلب الشيء وقلّبه : حوله ظهراً لبطن . والقلب أيضاً صرفك إنساناً تقلبه عن وجهه الذى يريده . وقلب الأمور : بحثها ونظر فى عواقبها .)) (٦٢).

٥ *الفكر :

((الفَكر والفِكر بفتح الفاء وكسرها : إعمال الخاطر فى الشيء . قال سيبويه(٦٣) ولايجمع الفكر ولا العلم ولا النظر قال : وقد حكى ابن دريد فى جمعه أفكاراً .

ورجل فِكيِّر كثير الفكر ..

والتفكر اسم التفكير ومن العرب من يقول الفكر والفكرة . حكى صاحب اللسان أيضاً عن الجوهرى التفكر التأمل والاسم الفكر والفكرة والمصدر الفَكر بالفتح .

قال (يعقوب) يقال ليس لى فى هذا الأمر فكر أى ليس لى فيه حاجة قال والفتح فيه أفصح من الكسر)) (٦٤)

٦ *الفقه :

((الفقه : هو العلم بالشيء والفهم له . وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم . والفقه فى الأصل : الفهم يقال أوتى فلان فقهاً فى الدين أى فهما فيه والفقه : الفطنة وفى المثل . خير الفقه ما حاضرت به وشر الرأى الدبريُّ.

وقال عيسى بن عمر : قال لى أعرابىٌ : شهدت عليك بالفقه أى الفطنة)) (٦٥)

٧ *البصر:

الأصل فى معنى البصر أنه يطلق على حاسة العين بل إن هذه الكلمة قد تطلق ويراد بها العين إلا أنها مذكرة .

قال صاحب اللسان :- قال الليث : ((البصر العين إلا أنه مذكر وقيل البصر حاسة الرؤية قال سيبويه (٦٦) بصُر : صار مبصراً وأبصره إذا أخبر بالذى وقعت عينه عليه)) . (٦٧)

((وقد جاءت كلمة (البصر) فى القرآن بمعنى رؤية القلب فى قوله تعالى : ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ (٦٨) أى بالقلب .

وقد جاءت أيضاً بمعنى البصر بالحجة فى قوله تعالى))(٦٩) :- ﴿ قال رب لمَ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ (٧٠) ولا يخفى أن هذا هو عمل العقل .

((والبصيرة : عقيدة القلب قال الليث : البصيرة اسم لما اعتقد فى القلب من الدين . وتحقيق الأمر وقيل البصيرة : الفطنة تقول العرب : أعمى الله بصائره أى فطنه)) (٧١).

((وقيل : البصيرة : هى قوة فى القلب تدرى بها المعقولات . وقوة القلب المدركة: بصيرة)) (٧٢).

وبصر بكذا أى علم وعليه ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾(٧٣) أى علمك ومعرفتك بها قويه (٧٤).

وتأتى بمعنى التأمل يقال : ((التبصر : التأمل والتعرف)) (٧٥)

وتأتى بمعنى الفهم : يقال ((بصره الأمر تبصيراً وتبصرة فهمه إياه))(٧٦).

٨ * النُهَى :

وردت كلمة (النهى) فى القرآن الكريم بمعنى العقل وهذا فى موضوعين فى سورة طه. وتعرف النُّهى فى معاجم اللغة بأنها العقل .

قال صاحب اللسان :- ((والنُّهى : العقل يكون واحداً وجمعاً وفى التنزيل العزيز :- ﴿ إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهى ﴾(٧٧)

((والنهية : العقل. بالضم سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح.

وفى الحديث :[ليلنى منكم أولوا الأحلام والنهى] (٧٨) . وهى العقول والألباب وفلان ذو نهية أى ذو عقل ينتهى به عن القبائح ويدخل فى المحاسن . وقال بعض أهل اللغة ذو النهاية : الذى ينتهى إلى رأيه وعقله .)) (٧٩).

٩ * الحِلمُ

بكسر الحاء . جاءت بمعنى العقل فى قوله تعالى : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ﴾(٨٠)

وفى معاجم اللغة جاءت كلمة الحلم بكسر الحاء بمعنى الأناة والعقل .

قال صاحب اللسان ((والحِلمُ بالكسر : الأناة والعقل وجمعه أحلام وحلوم وفى التنزيل :- ((أم تأمرهم أحلامهم بهذا ...))(٨١)

قال جرير(٨٢) : هل من حلوم لأقوام فتنذرهم   ما جرب الناس من عضى وتضريسى والحِلمُ نقيض السفه .

وفى حديث النبى (صلى الله عليه وسلم) فى صلاة الجماعة : [ليلنى منكم أولوا الأحلام والنهى] (٨٣)أى ذوو الألباب والعقول وأحدها حِلم بالكسر وكأنه من الحلم الأناة والتثبت فى الأمور وذلك من شعار العقلاء .(٨٤)

مما سبق يتبين أن للعقل فى اللغة مرادفات كثيرة كما جاء فى معاجم اللغة وقواميسها ومن هذه المرادفات ما يرد فى اللغة ولا يراد به إلا معنى العقل .

هوامش التمهيد

(١)سورة القيامة آية ١٧

(٢) الإمام محمد ابن أبى بكر ابن عبد القادر الرازى-مختار الصحاح ص ٢٤٤ دار المنار بدون تاريخ .

(٣) سورة القيامة آية ١٨

(٤) ابن منظور لسان العرب ج٥ ص ٣٥٦٣ . طبعة دار المعارف مصر-بتصرف يسير .

(٥)د. محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ ص١٦

(٦) ابن خلدون المقدمة . دار القلم بيروت لبنان ص٤٣٧ الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، د. محمد عبد العظيم الزرقانى مناهل العرفان ج١ ص١٧ ط. دار الكتب العلمية مرجع سابق ، مناع القطان . مباحث فى علوم القرآن ص١٦ ط. مكتبة وهبة القاهرة الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨ . د. صبحى الصالح . مباحث فى علوم القرآن ص٢١ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية عشر . ، د. فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل . القرآن والنظر العقلى ص٣٤ طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى الطبعة الأولى ١٩٩١ .

(٧) د. محمد عبد الله دراز النبأ العظيم ص ١٤ ، ١٥ .

(٨) سورة يونس آية ٣٨

(٩) دائرة المعارف الكتابية ج١ ص٤٤١

(١٠) ابن منظور لسان العرب ص ٤٣٥٦ ج٦ مرجع سابق وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص٩٥٦ ط. دار الفكر ١٩٩٥ بيروت ، مختار الصحاح للرازى مرجع سابق ص٢٩٤ .

(١١) محمد إسماعيل إبراهيم معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٥١٧ ط. دار الفكر العربى . وانظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة إصدار دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الرياض السعودية لمجموعة علماء تحت إشراف د. مانع بن حماد الجهنى ص٩٧٦ ج٢ طبعة رابعة .

(١٢) الموسوعة الميسرة مرجع سابق ص٩٧٦

(١٣) سورة المائدة آية ٤٦

(١٤) محمد إسماعيل إبراهيم . معجم الألفاظ والأعلام القرآنية مرجع سابق ص ٥١٧

(١٥) الموسوعة الميسرة ص٩٧٦ وانظر بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى تحقيق د. محمد شامة ص٣٨ طبعة مكتبة وهبة الطبعة الثانية . وانظر عصمة الكتاب المقدس – صموئيل مشرقى ص١٨ والبراهين الجلية فى العقائد المسيحية. عوض جرجس ص٤٩ ، إظهار الحق. رحمة الله الهندى ص١٠٥ .

(١٦) معجم اللاهوت الكتابى ص١١٣

(١٧) دائرة المعارف الكتابية ج١ ص٤٤١

(١٨) أبو البقاء الكفوى-الكليات طبعة وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥ ص١١٧ ج٢ .

(١٩)،(٢٠) الموسوعة الميسرة مرجع سابق ص١٠٣٠ ج٢ .

(٢١) د. أحمد شلبى- اليهودية ص٢٣٨ ط. دار النهضة المصرية الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧ . بتصرف قبل وانظر كتاب عصمة الكتاب المقدس-صموئيل مشرقى

ص١٧ . و البراهين الجلية فى العقائد المسيحية عوض جرجس ص٢٨ و إظهار الحق رحمة الله هندى ص,٩٩ .

(٢٢) د. عوض الله حجازى . مقارنة الأديان ص١٣٩

من (٢٣) إلى (٢٤) ابن منظور .لسان العرب ج ٤ ص٣٠٤٦ ٣٠٤٧, بتصرفوانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص ,٩٣١ مختار الصحاح للرازى ص ٢١١ والمصباح المنير للفيومى ص ٥٧٨ , معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا ج٤ ص١٦٦

(٢٥) الفيومى - المصباح المنير ، مرجع سابق ص ٥٧٩

(٢٦) كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق أ. عبد السلام هارون ج.١ ص ١٨

(٢٧) النابغة : زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى شاعر جاهلى توفى نحو ١٨ قبل الهجرة كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه شعرها .

(٢٨) الخليل بن أحمد الفراهيدى كتاب العين ط . دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والإعلام العراق تحقيق د. مهدى المخزومى : د.إبراهيم السامرائى ج١ ص ١٥٩ وانظر بن منظور لسان العرب ص ٣٠٥٠

(٢٩) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ولد ب (طوس) من بلاد فارس وتوفى عام ٥٠٥هـ من أشهر كتبه إحياء علوم الدين ،والاقتصاد فى الاعتقاد ، وتهافت الفلاسفة

(٣٠) الإمام الغزالى _معيار العلم فى فن المنطق ص١٦٢

(٣١) الكندى : يعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب والإسلام فى عصره نشأ فى البصرة و انتقل إلى بغداد واشتهر بالطب والفلسفة ومات نحو ٢٦٠ هـ

(٣٢) الجرجانى : محمد بن على ابن الشريف الجرجانى من أهل شيراز (بلدة بإيران) نقل للعربية . رسالة فى المنطق وصنف كتاب (الغرة) فى المنطق

(٣٣) د. جميل صليبا _ المعجم الفلسفى ج٢ ص,٨٤

(٣٤) القزوينى : على بن عمر بن على القزوينى نجم الدين . منطقى من تلامذة نصير الدين الطوسى ولد سنة ٦٠٠ هـ وتوفى سنة ٦٧٥ هـ .

(٣٥) محمد فريد وجدى دائرة معارف القرن العشرين ج٦ ص ٥٢٤ ط . دار الفكر

(٣٦) الكميت : هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدى شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة ولد عام ٦٠ هـ وتوفى عام ١٢٦ هـ

(٣٧) ابن منظور لسان العرب ج ٥ ص ٣٩٧٩

(٣٨)، (٣٩) نفسه ص٣٩٨٠ وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص١٣١ - وانظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ج٨ ص ٣١٦

(٤٠) نفسه ص٦١٩

(٤١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه بسنده كتاب الزكاة باب مصارف الزكاة . ج ٥ ص ١٢٣ وابن خزيمة كتاب الزكاة باب صدقة الفقير الذى تجوز له المسألةج٤ص٦٤

(٤٢) ابن منظور-لسان العرب . ج١ ص ٧٩٢ وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص ١١٤٥، ١١٤٦

(٤٣) ابن منظور لسان العرب ج١ ص ٧٩٣ .

(٤٤) أبو البقاء الكفوى-الكليات ص ٦٢٠ بتصرف ط . مؤسسة الرسالة طبعة ثانية ١٤١٣ هـ : ١٩٩٣ م

(٤٥) الحسين ابن محمد الدامغانى-الوجوه والنظائر ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر ط . ١٩٩٢ مجلد١ ص٢٧٢

(٤٦) سورة الفجر آية : ٥

(٤٧) الفيروز آبادى القاموس المحيط ص ٣٣٥

(٤٨) الرازى . مختار الصحاح ص ٧٦ .

(٤٩) ابن منظور لسان العرب ج١ ص ٧٨٤ .

(٥٠) أبو البقاء الكفوى-الكليات ص ٦٢٠ مرجع سابق .

(٥١) سورة ق آية : ٣٧

(٥٢) أبو البقاء الكفوى-الكليات ج٤ ص٦ .

(٥٣) الفيروز آبادى القاموس المحيط ص ١١٧ .

(٥٤) ابن منظور لسان العرب ج٥ ص ٣٧١٤ وانظر مختـــار الصحاح الرازى ص ٢٥٢ .

(٥٥) نفس المرجع ج٥ ص ٣٧١٣ .

(٥٦) ابن منظور لسان العرب ج٥ ص ٣٤٥١ بتصرف يسير وانظر مختار الصحاح للرازى ص ٢٣٦ . والقاموس المحيط للفيروز آبادى ص ٤١٣ .

(٥٧) ابن منظور لسان العرب ج٥ ص ٣٤٥٠ بتصرف يسير وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى. ص ١١٢٦ وانظر مختار الصحاح للرازى ص ٢٣٦ .

(٥٨) سيبويه : هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى إمام النحاة أول من بسط علم النحو ولد فى شيراز عام ١٤٨هـ وقدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد ففاقه . وألف كتابه المسمى كتاب سيبويه فى النحو .توفى عام ١٨٠هـ

(٥٩) ابن منظور لسان العرب ج١ ص ٢٩٠ وانظر مختار الصحاح للرازى ص ٤٦ والقاموس المحيط. ص ٣١٧

(٦٠) سورة الأعراف الآية : ١٩٨

(٦١) الدامغانى الوجوه والنظائر ج١ ص ١٦٥ بتصرف

(٦٢) سورة طه آية ١٢٥

(٦٣) ابن منظور لسان العرب ج١ ص٩١ ، وانظر كتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدى ج٣ ص ٣٧٠

(٦٤) أبو البقاء الكفوى الكليات ج١ ص ٣٢٩

(٦٥) سورة ق من آية : ٢٢

(٦٦) نفسه ج١ ص ٣٢٩

(٦٧) ، (٦٨) ابن منظور لسان العرب ج١ ص٢٩١ .

(٦٩) سورة طه من آية ٥٤

(٧٠) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول والازدحام على الصف الأول والمسابقة عليها وتقديم أولى الفضل ج ١ ص ,٣٢٣

(٧١) ابن منظور لسان العرب ج٦ ص ٤٥٦٥ ،٤٥٦٦ بتصرف يسير وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص ١٢٠٦

(٧٢) سورة الطور من آية ٣٢

(٧٣)جرير : هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى من أشعر أهل عصره ولد فى اليمامة عام ٢٨ هـ وتوفى بها عام ١١٠ هـ وكان من أغزل الناس شعرا .

(٧٤) ابن منظور لسان العرب ج٢ ص ٩٨٠ وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ص٩٨٩

الباب الأول

موقف القرآن والإنجيل والتوراة من العقل

الفصل الأول : موقف القرآن من العقل
الفصل الثانى : موقف الإنجيل من العقل
الفصل الثالث : موقف التوراة من العقل



الفصل الأول
موقف القرآن من العقل

ويشتمل على المباحث التالية :

تمهيد : - مرادفات العقل فى القرآن .

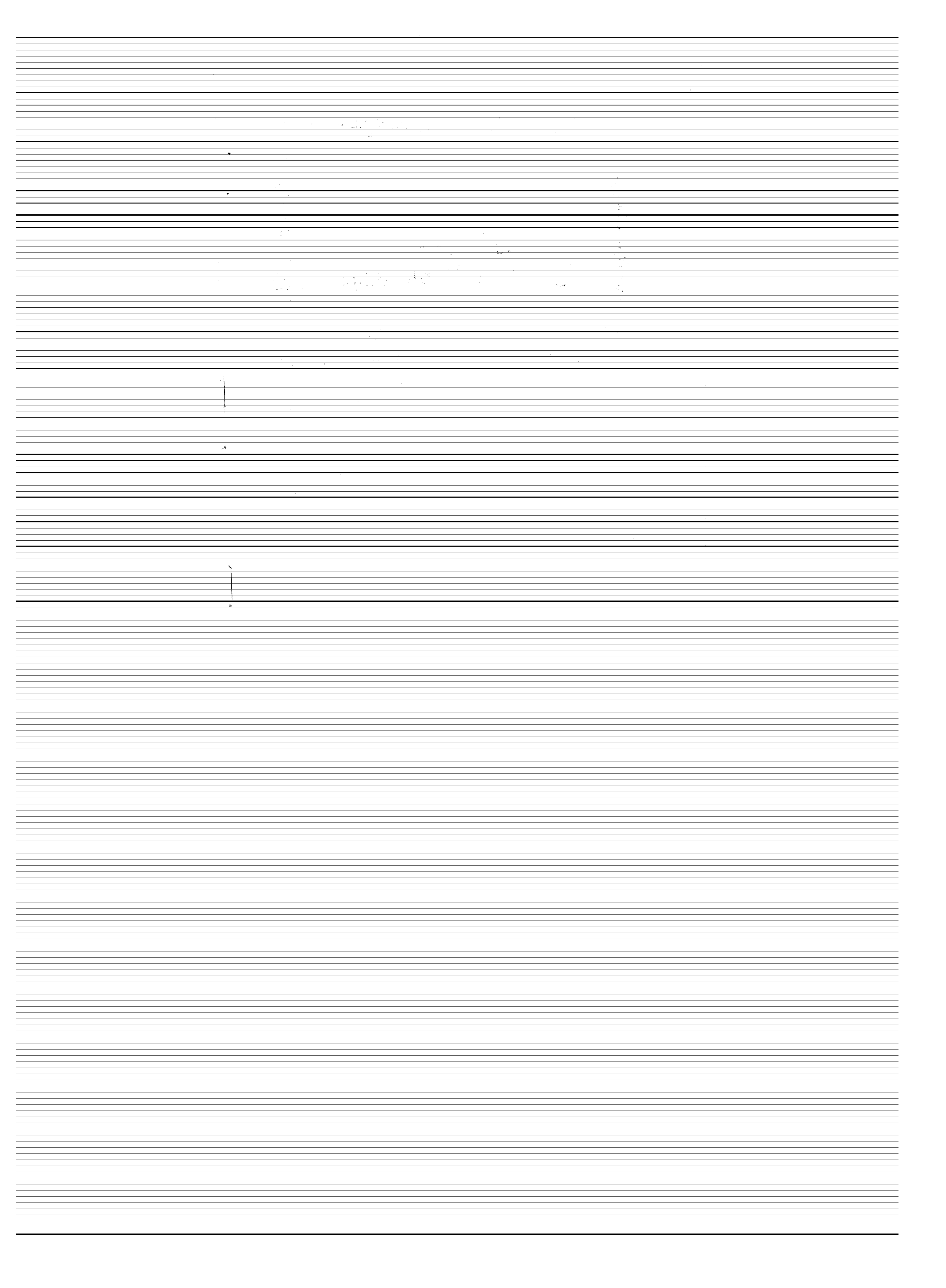
المبحث الأول- منزلة العقل فى القرآن .

المبحث الثانى- موانع إعمال العقل وموقف القرآن منها.

المبحث الثالث - من وظائف العقل فى القرآن

المبحث الرابع- موقف القرآن من العلم .

المبحث الخامس - مدى مطابقة تعاليم القرآن للعقل .



تمهيد

مرادفات كلمة (عقل) ومرادتها فى القرآن :

كلمة (عقل)

وردت مادة (عقل) فى القرآن الكريم فى تسعة وأربعين موضعاً (١). مثلما جاء فى قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾ (٢).

ويلاحظ أن مادة (العقل) لم ترد فى القرآن بصيغتها الاسمية بل وردت فى جميع مواضعها بالصيغة الفعلية.

مرادفات كلمة (عقل)

يجد القارئ للقرآن الكريم أن هناك ألفاظا كثيرة جاءت مرادفة لكلمة (عقل) ومن هذه الكلمات ما لا يحتمل إلا معنى العقل.

وإن لم تأت مادة (عقل) فى القرآن بصورتها الاسمية فقد جاءت كلمات ترادف العقل بصورتها الاسمية وسيأتى بيان هذا فيما يلى :-

***اللب :**

وقد وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم ست عشرة مرة (٣) ولم ترد فيه إلابصيغة الجمع مثال هذا :-

ما جاء فى قوله تعالى : - ﴿ .. إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ (٤)

وقوله : - ﴿ .. فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا ... ﴾ (٥)

واللب : (هو العقل الخالص من الشوائب وقيل - هو ما ذكا من العقل فكل لب عقل ولاعكس. ولهذا علق الله الأحكام التى لاتدركها إلا العقول الذكية بأولى الألباب) (٦).

*الحجر :

وهذه الكلمة جاءت بمعنى العقل إذ أن كلتيهما جاءتا بمعنى المنع . وقد جاءت بصيغتها الاسمية فى القرآن الكريم سبع مرات . لمعان مختلفة وبمعنى العقل مرة واحدة منها قال تعالى :- ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ (٧).

*القلب :

وردت لفظة (القلب) فى القرآن فى مائة وسبعين مرة لمعان مختلفة بصيغ مختلفة مفردة ، ومثناة ،ومجموعة .

ومن المواضع التى وردت فيها بمعنى العقل قوله تعالى :- ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (٨)

وقوله تعالى :- ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾(٩)

*الفكر :

وردت فى القرآن ثمان عشرة مرة بصيغتها الفعلية فقط و الفكر عمل من أعمال العقل . قال تعالى :-﴿ .... كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾(١٠)

وقال تعالى :- ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴾ (١١)

*النُّهى :-

جاءت فى القرآن الكريم فى موضعين بمعنى العقل فى (سورة طه) قال تعالى :

﴿ كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهى ﴾ (١٢).

وقال تعالى :﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾(١٣)

وهناك ألفاظ جاءت في القرآن بمعنى العقل :- وهى عبارة عن الوظائف التى يقوم بها العقل مثل :

***العلم :**

وردت في القرآن الكريم في ثمانمائة وأربعة وستين موضعاً بصيغ مختلفة :

مثل قوله تعالى ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم إن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ (١٤)

***الفقه :**

وقد وردت في القرآن في عشرين موضعاً بالصيغة الفعلية بهيئة الفعل المضارع .

مثل قوله تعالى ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾(١٥)

***البصر :**

وردت في القرآن في مائة وثمانية وثلاثين موضعاً . منها ما هو مختص بعمل العين . ومنها ما هو مختص بعمل العقل الذى هو بمعنى التبصر والاعتبار . وهو ما يخص البحث هنا . مثل قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها (١٦) .

وقوله : ﴿ .... هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾(١٧)

هوامش الفصل الأول

(١) جميع هذه الإحصائيات من المعجم الفهرس لألفاظ القـــرآن الكريم-محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) سورة يوسف آية ٢

(٣) سورة يس آية ٦٨

(٤)سورة الرعد من آية ١٩

(٥)سورة الطلاق من آية ١٠

(٦) ابو البقاء الكفو ى- الكليات ج٤ ص١٧٣- مرجع سابق.

(٧)سورة الفجر آية ٥

(٨) سورة ق آية : ٣٧

(٩) سورة الحج آية ٤٦

(١٠) سورة البقرة من آية ٢١٩

(١١) سورة الأعراف آية ١٨٤

(١٢) سورة طه آية ٥٤

(١٣) سورة طه آية ١٢٨

(١٤) سورة الحج آية ٥٤

(١٥) سورة الأنعام آية ٩٨

(١٦) سورة الأنعام من آية ١٠٤

(١٧) سورة الأعراف من آية ٢٠٣



المبحث الأول
منزلة العقل فى القرآن

تمهيد :

للعقل فى القرآن الكريم منزلة عظيمة فقد احتفى القرآن بالعقل أيما احتفاء فكرمه وفضله وتحاكم إليه وارتضى حكمه فى الرد على المخالفين الذين عطلوا عقولهم وكثيراً مايجد القارئ للقرآن آيات تختم باستفهام إنكارى على من لم يستعملوا عقولهم مثل قوله -سبحانه وتعالى - " أفلا تعقلون "(١) ، أفلا تتفكرون "(٢) وجميعها تنضح بالنعى على من عطلوا هذه الآلة العظيمة التى وكل الله عز وجل بها الهداية . وتستنفرهم استنفاراً إلى إعمالها ألا وهى العقل ((وليس فى تاريخ الثقافة الإنسانية كتاب ينشئ العقل المؤمن إنشاءً ويعرض آيات الله فى الأنفس والآفاق لتكون ينابيع فكر يتعرف على الله ويستريح لعظمته كما وقع فى هذا القرآن))(٣)

ومن يتلو القرآن الكريم بتدبر وتفكر يجد أن القرآن قد نوه بفضل من يعملون عقولهم ولا يعطلونها . فكثرت فى القرآن الآيات التى تمدح أولى الألباب الذين أزالوا عن عقولهم الحجب التى تمنعها من الوصول إلى الحق . يدل هذا على الثقة المطلقة التى أعطاها القرآن للعقل الإنسانى السليم الذى إن زالت الموانع التى تقف بينه وبين الحق لوصل إليه فى سهوله ويسر .

لذلك لا عجب أن ((جاء القرآن فانتهج بالدين منهجاً لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة منهجاً يمكن لأهل الزمن الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا به .. لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته بل ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين لصحة ما ادعاه ودعا إليه ... وتآخى الدين والعقل لأول مرة فى كتاب مقدس .على لسان نبى مرسل بتصريح لا يقبل التأويل وتقرر بين المسلمين كافة ، إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه ، أن من قضايا الدين مالا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل ...كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشىء قد يعلوا على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل مع العقل)) (٤).

ومما يدلل على أن للعقل فى القرآن منزلةً عظيمةً أنه جعل تعطيل العقل عن عمله سبباً لدخول النار قال تعالى حكاية عن أهل النار ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ (٥).

وبمفهوم المخالفة يفهم أن إعمال العقل وسيلة لدخول الجنة وليس أدل على ذلك من الآيات التى جاءت فى سورة آل عمران تمدح أولى الألباب وتبين صفاتهم وفى آخرها هذا الوعد ا[لذ]ى ينتظرهم فقال التعالى : ﴿إن فى خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآ[يا]ت لأولى الألباب ﴾(٦) ثم قال تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم و لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ (٧).

ومن مظاهر احترام القرآن للعقل . أنه يطالب كل مدع بتقديم الحجة والبرهان على دعواه فكثيراً ما يجد القارئ للقرآن عند كل ادعاء يدعيه المخالفون أن القرآن يطلب منهم البرهان والبينة على ما يدعونه لأن القرآن لا يكتفى بالدعوى فالبينة على من ادعى وهذا واضح فى القرآن كما ورد فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة رداً على من زعموا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى قائلين :- ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ فرد عليهم طالبا البينة والبرهان على هذه الدعوى قائلا : ﴿ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٨) .

وعلى هذا المنوال سار القرآن فـ ((علم أهله أن يطالبوا الناس بالحجة لأنه أقامهم على سواء الحجة .وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه)) (٩).

والخلاصة : يجد المطلع على القرآن متدبراً أنه قد وضع العقل فى منزلة سامقة وأكبر من شأنه وجعله وسيلة عظيمة يصل بها الإنسان إلى الإيمان الحق فإن((أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن لسلطته فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه)) (١٠).

وفيما يلى بيان لمنزلة العقل فى القرآن الكريم من خلال النقاط التالية :-

(أ) السياق الذى يذكر العقل فيه فى القرآن :

من يقرأ القرآن الكريم بتدبر وتفكر يجد أنه لا يذكر العقل إلا فى سياق كله توقير له واحترام لفضله وتنبيه على خطره وأهميته وهذه مزية للعقل عظيمة يؤكد هذا ما ذكره صاحب كتاب _ التفكير فريضة إسلامية _ عن العقل فى القرآن من أنه ((لا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية ، بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر الإشارة فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجة عليه ، ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ،بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها ، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع (١١) ولا فى العقل المدرك (١٢) ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب كل ما يتسع له الذهن الإنسانى من خاصة أو وظيفة)) (١٣).

وليست هذه الدعوى بغير دليل . فالأدلة عليها أكثر من أن تحصى هاهنا يعرفها من يقرأ القرآن الكريم . مثل قوله تعالى ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (١٤).

فقد أودع الله عز وجل خلق السماوات والأرض آيات ومعجزات لا يدركها إلا أولو الألباب فهم وحدهم الذين يعتبرون بها ويعرفون قدرة صانعها.

كما ذم القرآن من يعطلون عقولهم حتى إنهم صاروا إلى حالة أنهم يأمرون الناس بالبر وهم فى نفس الوقت ينسون أنفسهم من الالتزام به وهذا نابع من عدم إعمالهم لعقولهم : قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟! (١٥).

تقول إحدى المهتديات (١٦) إلى الإسلام ((عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذى يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها وإنه يقدم الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها فى غيره من الكتب الدينية أما القرآن فيتحدث عنها فى نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هى الحقيقة وأن هذا الكلام من عند الله لا محالة))(١٧).

(ب) إعمال العقل عبادة :

فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعوا إلى إعمال العقل وتجعل هذا من جوهر العبادة التى يتقرب بها إلى الله تعالى :- قال تعالى : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (١٨).

يقول الإمام الآلوسى (١٩) فى تفسير هذه الآية مبينا العلة من عطف كلمة يتفكرون على كلمة يذكرون :-((عطف على يذكرون وعطفه على الأحوال السابقة غير ظاهر وتقديم الذكر فى هذه الحالة على التفكير لما فيها من العبودية والعبد مركب من النفس الباطنة والبدن الظاهر وفى الأول إشارة إلى عبودية الثانى وفى الثانى إشارة إلى عبودية الأولى لأن التفكير إنما يكون بالقلب والروح وفى بيان العبودية بعد الفراغ من الربوبية ما لا يخفى من اللطف وقيل قدم الأول لأنه إشارة إلى النظر فى الأنفس وأخر الثانى لأنه إشارة إلى النظر فى الآفاق ولا شبهه فى تقديم الأول على الثانى)) (٢٠)... واستدل على هذا بما أخرجه ابن المنذر عن عون قال " سألت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبى الدرداء قالت التفكر والاعتبار)) (٢١).

وفى الأمر بإعمال العقل وجعله عبادة ما لا يخفى من الفائدة إذ يلاحظ أن فى هذا الأمر استعمالاً لطاقة عظيمة أودعها الله تبارك وتعالى فى الإنسان جديرة بأن تأخذ بيده نحو أقرب السبل وأهداها للهداية وإعمال العقل يؤدى إلى جنى الثمار المفيدة منه وذلك

لأن ((لكل عضو وظيفة ووظيفة العقل هى التأمل والنظر والتفكير وإذا تعطلت هذه القوى بطل عمل العقل وعطل من أهم وظائفه وتبع ذلك توقف نشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء ،والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله ويفيق من سباته فدعا إلى النظر والتفكير وعد ذلك من جوهر العبادة ... (٢٢).

﴿ قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ﴾ (٢٣).

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ (٢٤).

يقول أحد الشعراء (٢٥).

لما أتت ثورة التوحيد وانكشفت ** براثن الكفر وانجابت دياجيها

فكت عقال عقول من غياهبها ** فأسرعت قدماً للخلد تشريها

ففتحت من عيون الخير مغفرة ** وأصبح الكون درباً فى نواحيها

وفى الأمر بإعمال العقل فائدة أخرى إذ أن ذلك من شأنه أن يبوئ الإنسان مكانته الحقيقية التى وضعه الخالق- سبحانه- فيها مكانة السيد فى الكون على غيره فيستطيع أن يقوم بالوظيفة التى سوده الله تعالى من أجلها وهى إعمار الأرض والخلافة فيها وذلك لأن (العقل والحواس جميعها مسئولة لا تنفرد أحدها عن الأخريات فى تحمل تبعة البحث والتمحيص والاستقراء والاختيار والإنسان مبتلى بهذه المسئولية لأنه من طينة أخرى غير طينة الأنعام)

﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾(٢٦)

ومن ثم تتوالى الآيات تلو الآيات تؤكد مرة تلو المرة على أن السمع والبصر والفؤاد جميعاً هى التى تعطى للحياة الإنسانية قيمتها وتفردها وأن الإنسان بتحريكه هذه القوى والطاقات . بفتحه هذه النوافذ على مصاريعها باستغلال قدراتها الفذة العجيبة حتى

النهاية سيصل إلى قمة انتصاره العلمي والديني على السواء لأن هذه الانتصارات ستبوؤه مركزه المسئول كسيد على العالمين وخليفة في الأرض وأنه بتمجيده هذه الطاقات ،وقفل نوافذها وسحب الستائر والأغشية عليها يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا التى ما أرادها له الله يوم منحه السمع والبصر والفؤاد ،منزلة البهائم والأنعام)) (٢٧)٠

﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾(٢٨)

(ج) العقل وسيلة لزيادة الإيمان

مما لا جدال فيه أن إيمان المكلفين يزيد وينقص وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي قال تعالى : - ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ... ﴾ (٢٩)

ومن الأمور التى تؤدى إلى زيادة الإيمان إعمال العقل وقد بين القرآن الكريم أثر استعمال العقل فى زيادة الإيمان أيما بيان فى قصة إبراهيم عليه السلام حينما طلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحى الموتى وعلل ذلك بأنه يطلب طمأنينة القلب التى تؤدى إلى زيادة الإيمان- والرسل يزيد إيمانهم ولا ينقص ((فتراه وهو المصطفى للنبوة قد أعوزته طمأنينة القلب فى كيفية إحياء الله تعالى للموتى فسأل ربه أن يريه كيف يحى الموتى .قال تعالى :- ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾(٣٠) ٠

((ولم يغضب سبحانه وتعالى من نبيه إبراهيم _ عليه السلام -حين سأل ما سأل ولا حرمه شرف الاصطفاء للنبوة)) (٣١)٠

وهذا مما يؤكد ما للعقل من أهمية فى ارتقاء الإيمان وزيادته فإن ((حدة الذكاء ويقظة الفكر واستنارة الرأى عناصر لا بد منها في تكوين الإيمان الصحيح فإن الإيمان معرفة بلغت حد اليقين . وانتفت معها الريبة وحيث لا يوجد الإدراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذى موضوع ... إننا نستوحى هذا الحكم من نصوص القرآن الكريم نفسه فالعقول الذكية وحدها هى التى تستطيع اختراق أسوار الكون ومعرفة آيات الله فى شتى الأمكنة والأزمنة(٣٢)٠

﴿ ... إنما يخشى الله من عباده العلماء ... ﴾(٣٣).

﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ .(٣٤).

يقول صاحب كتاب (تجديد الفكر الدينى فى الإسلام) مبينا أهمية العقل للإيمان وتثبيته ((لا نستطيع أن ننكر أن الإيمان أمر أكثر من مجرد الشعور فهو فى حقيقته يشبه رضا النفس عن علم ومعرفة ووجود الفرق المختلفة من المتكلمين والمتصوفة فى تاريخ الدين شاهد بأن الفكر عنصر جوهرى من عناصره . وإلى جانب هذا فإن الدين من حيث هو عقيدة هو كما عرفه الأستاذ (هويتهد) :- (نظام أو مجموعة من الحقائق العامة لها تأثير فى تكييف الخلق إذا صدق الاعتقاد بها وفهمت فهماً واضحاً قوياً) وفى الحق إن الدين نظراً لوظيفته أشد حاجة حتى من المبادئ العلمية المسلمة إلى أساس عقلى لمبادئه الأساسية))(٣٥).

(د) إشادة القرآن بأهل العقول السليمة

(أولى الألباب)

ذكرت كلمة (الألباب) فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعاً . وفى جميع هذه المواضع كانت تأتى مضافة إلى كلمة أولى . وفيها جميعاً كان الحديث يأتى فى معرض المدح لأولى الألباب . فقد أشاد القرآن الكريم بهم ومدحهم ونوه بفضلهم وبين أنهم خير من يفهم حكم الله ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ﴾ (٣٦)

وبين أنهم أولى الناس بتقوى الله ﴿ .... وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾] .(٣٧)

وبين أنهم وحدهم الذين يذكرون ﴿ ... وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾(٣٨).

((وقد جاءت الآيات تبين من هم أولو الألباب فقد بين الله عز وجل أن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات ولكن هذه الآيات لا تنكشف إلا لأهل

اللب ثم بين أن أهل اللب هم الذين اجتمع لهم الفكر والذكر وأنهم يعطون الله كاثر من فكرهم وذكرهم ما يليق بجلاله فهم الذين خلصت عقولهم عن الهوى خلوص اللب من القشر(٣٩)))

وبين القرآن أن الفلاح هو المآل لأولى الألباب بشرط بسيط جداً ألا وهو تقوى الله ﴿ ... فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون ﴾(٤٠) .

((وإنما خص أولى الألباب بالذكر فى عجز هذه الآية بعد مخاطبة كل مكلف فى صدرها لأن أهل البصيرة والروية من العقلاء هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التى تدل عليها أوائلها ومقدماتها بعد التأمل فى حقيقتها وصفاتها فلا يصرون على الغرور بكثرة الخبيث بعد التنبيه والتذكير ،أما الأغرار الغافلون الذين لم يعرفوا عقولهم على الاستقلال فى النظر والاعتبار بالتجارب والحكم فلا يفيدهم وعظ واعظ ولا تذكير مذكر . (٤١)

(هـ) التنديد بمن يعطلون عقولهم

كما أشاد القرآن الكريم بمن يستعملون عقولهم إشادة عظيمة فإنه قد ندد بمن يعطلونها وذمهم فى كثير من الآيات إشارة إلى ما أدى إليه هذا التعطيل من ضلال مبين عن النهج القويم والطريق السليم.

وكثيراً ما يبين القرآن أن السبب فى ضلال الشاردين عن الحق إنما هو تعطيل العقل عن وظيفته الأساسية .

يظهر هذا فى حديث القرآن عن المشركين الذين عبدوا غير الله وأرجع السبب فى ذلك إلى إلغائهم لعقولهم .

قال تعالى ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ (٤٢)

وأشار إلى الذين أضلهم الشيطان فأبعدهم عن الصراط المستقيم وبين أن السبب إنما كان لأنهم لا يعقلون قال تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾(٤٣).

وبين أن من الأسباب التى صدت المشركين عن الإيمان برسولهم أنهم لم يتفكروا قال تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴾ (٤٤).

فلو أنهم أعملوا عقلهم فتفكروا لعلموا أنه ما به من جنة وأنه جدير بالإتباع فهو الصادق الأمين .

وكفى بمن عطلوا عقولهم توبيخاً . هذه الآيات القرآنية قال تعالى :﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٤٥)

فإن الآية الكريمة جعلت الذين لا يعقلون هم شر ما خلق الله .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾(٤٦). ((والآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولاهداية هو شأن الكافرين وأن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به فمن ربى على التسليم بغير عقل والعمل ،ولو صالحاً،بغير عقل فهو غير مؤمن لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان بل القصد أن يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينه)) (٤٧)

ومن تشنيع القرآن على من لا يعقلون قوله تعالى فى شأن المقلدين الذين يستنكفون أن يتبعوا ما أنزل الله بحجة أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ (٤٨).

((ولو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم من التقليد فإنهم فى كل ملة وجيل يرغبون عن إتباع ما أنزل الله استئناسا ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه ،وحسبك بهذا شناعة إذ العقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس وإن كبر عقله وحسن سيره)) (٤٩).

ويا له من تشنيع على من يعطلون عقولهم عن الوظيفة التى خلقت من أجلها إن القرآن الكريم يجعلهم يهبطون إلى مستوى أقل من رتبة الأنعام ((والذين يجحدون نعمة العقل ولا يستعملونه فيما خلق من أجله ويغفلون عن آيات الله هم موضع التحقير والازدراء .

والله سبحانه وتعالى يعتب عليهم فيقول ﴿ وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (٥٠)

((وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان . وهو الذى حال بين الأقدمين وبين النفوذ إلى الحقائق فى الأنفس والآفاق)) (٥١) يقول الله _سبحانه- ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾(٥٢)

((وليس أدل على تشريف القرآن الكريم للعقل وحرصه على بيان قيمته من أنه قدر أن الرجس نصيب الذين لا يعقلون)) (٥٣) .

قال تعالى ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون ﴾ (٥٤)

(و) العقل وسيلة للمنع من فعل المحرمات

تحدث القرآن الكريم عن العقل من جهة كونه وسيلة عظيمة تمنع المكلف من ارتكاب المحرمات والتعدى على حدود الله ولا عجب فالكلمة فى أصلها تعود إلى معنى المنع والحجر كما سبق فى التعريف بالكلمة .(٥٥) ومن الآيات التى جاءت بياناً لهذا الأمر قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ﴾ (٥٦).

والمراد بأولى الألباب فى الآية ((العقلاء الذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف فإذا أرادوا الأقدام على قتل أعدائهم وعلموا أنهم يطالبون بالقود صار ذلك رادعاً

لهم لأن العقل لا يريد إتلاف غيره بإتلاف نفسه فإن خاف ذلك كان خوفه سبباً للكف والامتناع إلا أن هذا الخوف إنما يتولد من الفكر ... ممن له عقل يهديه فمن لا عقل له يهديه إلى هذا الفكر لا يحصل له هذا الخوف ، فلهذا السبب خص الله سبحانه بهذا الخطاب أولى الألباب))(٥٧)

و لبيان أهمية العقل للعصمة من المحرمات كما جاء فى القرآن الكريم يقول صاحب كتاب (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) : ((جماع أمراض القلب هى أمراض الشهوات والشبهات والقرآن شفاء للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هى عليه وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية من التوحيد وإثبات الصفات وإثبات المعاد والنبوات ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً فهو الشفاء على الحقيقة من أدوية الشبه والشكوك .

وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والتزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة والأمثال والقصص التى فيها أنواع العبر والاستبصار فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه فى معاشه ومعاده ويرغب عما يضره فيصير القلب محباً للرشد مبغضاً للغى)) (٥٨)

والآيات التى تبين أهمية العقل فى منع مرتكبى المحرمات من معاصيهم أكثر من أن تحصى فمن يتدبر القرآن يجد أنه ما من معصية تكلم عنها وعن مرتكبيها إلا ورد غالباً- سبب ارتكابها إلى إلغائهم لعقولهم بداية من أعظم الذنوب وهو الشرك إلى المعاصى الأقل منها جرماً .

ففى شأن الشرك قال تعالى حكاية عن نبيه إبراهيم -عليه السلام- مخاطبا المشركين : - ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾(٥٩)

فلو كانوا ذوى عقول يفكرون بها لما أشركوا بالله ولكنهم لما ألغوا عقولهم ، وعطلوها مختارين- ترديوا فى هذا المنحدر السحيق.

وفى شأن غيرها من المعاصى يقول تعالى ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ (٦٠) حتى الاستهزاء بفريضة من فرائض الإسلام كان نتيجة لتعطيل العقل فهم لم يكتفوا بكفرهم بالله تعالى وبعدهم عن طريقه حتى أضافوا لأنفسهم سبة أخرى ؛ أن هونوا من شأن فرائضه التى شرعها واتخذوها هزواً ولعباً .

قال حكيم فى بيان أهمية العقل فى المنع من المعاصى ((ركب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وركب فى البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم)) (٦١)

(ز) اهتمام القرآن بالحفاظ على العقل:

نظراً لما للعقل من منزلة عظيمة فى القرآن . فقد اهتم القرآن بالحفاظ عليه اهتماماً كبيراً فشرع من الأحكام ما يجعل العقل مصوناً محفوظاً من أن يفسده أحد أو يعطله حتى يؤدى وظيفته التى خلقه الله عز وجل من أجلها . ومن هذه التشريعات :-

*تحريم كل ما يؤدى إلى تعطيل العقل :

جاء القرآن الكريم بالتحريم القاطع للخمر وهى اسم لكل ما يخامر العقل فيغطيه ويحجبه قال صاحب كتاب لسان العرب :-((والخمر : ما خمر العقل . وهو المسكر من الشراب)) (٦٢) .

(والتخمير : التغطية ، يقال : خمر وجهه وخمر إناءك)) (٦٣)

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٦٤).

وهذه الأشياء التى أمر القرآن باجتنابها من الخبائث التى لها تأثير سيئ على الأمم والأفراد . قال صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن ((أمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة فحصل الاجتناب فى جهة التحريم فبهذا حرمت الخمر ولا خلاف بين علماء المسلمين أن " سورة المائدة " نزلت

بتحريم الخمر وهى مدنية من آخر ما نزل .. روى ابن عباس قال : لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعضهم إلى بعض وقالوا :- حرمت الخمر وجعلت عدلاً (مساوية) للشرك ، يعنى أنه قرنها بالذبح للأنصاب وذلك شرك» (٦٥)

وقد حرمت الخمر لما لها من تأثير على العقل حيث تعطله عن عمله ووظيفته التى وجد من أجلها ((ومن المسلم به من الناحية الطبية والاجتماعية فى عصرنا الحاضر أن الخمر لا فائدة فيها وأن أضرارها لا تحصى فهى تفسد العقل وتفسد الصحة وتؤدى إلى العقم أحياناً وإلى ضعف النسل غالباً كما تؤدى إلى ضياع المال وضياع الكرامة)) (٦٦).

ولأن العقل هو الوسيلة التى تمنع الإنسان من الوقوع فى الموبقات من هنا يعلم حجم الجرم الذى يرتكبه الإنسان حين يشرب المسكرات التى تغيب عقله طائعاً مختاراً .

ولقد سبق الإسلام بتحريم الخمر -من خلال القرآن الكريم -. العلماء فى العصر الحديث الذين علموا من خلال تجاربهم مدى الفساد الذى تجلبه الخمر على الفرد والمجتمع. فحاولوا تحريم الخمر ومنعها من أن يتناولها الناس بدون جدوى ((فلقد حرم الإسلام الخمر وعاقب على شربها من ثلاثة عشر قرناً . [هذا وقت كتابة هذا الكلام صارت المدة الآن أكثر من أربعة عشر] وانفرد بتحريمها والعقاب عليها طيلة هذه المدة حتى جاء العالم فى القرن العشرين _الميلادى- ليشهد للإسلام أنه كان على حق فى موقفه من الخمر .. ولقد حمل العالم على هذه الشهادة أن العلم أثبت أن الخمر حقيقة أم الخبائث كما قال عنها الإسلام وأنها مفسدة للعقل .)) (٦٧).

والقرآن بتحريمه الخمر كان يرد الإنسان إلى فطرته النقية التى فطره عليها حيث كان يحافظ على العقل من ((أن يختل بفعل شراب تدخل عليه تغيرات تخرجه عن فطرته التى فطره الله عليها ، فتسلب الأداة الرئيسية التى تعلق بها حفظ التوازن فى الإنسان وتحوله إلى حيوان مسلوب العقل فاقد البصيرة لا يميز بين ما يجب أن يأتى وما يجب أن يترك ويزين له الجريمة والفحش ، وتشتت همته من أن تجتمع لتصحيح وحدة القصد ووحدة القول ووحدة الاعتقاد)) (٦٨).

وتحريم القرآن للخمر قاطع وصريح فقد احتوت آيتا التحريم سبعة أدلة على التحريم فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (٦٩).

يقول صاحب كتاب المجموع :-((وفى هاتين الآيتين سبعة أدلة :

١- أن الله سبحانه وتعالى قرن بين الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وقدمه عليها وهذه الأشياء كلها محرمة فدل على تحريم الخمر .

٢- أن الله تعالى سماها رجساً . والرجس اسم للشيء النجس وكل نجس حرام .

٣- قوله تعالى " من عمل الشيطان " وما كان من عمل الشيطان فهو حرام .

٤- قوله تعالى " فاجتنبوه " ولا يأمر إلا باجتناب محرم .

٥- قوله " لعلكم تفلحون " وضد الفلاح : الفساد .

٦- قوله " ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة " وما صد عن ذلك فهو حرام .

٧- قوله " فهل أنتم منتهون " وهذه أبلغ كلمة في الزجر عن شيء .

وقد أسمى الشاعر الخمر بالإثم فقال :

شربت الإثم حتى زال عقلي ** كذاك الإثم يذهب بالعقول .))(٧٠)

يضاف إلى هذا أن الآية الثانية بينت أن الخمر وسيلة الشيطان لزرع العداوة والبغضاء وهما محرمتان وما أدى إلى المحرم فهو محرم .

وحينما حرم القرآن الخمر كان يهدف إلى جعل المسلم دائم اليقظة ليكون موصولاً بالله تعالى إذ أن((غيبوبة السكر - بأى مسكر - تنافى اليقظة الدائمة التى يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولاً بالله فى كل لحظة مراقباً لله فى كل خطوة ثم

ليكون بهذه اليقظة عاملاً إيجابياً فى تمام الحياة وتجددها وفى صيانتها من الضعف والفساد وفى حماية نفسه وماله وعرضه وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء)) (٧١).

مثال لتأثير الخمر على العقل

حكى الإمام الطبرى فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾(٧٢). قصة تبين ما للخمر من تأثير على العقل فقال: ((صنع سعد بن أبى وقاص طعاما فدعا ناسا من أصحاب النبى ﷺ فيهم رجل من الأنصار فشوى لهم رأس بعير ثم دعاهم إليه فلما أكلوا وشربوا من الخمر سكروا وأخذوا فى الحديث فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصارى فرفع لحى البعير فكسر أنف سعد فأنزل الله نسخ الخمر وتحريمها وقال :-﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٧٣)))، (٧٤).

هوامش المبحث الأول

(١) سورة آل عمران من آية ٦٥ (٢) سورة الأنعام من آية ٥٠

(٣) الشيخ محمد الغزالى-كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث . ص ١٢٩ ط . دار الشروق

(٤) الإمام الشيخ محمد عبده . الأعمال الكاملة تحقيق د. محمد عمارة ج٣ ص ٧٤ ، ط . دار الشروق

(٥) سورة الملك آية ١٠ ، ١١ (٦) سورة آل عمران آية ١٩٠

(٧) سورة آل عمران آية ١٩٥ (٨) البقرة آية ١١١

(٩) الإمام محمد رشيد رضا تفسير المنار ج١ ص٣٥٠

(١٠) الإمام محمد عبده - الأعمال الكاملة ج١ ص٣٠١

(١١) العقل الوازع : وظيفة من وظائف العقل يناط بها المنع عن المحظور والمنكر ومن هنا كان اشتقاقه من مادة " عقل " التى يؤخذ منها العقال : " عباس محمود العقاد- التفكير فريضة إسلامية ص ٣ "

(١٢) العقل المدرك : من خصائص العقل وهى ملكة يناط بها الفهم والتصور نفس المرجع ص٤ .

(١٣) أ. عباس محمود العقاد. التفكير فريضة إسلامية ص٣ . ط. دار الرشاد الحديثة الطبعة السادسة بدون تاريخ.

(١٤) آل عمران آية ١٩٠. (١٥) سورة البقرة آية ٤٤

(١٦) د. يبورا بوتر (D. Potter) ولدت عام ١٩٥٤ بمدينة ترافيز بولاية ميتشجن الأمريكية اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠ بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين فى أمريكا بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب

لمطالب الإنسان ذكرا كان أم أنثى . د . عماد الدين خليل -كتاب قالوا عن الإسلام ص ٥٥ .

(١٧) كتاب رجال ونساء أسلموا . عرفات كامل العشى ج٨ ص ١٠٠ نقلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص ٥٥ .

(١٨) سورة آل عمران آية ١٩٠ ، ١٩١

(١٩) هو الإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى الآلوسى البغدادى . مفتى بغداد بالعراق .ولد عام ١٢١٧ هـ ببغداد و توفى بها سنة ١٢٧٠ هـ من كتبه (روح المعانى) فى التفسير . ودقائق التفسير والأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية .

(٢٠) الإمام الآلوسى -روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج٤ ص ١٥٨

(٢١) الشيخ السيد سابق -العقائد الإسلامية ص ١٩

(٢٢) سورة يونس آية ١٠١ (٢٣) سورة سبأ آية ٤٦

(٢٤) شعر د . السيد الجميلى - كتاب الإعجاز الفكرى فى القرآن ص ١٠

(٢٥) سورة الإنسان آية ٢

(٢٦) د . عماد الدين خليل _ تهافت العلمانية ص ٣٣

(٢٧) سورة محمد آية ٢٣ (٢٨) سورة الفتح آية ٤

(٢٩) سورة البقرة من آية ٢٦٠

(٣٠) د. عائشة عبد الرحمن . القرآن وقضايا الإنسان ص١١٤

(٣١) الشيخ محمد الغزالى _ ظلام من الغرب ص٢٩

(٣٢) سورة فاطر آية ٢٨ (٣٣) سورة آل عمران آية ١٩٠

(٣٤) الأستاذ محمد إقبال -تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ص ٦

(٣٥) سورة البقرة أية١٧٩

(٣٦) البقرة من أيه١٩٧ (٣٧)البقرة من آيه٢٦٩ ، آل عمران من آيه٧

(٣٨) أ . سعيد حوى الأساس فى التفسير ج٢ ص٩٦٢ بتصرف يسير

(٣٩) المائدة من آية١٠٠

(٤٠) الإمام محمد رشيد رضا تفسير المنار ج٧ ص١٠٤ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٤١) سورة الأنبياء آية ٩ (٤٢) سورة يس آية٦٢

(٤٣) سورة الأعراف آية ١٨٤ (٤٤) الأنفال آية ٢٢

(٤٥) البقرة ١٧١ (٤٦) أ. محمد رشيد رضا تفسير المنار ج٢ ص ٧٧ .

(٤٧) البقرة ١٧٠ (٤٨) محمد رشيد رضا تفسير المنار ج٢ ص٧٤.

(٤٩) يوسف آية ١٠٥ (٥٠) الشيخ السيد سابق . العقائد الإسلامية ص ٢٠

(٥١) سورة الأعراف آية ١٧٩

(٥٢) أ . عبد الرازق نوفل بين الدين والعلم ص١٦٦ .

(٥٣) سورة يونس آية ١٠٠ (٥٤) ص١٩ ، ٢٥

(٥٥) سورة البقرة آية ١٧٩

(٥٦) الإمام الفخر الرازى . مفاتيح الغيب ج٥ ص٦٢ ط . دار الفكر الطبعة الثالثة- ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م

(٥٧) الإمام ابن القيم . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ٤٧ .

(٥٨) سورة الأنبياء آية ٦٧

(٥٩) سورة المائدة آية ٥٨

(٦٠) محمد بن على التهانوى-كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ج٣ ص ١٠٣٣
مادة العقل . ط . دار صادر بيروت .

(٦١)،(٦٢) ابن منظور لسان العرب مادة (خمر) ج٢ ص ١٢٩٥

(٦٣) سورة المائدة آية ٩٠

(٦٤) الإمام القرطبى-الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص ١٨٦ .

(٦٥) المستشار عبد الخالق عودة-التشريع الجنائى الإسلامى ج١ ص٦٥٠ طبعة مؤسسة
الرسالة بيروت-القاهرة .الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٦٦) نفس المرجع ص ٦٥١ بتصرف يسير .

(٦٧) عبد القادر أحمد عطا-هذا حلال وهذا حرام ص١٥٩-دار الاعتصام القاهرة

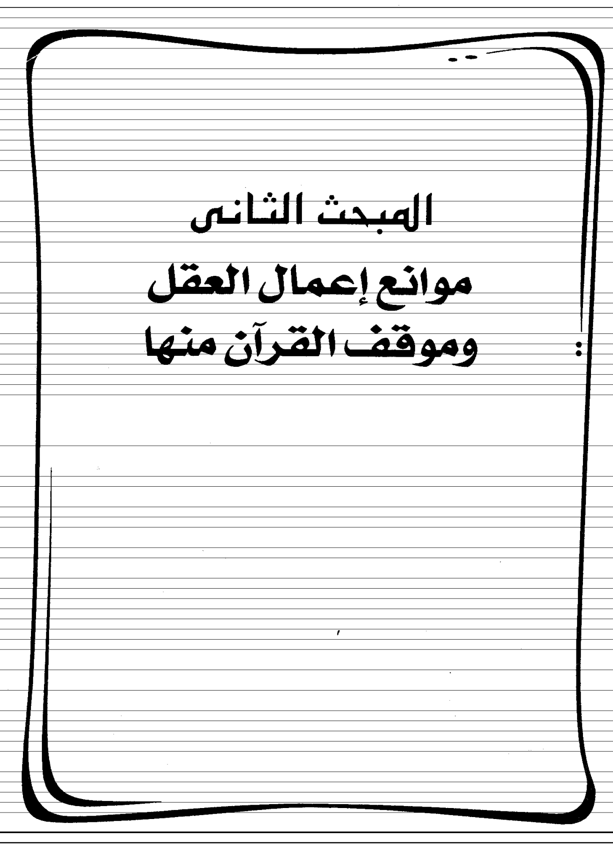
(٦٨) سورة المائدة آية ٩٠، ٩١

(٦٩) الشيخ محمد بخيت المطيعى تكملة كتاب المجموع فى شرح المهذب للشيرازى
للإمام النووى ج٢٢ ص٢٥١ مكتبة الإرشاد . جدة .

(٧٠) الأستاذ سيد قطب . فى ظلال القرآن ج٢ ص ٩٧٧ دار الشروق بيروت-القاهرة

(٧١) سورة البقرة من آية ٢١٩ (٧٢) سورة المائدة آية ٩٠

(٧٣) ، (٧٤) جامع البيان فى تأويل آى القرآن . ابن جرير الطبرى ج ص



المبحث الثاني

موانع إعمال العقل

وموقف القرآن منها

نظراً لما للعقل من منزلة عظيمة فى القرآن الكريم بسبب أهميته فقد تعرض القرآن الكريم للموانع التى تحول بينه وبين أداء وظيفته وهدمها هدماً لا قائمة لها بعده إذ حاربها وهون من شانها وحذر منها ودعا المكلفين إلى أن يسيروا فى كل الأمور على بينة وبرهان .

قال تعالى :- ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم(١)

وبالطبع لا يستوى من كان يدين لله تعالى بالعبادة والطاعة وهو على بينة من أمره مع من يسير كما زين له هواه ووسوست له نفسه .

وكما قد مر فى المبحث السابق من اعتبار إعمال العقل عبادة يقترب بها إلى الله تعالى فإنه ((حين يكون العمل بالعقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاه لمخلوق مثله أو خوفاً منه ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات وتتعاقب مع الأجيال)) (٢) كلا كلا لا ينبغى لأحد أن يعطل عقله حتى وإن زين له عمل السابقين وجُمّل له عمل المعاصرين وأغرى بتقليدهم فالأمر فى القرآن واضح حيث طلب البرهان والبينة عند أى دعوى .

ومن أهم الموانع التى تمنع العقل عن عمله كما جاءت فى القرآن الكريم ما يلى :-

١- التقليد للسابقين تقليدا أعمى

تعنى كلمة التقليد ((قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل)) (٣)

وهو من أكبر الموانع التى تعطل العقل وتلغى عمله حيث يؤثر المرء الراحة وعدم شغل البال على إعمال عقله وإجهاده . فيؤثر العادة والعبادة التى ألفها عن آبائه وأساتذته فيقلدهم ويرغب عن اتباع ما يوحيه إليه العقل السليم حتى و إن كان آباؤه ومن يقلدهم لاعقل لهم . وعلى هؤلاء يرد القرآن بكل صراحة وحسم . ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولايهتدون ﴾ (٤) .

وما أسخف من كان هذا حاله ((حيث دعى إلى اتباع شريعة الله التى هى الهدى والنور فأجاب باتباع شريعة أبيه وكأنه قال هل رأيتم أسخف رأياً وأعمى بصيرة ممن دعى إلى القرآن المنزل من عند الله فرد ذلك واضرب عنه ، واثبت أنه يتبع ما وجد عليه أباه ؟! وفى هذا دلالة على ذم التقليد وهو قبول الشيء بلا دليل ولا حجة وحكى ابن عطية أن الإجماع منعقد على إبطاله فى العقائد)) (٥)

وكما نعى القرآن على أهل التقليد فى كل شيء فإنه قد أثنى على من استغنوا عنه ((فإن الله يثنى على الذين يخلصون للحقائق ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتمحيص فيأخذون ما هو أحسن ويدعون غيره)) (٦). قال تعالى : ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولى الألباب ﴾(٧).

والسبب فى عدم رضا القرآن عن التقليد - خاصة فى مجال العقيدة- هو أن ((التقليد يفقد الإنسان شخصيته ويجعله يفكر بعقل غيره فإذا نشأ فى بيئة كافرة ملحدة أو تتلمذ على أناس ملحدين سلم إليهم زمام نفسه وعاش معهم ذيلاً وإمعة ، يؤمن بما آمنوا ويكفر بما يكفرون فمن الناس من يقلد سلفه وآباءه ومنهم من يقلد كبراءه وزعماءه ومنهم من يقلد أساتذته ومعلميه . وكل هذه الألوان من التقليد حجب وسدود تحول بين الناس وبين الإيمان بالحق ولهذا حمل عليها القرآن وعلى أصحابها)) (٨).

لقد أبهرت هذه الدعوة إلى أعمال العقل والتخلص من التقليد للسابقين تقليداً أعمى واحداً من غير المسلمين (٩) فقال : ((إن من يدخل الإسلام من الأمم التى فتحها المسلمون ورفرف عليها علم الملة (المحمدية) إنما يدخله بعد أن عرف مزايا هذا الدين واتسامه بالصدق والبراهين المنطقية واتفاقه مع العقل وعدم رضاه عن التقليد الأعمى وإلحاحه الدائم على النظر فى الآيات فهو كالبضاعة الجيدة يعرضها التاجر أمام المشترين واثقاً من أنها ترضى أصحاب الأذواق الجيدة منهم)) (١٠).

٢- اتباع الهوى :

من موانع عمل العقل التى حاربها القرآن اتباع الهوى و الهوى هو :((ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع))(١١)

واتباع الهوى من الموانع التى تحول بين العقل وبين عمله فقد ذكر القرآن الكريم أن من بين أسباب ضلال المشركين والعصاة اتباعهم لأهوائهم حيث حجبتهم عن اتباع المنهج السليم والطريق القويم فصارت حجاباً على عقولهم حيث فضل هؤلاء ميولهم ونزعاتهم على الحق فعطلوا عقولهم .

ولو كان لهم بقية من عقل لآثروا الحق على اتباع الهوى ولكنهم- لغلبة نفسهم الأمارة بالسوء- فعلوا النقيض فتعطلت عقولهم عن الوصول إلى الحق . قال تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾(١٢). وقال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (١٣).

ويلاحظ أن القرآن جعل اتباع الهوى قريناً للضلال منافياً للهدى من أجل ذلك يلاحظ ((أن الشرع الحنيف جاء بالنهى عن اتباع الهوى)) (١٤)

((فالهوى يعمى ويصم واتباع العواطف قد يضلل الإنسان عن الحق وخصوصاً العواطف الهوج مثل الحب الشديد والكره الشديد والغضب الشديد ولا غرو أن جاء فى الحديث الصحيح . [لا يقضى القاضى وهو غضبان](١٥) . لأن انفعال الغضب يسد عليه منافذ الإدراك الصحيح لجوانب القضية المختلفة فيظهر كلمة غير سليم .ولأجل ذلك قال ابن عباس :- " شر إله عبد فى الأرض الهوى ".

والعقلية العلمية هى التى تنحى الأهواء والانفعالات والعواطف جانباً وتنظر إلى الأمر نظرة موضوعية محايدة)) (١٦) وهى العقلية التى يريدها وينشئها القرآن .

هذا ((وذم الهوى يعتبر خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق والعلم وذلك لأن العالم يجب أن يستبعد كل ما يتعلق بذاته ...)) (١٧).

وفى المقابل طالب القرآن باتباع الحق والبينة الواضحة والعلم وبهذا جاءت الآيات التى ذمت الهوى حين يكون متبوعاً مرغوباً به عن اتباع الحق والعلم والبينة إذ لا تكاد تخلوا آية تحدثت عن الهوى فى القرآن الكريم من رد المخاطب إلى الحق والعلم والبينة قال تعالى :

﴿ ... أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ (١٨)

﴿ ... بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ... ﴾(١٩)

﴿ ... ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ... ﴾(٢٠).

﴿ ... ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله ... ﴾ (٢١)

وبهذا يظهر أن القرآن قد نهى عن اتباع الهوى نهيا مؤكدا فى كثير من آياته . وقد قرن القرآن اتباع الهوى بالضلال والخسران وطالب باتباع البينة والبرهان .

وهذا النهى عن اتباع الهوى نابع من تأثيره السيئ على العقل الإنسانى فإن الهوى حين يثور داخل الإنسان فإنه يقف حائلا بينه وبين التفكير ويمنعه من الانطلاق .

٣- اتبـــاع الظـــن

وهو أيضا من الموانع التى تحول بين العقل وبين عمله والظن هو : ((الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل فى اليقين والشك وقيل الظن أحد طرفى الشك بصفة الرجحان))(٢٢)

والظن بهذا المعنى لا يكفى للوصول إلى الحق فإن الحق يتطلب اليقين الكامل .

وقد ذكر القرآن الكريم اتباع الظن كوسيلة من الوسائل التى أضلت الكافرين ذلك لأن القرآن يطلب من المكلفين أن يتبعوا الحق . والظن لا يغنى من الحق شيئاً حيث لايوصل الإنسان إلى شيء والوصول إلى الحق سهل ميسور بشرط أن يسلك له طريق العقل ولو اتبع الإنسان الظن فإنه يكون قد رضيه بديلاً عن العقل السليم . قال تعالى : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ﴾(٢٣).

وقد جمع القرآن بين هذين المانعين- الهوى والظن- فى آية واحدة وبين أنهما سببان لتوصيل المشركين إلى ما هم فيه ... قال تعالى : ﴿ إن هى إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾(٢٤)

وظاهر فى الآية أنهم جعلوا الهوى والظن بديلين عن الهدى الذى جاءهم من ربهم «والقرآن الكريم حين يدعوا إلى اجتناب الظن المذموم فهو فى نفس الوقت يؤكد على قيام العلم الصحيح وتأسيس اليقين على أساس من النظر والاستدلال العقلى السليم » (٢٥)

ومن مظاهر عدم رضا القرآن عن الظن ونعيه على أهله الذين لا يعتمدون على اليقين قول الله _ سبحانه و تعالى _ فى القرآن الكريم _مبينا سبب ضلال الكافرين. ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون ﴾ (٢٦)

إن القرآن لا يرضى عن هؤلاء الذين «لا يستندون إلى يقين فيما يعتقدون أو يعبدون أو يحكمون ولا إلى حقائق مدروسة يطمئن إليها العقل و الفطرة إنما يتعلقون بأوهام وظنون يعيشون عليها و يعيشون بها وهى لا تغنى من الحق شيئا........فهم يظنون أن لله شركاء ولا يحققون هذا الظن ولا يمتحنونه عملا ولا عقلا وهم يظنون أن آباءهم ما كانوا ليعبدوا هذه الأصنام لو لم يكن فيها ما يستحق العبادة ولا يمتحنون هم هذه الخرافة ولا يطلقون عقولهم من إسار التقليد الظنى وهم يظنون أن الله لا يوحى إلى رجل منه ولا يحققون لماذا يمتنع هذا على الله وهم يظنون أن القرآن من عمل محمد ولا يحققون إن كان محمد _ وهو بشر _ قادرا على تأليف هذا القرآن بينما هم لا يقدرون وهم بشر مثله ...وهكذا يعيشون فى مجموعة من الظنون لا تحقق لهم من الحق شيئا والله وحده هو الذى يعلم علم اليقين أفعالهم و أعمالهم)) (٢٧).

وبهذا يظهر كيف حرص القرآن الكريم على احترام العقل البشرى حين وجهه إلى طلب اليقين واجتناب الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا.

٤- التبعية العمياء للسادة والكبراء

وهى من الموانع التى تمنع العقل من أداء وظيفته وقد بين القرآن أن من الناس من عطل عقله بسبب تبعيته العمياء لسادته وكبرائه . فجنوا الثمار المريرة لهذه التبعية الحمقاء . قال تعالى مبينا حال قوم دخلوا النار بسبب تبعيتهم العمياء لسادتهم : ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾(٢٨).

قال تعالى ﴿ ... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ؛ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾(٢٩).

((وهنا حمل القرآن الأتباع تبعة ضلالهم فقد منحهم الله من المواهب والقدرات والآلات ما يمكنهم من اتباع الهدى فعطلوا ذلك وساروا فى ركاب المضلين ، فما أغنوا عنهم من الله شيئاً)) (٣٠).

فهؤلاء الأتباع قد عطلوا عقولهم مختارين واستعاضوا عنها بتبعيتهم لسادتهم وكبرائهم . ومن الأمثلة على هذا الأمر فى القرآن الكريم أيضاً قوم فرعون . قال تعالى فى شأنهم ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾(٣١).

هوامش المبحث الثانى

(١) سورة محمد آية ١٤

(٢) أ. عباس محمود العقاد. التفكير فريضة إسلامية ص١٣

(٣) الجرجانى - التعريفات ص ٥٧ (٤) سورة البقرة آية ١٧٠

(٥) أبو حيان الأندلسى الغرناطى-البحر المحيط فى التفسير ج٢ ص١٠٣

(٦) الشيخ السيد سابق-العقائد الإسلامية ص٢٠

(٧) سورة الزمر من آية ١٧ وآية ١٨

(٨) د. يوسف القرضاوى-وجود الله-ص ٨١ ، ٨٢ ط. مكتبة وهبة.

(٩) هو القس ميشون. ولم أعثر له على ترجمة

(١٠) فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين - محمد عزت الطهطاوى ص ٢٣

(١١) السيد الشريف الجرجانى - التعريفات ص٢٢٩

(١٢) سورة الروم آية ٢٩ (١٣) سورة القصص آية رقم ٥٠]

(١٤) الإمام الشاطبى الموافقات فى أصول الأحكام ج٤ ص٨١. دار إحياء الكتب العربية

(١٥) أخرجه الترمذى كتاب الأحكام باب ما جاء فى لا يقضى القاضى وهو غضبان بلفظ ((لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان)) ج ٣ ص ٦١١

(١٦) د. يوسف القرضاوى العقل والعلم فى القرآن ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ بتصرف ط. وهبة

(١٧) د. فاطمة إسماعيل محمد-القرآن والنظر العقلى ص١٠٩ ط. المعهد العالمى للفكر ٢٠٠٠م

(١٨) سورة محمد آية ١٤ (١٩) الروم من آية ٢٩

(٢٠) المائدة من آية ٤٨ (٢١) القصص من آية ٥٠

(٢٢) السيد الشريف الجرجانى _ التعريفات ص١٢٥

(٢٣) سورة النجم آية ٢٧ : ٢٨ (٢٤) النجم آية ٢٣

(٢٥) د. فاطمة إسماعيل القرآن والنظر العقلى ص١٠٧ .

(٢٦) سورة يونس آية ٣٦ .

(٢٧) أ. سيد قطب _ فى ظلال القرآن ج ٣ ص١٧٨٤

(٢٨) سورة الأحزاب آية ٦٦ : ٦٧

(٢٩) سورة سبأ من آية ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣٠) د. يوسف القرضاوى ، العقل والعلم فى القرآن الكريم ص ٢٥٧ ، ٢٥٨

(٣١) سورة هود آية ٩٦ ،٩٧





المبحث الثالث
من وظائف العقل في القرآن

تعددت فى القرآن الكريم الوظائف التى أمر العقل بالنظر والتفكر فيها ومن الوظائف التى جعلت للعقل فى القرآن .

أ- التفكر لفهم القرآن وتدبر آياته

حيث جاءت فى القرآن آيات تدعوا إلى تدبر القرآن وتفهم معانية مثل قوله تعالى :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (١)

فقد بدأت الآية بالاستفهام الإنكارى. والمعنى ما الذى يمنعهم من تدبر القرآن وفهمه . والقرآن فى هذه الآية . قد ((عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر فى القرآن والتفكر فيه وفى معانيه))(٢)

ومن يتأمل هذه الآية الكريمة يجد أن القرآن الكريم ((يعرض .. خطة هى غاية مايبلغه النهج الربانى من تكريم الإنسان والعقل الإنسانى واحترام هذا الكائن البشرى وإدراكه ، الذى وهبه له الخالق المنان يعرض عليهم الاحتكام فى أمر القرآن إلى إدراكهم هم وتدبر عقولهم ويعين لهم منهج النظر الصحيح كما يعين لهم الظاهرة التى لا تخطئ إذا اتبعها ذلك المنهج وهى ظاهرة واضحة كل الوضوح فى القرآن من جهة ويمكن للعقل البشرى إدراكها من جهة أخرى ودلالتها على أنه من عند الله دلالة لا تمارى وفى هذا العرض وهذا التوجيه منتهى الإكرام للإنسان وإدراكه وشخصيته .. كما أن فيه منتهى النصفة فى الاحتكام إلى هذا الإدراك فى ظاهرة لا يعييه إدراكها))(٣)

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٤)

ب- فهم أمور الشريعة

ومن الوظائف التى أمر القرآن العقل بالنظر فيها أيضا تفهم أمور الشريعة التى كلف العبد بالالتزام بها كما جاء فى القرآن حيث جاء الأمر فى القرآن للعقل بأن يفهم الشريعة التى شرعها الله لعبادة مثل شريعة القصاص قال تعالى :

﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ﴾(٥).

ولا يخفى أن فى النداء لأولى الألباب - أى العقول- ما يستحث فيه القرآن العقل بأن يفهم تشريع الله فى القصاص من الجانى والمعنى ((ولكم يا أولى العقول فيما فرضت عليكم وأوجبت لبعضكم على بعض من القصاص فى النفوس والجراح والشجاج ما منع به بعضكم من قتل بعض ... فحييتم بذلك فكان لكم فى حكمى بينكم حياة)) (٦)

ودعوة القرآن لفهم أمور الشريعة نابعة من عميق الثقة فى جانب الشريعة هذا فقد بلغ من الكمال حدا بلغ درجة الإعجاز .

((ومن عظيم إكرام الله للرسالة (المحمدية) أنه- سبحانه -جعل معجزتها القرآنية غنية كل الغنى بعلومها الكونية ومبادئها الدينية ومتفوقة كل التفوق بأحكامها التشريعية .. وسوف تظل معجزة القرآن مصدراً متجددا بالعلم والمعرفة كلما تقدمت العلوم والمعارف فى أى مجال من مجالاته وبخاصة مجال التشريع الذى هو .. فى مكان الذروة فى كل ما اشتمل عليه من تشريع حكيم لا يدانيه فى تقويم الفرد وإصلاح الجماعات أى تشريع)) (٧)

ح- النظر فى الكون للتفكر فى قدرة الله:

وقد تكرر الأمر بالنظر فى الكون لحث العقل على التفكر فى عظيم قدرة الله ومن الآيات التى جاء فيها الأمر بالنظر فى خلق السماوات والأرض وربط هذا النظر فى القرآن بالعقل قوله تعالى :. ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾(٨)

وقوله تعالى : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾(٩)

والآيات تحث العقل على أن يتفكر فى هذا الخلق حتى يتعرف على قدرة الله تعالى .

وقد حذر النبى محمد- صلى الله عليه وسلم من أن يقرأ المكلف هذه الآية ولا يتفكر فيها

فقال فى جزء من حديثه " لقد أنزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب (١٠)، (١١).

والآيات التى ترشد العقل إلى النظر فى الكون تبلغ حدا كبيراً من الكثرة وكلها تخاطب العقل لكى يتدبر آيات الله فى الكون مثل قوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماءا فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون * وله من فى السماوات والأرض كل له قانتون * وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم * ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (١٢)

بل يأتى الأمر بالنظر بصورة مباشرة كما فى قوله تعالى :﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير ﴾ (١٢)

وقوله تعالى :- ﴿ قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾(١٤).

ويهدف القرآن من وراء هذا النظر فى الكون :إلى تحريك العقول لتتعرف على الله وأنه متفرد بالألوهية كما فى قوله تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يشركون - أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءا فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾(١٥) .

د- الاعتبار بما حدث للأمم السابقة

وقد ورد الأمر فى القرآن للعقل بأن ينظر فى تاريخ الأمم السابقة التى أهلكها الله بكفرها وإفسادها ويتفكر فيها بلفظ الاعتبار فقال : ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ (٢٦).

وحدث القرآن عن عاقبة قوم أخرجوا من ديارهم بكفرهم وبعد أن بين حالهم أمر ذوى العقول بالاعتبار فقال : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾(١٧).

ويحث القرآن المشركين أن يعملوا عقولهم ويسيروا فى الأرض لينظروا عاقبة الذين سبقوهم حتى يعتبروا بهم فيقول :-﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وءاثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب ﴾ (١٨)

ويقول أيضا ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا ﴾ (١٩)

وفى سورة النازعات بعد أن بينت الآيات عاقبة واحد من الطغاة وهو فرعون مصر وكيف وصل به الأمر إلى ادعاء الألوهية ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾(٢٠)

بعد بيان مصيره الذى صار إليه أمر القرآن بأخذ العبرة من هذا الحدث فقال ﴿ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾(٢١)

هـ - الاعتبار بقصص الانبياء والمرسلين

بين القرآن أن من وظائف العقل النظر فى قصص الأنبياء والصالحين لاستخلاص العبرة والعظة فقال : ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ . (٢٢)

وتبين الآية أن فى قصص الأنبياء التى قصها القرآن ((فكرة وتذكرة وعظة لأولى العقول))(٢٣).

كما يبين القرآن أن فى قصص الأنبياء تذكرة وعظة فيقول :- ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار * هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ﴾ (٢٤)

وبإجمال فإن وظائف العقل فى القرآن تشمل جميع ((الوظائف العقلية على اختلاف أعماها وخصائصها . . . حيث يعم الخطاب فى الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنسانى من خاصة أو وظيفة)) (٢٥)

ومن هذه الوظائف :-

(التفكر)

وهو ((تصرف القلب فى معانى الأشياء لدرك المطلوب))(٢٦)

قال تعالى . ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماءا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾(٢٧).

وقال تعالى ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ (٢٨)

(التذكر)

و هو من أعمال العقل التى أمر القرآن بها .ويحمل معنى التعقل .

قال تعالى : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ (٢٩)

وقال تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾(٣٠)

(التبصر)

وهو إعمال البصيرة التى تعرف بأنها ((قوة للقلب .. يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها وهى التى يسميها الحكماء العاقلة النظرية)) (٣١)

قال تعالى : ﴿ قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾(٣٢)

وقال تعالى : ﴿ قل أرءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾(٣٣)

(التفقه)

وهو من أعمال العقل فهو ((الحصيلة العملية التى تنتج من عملية التفكير))(٣٤)

قال تعالى ..﴿ ... انظر كيف نفصل الآيات لقوم يفقهون ... ﴾ (٣٥)

وقال تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين .. ﴾ (٣٦) .

هوامش المبحث الثالث

(١) سورة النساء آية ٨٢

(٢) الإمام القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن . تفسير سورة النساء ص ١٨٦٠ط دار الريان للتراث .

(٣) أ . سيد قطب – فى ظلال القرآن ج٢ ص٧٢١

(٤) سورة محمد آية ٢٤ (٥) سورة البقرة آية ١٧٩،

(٦) الإمام الطبرى – جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢ ص (١١٤) بتصرف يسير

(٧) محمد إسماعيل إبراهيم _القرآن وإعجازه التشريعى ص ١٦

(٨) سورة البقرة آية ١٦٤ (٩)سورة آل عمران آية ١٩٠

(١٠) أخرجه الإمام ابن حبان فى صحيحه بسنده عن عائشة-رضى الله عنها _ كتاب الرقائق باب التوبة ج٢ ص٨،٩ ط دار الكتب العلمية بيروت ط . أولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧ م

(١١) سورة آل عمران آية ١٩٠ (١٢) سورة الروم الآيات ٢٠ – ٢٨

(١٣) سورة الروم آية ٥٠ (١٤) سورة يونس آية ١٠١

(١٥) سورة النمل آية ٥٩ ، ٦٠ (١٦) سورة آل عمران آية ١٢ ، ١٣

(١٧) سورة الحشر آية ٢ (٨١) سورة غافر آية ٢١ ، ٢٢

(١٩) سورة فاطر آية ٤٤ (٢٠) سورة النازعات آية ٢٥

(٢١) سورة النازعات آية ٢٦ (٢٢) سورة يوسف آية ١١١

(٢٣) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص٣٥٠٦

(٢٤) سورة ص آية ٤٥-٤٩ .

(٢٥) عباس محمود العقاد التفكير فريضة إسلامية ص٣ بتصرف

(٢٦) الجرجاني _ التعريفات ص ٥٦ (٢٧) سورة النحل آية ١٠ ، ١١
(٢٨) سورة سبأ آية ٤٦ (٢٩) سورة هود آية ٢٤
(٣٠)سورة النحل آية ١٧ (٣١) الجرجانى- التعريفات ص٣٩
(٣٢) سورة آل عمران آية ١٣ (٣٣) سورة القصص آية ٧٢
(٣٤) د . عماد الدين خليل - تهافت العلمانية ص ٣٥
(٣٥) سورة الأنعام من آية ٦٥ (٣٦) سورة التوبة من آية١٢٢





المبحث الرابع
موقف القرآن من العلم

تعتبر الصلة بين الكتب المقدسة والعلم دليلاً هاماً لبيان مدى احترام هذه الكتب لعقل الإنسان أو عدم احترامها له وإهماله . ذلك أن العلم ما هو إلا نتاج لعقل الإنسان فإن كانت الصلة بين كتاب ما وبين العلم صلة توافقية كان ذلك دليلاً على احترام هذا الكتاب للعقل والعكس.

لذلك ((كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان فى كل العصور ففى البدء قيل إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس .. إذ لا يمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة))(١)

وفيما يلى بيان لصلة القرآن بالعلم ...هل هناك توافق بين القرآن وبين معطيات العلم أم هناك تعارض بينهما ؟ وينتظم الحديث فى النقاط الآتية :-

★ أولاً إشادة القرآن بالعلم والعلماء :

من الأدلة التى تؤكد احترام القرآن للعلم من ما احتواه القرآن نفسه من آيات كثيرة تحض على العلم وطلبه وتشيد بالعلماء وتعلى من شأنهم حتى إن أول آية نزلت فى القرآن كانت تدعوا إلى القراءة التى تعتبر من وسائل تحصيل العلم وجاء بعدها ذكر القلم الذى يعتبر أيضاً من وسائل تحصيل العلوم قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم *علم الإنسان ما لم يعلم ﴾(٢)

والآيات التى تذكر العلم وتشيد به بلغت حداً كبيراً من الكثرة فقد جاءت مادة العلم ومشتقاتها فى القرآن أكثر من تسعمائة مرة)) (٣)ومن يقرأ القرآن يجد أنه قد ((خرج للناس فى أسلوب مرغب محبب ليدفع بالمجتمع الإسلامى ...إلى أن يخوض لجج العلم فى شجاعة وجرأة وصبر وجلد بل فى شوق ولذة وسعادة فلا يحجم عن اقتحام مداخله ومخارجه دارساً لمسائله باحثاً عن قضاياه فى حرية وانطلاق وسماحة وإشراق لايقف متربصاً على أبواب العلم هياباً ينتظر أن تفاجئه نتائج البحث ما لم يكن له به علم.

والقرآن الحكيم فياض بألوان الهداية التي ترفع شأن العلم وتعلي قدره في آياته الشاهدة بتعظيمه وسمو مكانته)) (٤)

ومن الآيات التي تبين موقف القرآن من العلم قوله تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾(٥)

إذ أنها تأمر المخاطب أن يتبع العلم ولا يبني أحكامه إلا بعلم.

قال الإمام القرطبي(٦)في تفسير هذه الآية ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾

((أي لاتتبع ما لا تعلم ولا يعنيك . ونقل عن قتادة قوله : لا تقل رأيت وأنت لم تر وسمعت وأنت لم تسمع وعلمت وأنت لم تعلم وقاله ابن عباس رضي الله عنهما))(٧).

ولحرص القرآن الكريم على أن يتبع الإنسان منهجاً علمياً سديداً يوصله إلى الحق جاءت هذه الآية جامعة لـ ((ثلاثة أصول هي جماع أصول النظر العلمي .

أولها : ألا يتبع الإنسان إلا الحق المعلوم يقيناً " ولا تقف ما ليس لك به علم . "

ثانيها : أن طريق الوصول إلى الحق هي المشاهدة الصحيحة والملاحظة العلمية .

ثالثها : أن على الإنسان أن يستمسك بما يصل إليه من الحق عن طريق المشاهدة الصحيحة والملاحظة العلمية والتفكير الصحيح ((إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً)) (٨) ولا بد وأن يذكر هاهنا أن القرآن الكريم قد عرض من الهدايات العلمية ما يحرك العلماء ويدفعهم في الاتجاه العلمي الصحيح)) (٩)

ومن مظاهر احترام القرآن للعلم أنه جعله فضلا يمن الله به على عباده فهو نعمة من الله تعالى وفضل قال تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ (١٠).

فهو فضل عظيم من الله تعالى يمن به على رسوله الكريم- صلى الله عليه وسلم- أن أنزل عليه الكتاب والحكمة وأنه علمه ما لم يكن يعلم وكفى بذلك تفضيلاً وتشريفاً للعلم .

وكما من الله على رسوله- صلى الله عليه وسلم- بالعلم . كذلك من على المؤمنين بأن علمهم أيضاً ما لم يكونوا يعلمون : قال تعالى : ﴿ ... فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (١١)

((فقد أنعم الله تعالى على المؤمنين بأن علمهم ما لم يكونوا يعلمون وهذه النعمة تستحق الشكر من الله قال الإمام القرطبى " قوله تعالى فاذكروا الله " قيل معناه اشكروه على هذه النعمة)) (١٢) .

ومن مظاهر تكريم القرآن للعلم أيضاً ((أن القرآن الكريم قد أطلق لفظ العلم على الله سبحانه وتعالى فجعل العلم من صفاته وتكرر ذلك حوالى ١٦٢ مرة)) (١٣) فى مثل الآيات الشريفة : ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ (١٤) . وقوله تعالى ﴿ ... والله بكل شىء عليم ﴾(١٥).

★ طبيعة العلم الذى كرمه القرآن و حض عليه:

قد يرد على ذهن الإنسان بادى الرأى أن العلم الذى يكرمه القرآن ويحض عليه هو العلم بأمور الدين من فقه وتفسير وعقيدة إلى غير ذلك من فروع العلم التى تختص بأصول الدين فحسب ولكن هذا تصور قاصر إذ يجد القارئ للقرآن أنه كرم العلم بمفهومه الواسع الشامل من علوم دينية إلى علوم دنيوية يعلم ذلك من يقرأ قوله : ﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١٦) .

((وواضح من السياق فى هذه الآية أن المراد بالعلماء هنا هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التى أودعها الله هذه الأرض . وموضوع هذه الآية هو نفس موضوع العلم الطبيعى . فالعلم الطبيعى يبحث عن الأشياء الكونية وطبائعها وخصائصها والعلاقات التى بينها ثم عن حقيقتها إن أمكن)) (١٧) .

وقد أثنت الآيات هنا على العلماء لأن ((علماء الدين هم أولى الناس بالإطلاع على أسرار العلم ولا يصدق عليهم الحصر الوارد فى قوله تعالى : ﴿ ...... إنما يخشى الله من عباده العلماء ..... ﴾ (١٨) والمراد به الخشية الكاملة إلا إذا كانوا عارفين من العلوم الكونية كل ما يتعلق بأسرار الوجود والخلق التى دلنا عليها القرآن وذكر لنا بعضها لأن هذه الآية لم ترد فى سياق الكلام عن أمر يتعلق بالعبادات أو المعاملات أو الأخلاق بل وردت فى سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته فى إنزال المطر وخلق النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها وألوانها)) (١٩)

★ **إشادة القرآن بالعلماء :**

كرم القرآن العلماء تكريماً عظيماً لمنزلتهم ومكانتهم فهم أولى الناس بخشية الله تعالى : لذلك جعل القرآن العلم وأهله مناطاً للرفعة والعلو عند الله تعالى مع الإيمان قال تعالى : ﴿ .. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... ﴾ (٢٠).

((هذه الرفعة لأهل الإيمان وأهل العلم جعلت فى الدنيا والآخرة " فى الثواب فى الآخرة والكرامة فى الدنيا فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم . وقال ابن مسعود : مدح الله العلماء فى هذه الآية)) (٢١)

((هل سمعت أن كتاباً سماوياً أو أرضياً نوه بالعلم فى أشخاص أهله وذويه ووضعهم فى مكانهم من ذروة الفضل وسنام الشرف فجعلهم شهداء لله على ثبوت أخص نعوت قدسه وجلال كبريائه فى وحدانيته وقيوميته على تدبير ملكوته وعزته وحكمته سوى القرآن العظيم (٢٢)

قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (٢٣)

ومن الآيات التى وردت فى القرآن الكريم مبينة فضل العلماء قوله تعالى :
﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ (٢٤).

والآية تبين أن هناك فرقا بين العلماء الذين اصطفاهم الله لحمل أمانة العلم وبين غيرهم . وهذا تكريم للعلماء عظيم .

★ القرآن ودعوته إلى النظر فى الكون

تكررت الدعوة فى القرآن الكريم إلى النظر فى الكون والخلق للاستدلال على عظمة الله تعالى عن طريق استخلاص القوانين التى يسير عليها الخلق وذلك فى آيات كثيرة جداً منها قوله تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾(٢٥).

ودعوة القرآن للنظر فى الكون والخلق تعتبر إرشاداً إلى وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلوم والمعارف ولا يكتفى القرآن بذلك بل يجاوز هذا الحد بمراحل ((فإن من يقرأ القرآن الكريم فى تدبر وإنصاف يروعه ما يرسم من مناهج المعرفة وما قرر من مصادرها وآلاتها وأنواعها وما أحاط به من آفاق الكون الحسية والمعنوية وآفاق النفس ومكنونها وظاهرها مع تنسيق ذلك كله بعضه مع بعض فى خط فطرى تأتلف به وعليه معايير المنطق وتقوم به عناصر وجودنا الحق فى ظاهر الحياة وأفق الخلود فلا يسع المنصف المتدبر إلا أن يشهد أن ذلك فوق حيلة البشر ... بل هو فعل مبدع آفاق الكون والنفس العليم بما أودعها من أسرار الملكات ودقائق العبر)) (٢٦).

فالقرآن لم يكتف بأن وجه الناس إلى النظر فى الكون فقط بل رسم منهجاً علمياً قائماً بذاته يقود المخاطبين إلى أن يحدثوا ثورة علمية وهو ما فعله المسلمون الأوائل حينما فهموا القرآن فهماً صحيحاً ... حينما قرءوا القرآن فوجدوا أنه قد ((دعا الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسى إلى ما حولهم ابتداء من مواضع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون . وأعطى للحواس مسئوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم فى مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب . قال له ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ (٢٧).

ودعاه إلى أن يمعن النظر إلى ما حوله :- إلى طعامه ﴿ فلينظر الناس إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلباً * وفاكهةً وأباً ﴾ (٢٨)

- إلى خلقه ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾(٢٩)

- إلى الملكوت ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض .. ﴾(٣٠)

- إلى التاريخ ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم ... ﴾ .(٣١)

- إلى خلائق الله ... ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ .(٣٢)

إلى الطبيعة وهى تنبعث من قلب الفناء برحمة من الله ومقدرة)) .(٣٣) ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها ... ﴾ (٣٤).

فدعوة القرآن إلى النظر فى الكون إنما هى فتح للطرق أمام العقل ليفكر ويستنبط ويبدع فلم يحجر القرآن على العقل البشرى من أن ينطلق فى آفاق العلم وهذا مما يدلل على الثقة الكاملة التى أولاها القرآن للعقل الإنسانى .

★ مدى توافق القرآن مع حقائق العلم ومقرراته:

من الحقائق المبهرة التى وقف أمامها العلماء مشدوهين هذا التوافق الرائع بين ماجاء به القرآن الكريم وبين أحدث الاكتشافات العلمية اليقينية التى لا تقبل الجدل حيث تحقق وعد الله _عز وجل_ الذى وعد به فى قوله تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (٣٥) .

نظر علماء الطبيعة . إلى القرآن الكريم باحثين عن صلته بالعلوم الحديثة فوجدوا أنه ((يحتوى على أكثر من ثمانمائة آية كونية فيها حقائق علمية غاية فى الأصالة والموضوعية والإعجاز)) (٣٦) .

كما نظروا أيضاً إلى القرآن فوجدوا أن ((الإعجاز العلمى للقرآن الكريم قد شمل أهم الأحداث العلمية فى القرن العشرين- الميلادى- بالنسبة للذرة وغزو الفضاء والطبيعة الجوية والفلكية وغير ذلك من معلومات لم يكن الإنسان قبل نزول القرآن ولابعد نزوله بزمن طويل يعلم عن حقائقها شيئاً.

وللقرآن الكريم أسلوبه فى الدلالة على آيات الله فى الكون . فالحديث عن الكون فى القرآن الكريم يكاد لا يتوقف ، وفى أسلوب رائع وفى إعجاز علمى بالغ يوقظ عقل الإنسان فى رفق ويسر ويخاطب كل البشر على اختلاف عقولهم و أزمانهم ، فالهداية التى جاء القرآن الكريم من أجلها تقتضى ألا يخاطب القرآن الناس عن الكون بما ينكرونه فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته وحاملا على تكذيبه وهى أيضاً تقتضى ألا يوافق القرآن الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى فيقوم ذلك حائلاً دون قبول دعوته فى عصور العلم المتقدمة . وتجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن فى الماضى والمستقبل هو من بدائع إعجازه وأسلوبه ومن أكبر الدلائل على أنه حقاً كتاب الله فاطر الناس وخالق الكون)) (٣٧)

وطالما أن الله - عز وجل- خالق الكون وأنه منزل القرآن فلا يمكن أن يتعارض القرآن مع العلم أبداً .

• شهادات غير المسلمين

هناك مفكرون وباحثون غير مسلمين درسوا القرآن الكريم وبحثوا فى صلته بالعلوم الطبيعية واعترفوا بما وجدوه من توافق تام بين القرآن الكريم والعلوم الحديثة وأقروها فى كتبهم- كما تقول الباحثة (ستشيجيفسكا)(٣٨)((إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل أمى نشأ فى أمة أمية فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلافى أرقى الجامعات كما نجد فى القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة)) (٣٩).

وعن الإشارات العلمية فى القرآن الكريم يقول (د . ميلر بروز) (٤٠) هناك آية فى القرآن يمكن أن يستنتج منها أنه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكى يدرس علم الفلك ويستخدمه فى حياته . قال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين الحساب ما خلق الله ذلك إلابالحق ﴾(٤١) .

كثيراً ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره إحدى الآيات التى تبعث على الشكر والإيمان . ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (٤٢)

ويذكر القرآن- لا تستخير الحيوان واستخدمه فحسب- ولكن يذكر السفن أيضاً فإن كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة أفلا يصدق هذا أكثر على سكك الحديد والسيارة والطائرة . (٤٣)

التوافق بين القرآن والعلم سبب إسلام هؤلاء :

نظرا للاتفاق التام بين القرآن ونتائج العلم الحديث _ والذى يدل على احترام القرآن للعقل الإنسانى - فقد كان ذلك سببا لإسلام كثير من غير المسلمين .

فإن هناك من غير المسلمين علماء ومفكرين درسوا القرآن الكريم بإنصاف من زاوية علاقاته بالعلوم الطبيعية التى ما ظهرت نتائجها إلا فى العصر الحديث فوقفوا أمامها موقف المنصف الذى تجرد من الهوى فأعلنوا إسلامهم بلا تردد عن يقين تام واقتناع مثل :

★ العالم والطبيب الفرنسى (موريس بوكاى) (٤٤)

يقول :- ((لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن دهشتى العميقة فى البداية فلم أكن أعتقد بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة وذلك فى نص

كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . فى البداية لم يكن لى أى إيمان بالإسلام . وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة ... إن أول ما يثير الدهشة فى روح ما يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنسانى وعلى حين نكتشف فى(التوراة) أخطاء عملية ضخمة لانكتشف فى القرآن أى خطأ وقد دفعنى ذلك لأن أتساءل : لو كان كاتب القرآن إنساناً ، كيف استطاع فى القرن السابع من العصر المسيحى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟)) (٤٥)

ويقول فى موضع آخر . (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتى كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة " أدركت " بعد الانتهاء منها . أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث)) (٤٦) .

تقول ((كيف استطاع محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ الرجل الأمى الذى نشأ فى بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التى وصفها القرآن الكريم والتى لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل)) (٤٧)

• إبراهيم خليل أحمد[٤٨]

وهو من المتعمقين فى دراسة العقيدة النصرانية واليهودية يقول :- يرتبط هذا النبى – صلى الله عليه وسلم – بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح –عليه السلام – فى قوله عنه : –

(ويخبركم بأمور آتية) هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية مابقى الزمان ، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كل مناحيه ، من طب ، وفلك ، وجغرافيا ، وجيولوجيا ، وقانون ، واجتماع وتاريخ ... ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف(٤٩).

ويقول : ((أعتقد يقيناً أنى لو كنت إنساناً وجودياً لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءنى نفر من الناس وحدثنى بما سبق به القرآن العلم الحديث . فى كل مناحيه لآمنت برب العزة والجبروت خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحداً)) (٥٠).

• الدكتور (جرينييه)(٥١)

وهو عالم فرنسى شهير قابله الرحالة السيد محمود سالم فى مدينة بونتارليه . ليسأله عن سبب إسلامه . فقال ((إنى تتبعت الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها منذ صغرى . وأعلمها جيداً فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر . ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة كما تعلم جيداً كما قارنت أنا لأسلم بلا شك إن كان عاقلاً خالياً من الأمراض)) (٥٢).

وقد أسلم كثير من الناس غير هؤلاء لنفس السبب ومن يلاحظ التصريحات السابقة يظهر له أن كلمتهم اتفقت على الإشادة بما جاء فى القرآن الكريم متطابقا مع ماأثبته العلم الحديث ووصل فيه إلى درجة اليقين .

• أمثلة للحقائق العلمية التى ذكرها القرآن :

حتى يتضح موقف القرآن من العلم يجدر ذكر بعض الأمثلة التى تثبت اتفاق القرآن مع نتائج العلوم الحديثة والذى يبين بدوره موقف القرآن من العقل .

وقد سبق بيان أن القرآن الكريم يحتوى أكثر من ثمانمائة آية كونية منها حقائق علمية غاية فى الأصالة والموضوعية . وليس من الغريب أن يتوافق القرآن مع العلم إذ أن كليهما من عند الله ((ولا شك أن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطا مصيرياً لأنهما يقرران معاً مصير الإنسان وكماله والمتدبر لأحداث العلم والقرآن يجد أنهما متماثلان فى الغاية ومتحدان فى الهدف لأن مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى خالق الكون .. ولن يحدث تعارض بين القرآن والعلم إلا إذا ضل العلم طريقه أو أخطأ المفسرون فى فهم الآيات الكونية لعدم معرفتهم العلمية)) .(٥٣)

ونظراً لكثرة الآيات القرآنية التى ذكرت حقائق علمية تثبت منها العلماء أخيراً فإن البحث سيكتفى بعرض بعض النماذج منها .

المثال الأول : الأصل المائى للحياة :

يجد قارئ القرآن فى سورة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ﴾(٥٤)

يعلق على هذه الآية العالم الطبيب الفرنسى المسلم(موريس بوكاى) فيقول :ليس هناك شك فى مفهوم المصدر فالعبارة يمكن أن تعنى أن كل شىء مصدره الماء كمادة جوهرية أو أن أصل كل شىء حى هو الماء ويتفق هذان المعنيان تماماً مع الحقائق العلمية . فالثابت بالتحديد أن أصل الحياة مائى وأن الماء هو العنصر الأول المكون لكل خلية حية ، فلا حياة بدون ماء . وإذا ما نوقشت إمكانية لحياة على كوكب ما فإن أول سؤال يطرح هو " أيحتوى هذا الكوكب على كمية كافية للحياة عليه .. ، .. وتشير كلمة ماء إلى ماء السماء كما تعنى ماء المحيطات أو أى سائل آخر . وبالمعنى الأول فالماء هو العنصر اللازم لأى حياة نباتية .. وفى سورة النور يقول الله تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٥٥)

وسنرى فيما بعد أن الكلمة تنطبق أيضاً على السائل المنوى (٥٦).

وإذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموماً أو العنصر الذى يجعل النباتات تولد فى التربة أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فإن كل عبارات القرآن تتفق تماماً مع

المعطيات العلمية الحديثة ولا مكان مطلقاً فى القرآن لأى خرافة من الخرافات التى كانت منتشرة فى عصر تنزيل القرآن))(٥٧)

ويوافقه د . محمد عبد الله دراز الرأى فيقول ناقلاً عن علماء الذرة ومعلقاً " يقول علماء الذرة . إن أخف الذرات وأيسرها تركيباً هى الذرة المائية التى تحتوى على بروتون واحد وإليكترون واحد . كما أن أثقل الذرات هى ذرة الإيرانيوم (اليورانيوم) التى عددها الذرى ٩٢ وعدد إلكتروناتها أيضاً ٩٢ وقد أثبتت التجارب أن الذرة المائية جزء مقوم مشترك فى كل نوات الأجسام العنصرية كالألمنيوم وغيره بمعنى أن تحليل هذه العناصر ينتهى فى آخر الأمر إلى ذرات مائية . قف لحظة عند هذه الاكتشافات وتأمل التعبير القرآنى العجيب . ﴿ .. وكان عرشه على الماء .. ﴾(٥٨)

أى إنه هو أصل المكونات قبل أن تخلق السماوات والأرض .(٥٩)

المثال الثانى : توسع الكون :

يقصد بتوسع الكون أن الكون لا يثبت على حجم واحد لا يزيد بل إنه يتوسع ويتمدد لأجل لا يعلمه إلا الله.و ((توسع الكون هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث . ذلك مفهوم قد ثبت اليوم تماماً ولا تعالج المناقشات إلا النموذج الذى يتم به هذا التوسع. وإذا كانت النسبية العامة * هى التى أوحت به ، فإن توسع الكون يعتمد على معطيات مادية وذلك من خلال طيف المجرات ، فالانتقال المنهجى نحو اللون الأحمر من الطيف يجد تعليلاً له فى تنحى المجرات كل عن الأخرى وعلى ذلك فامتداد الكون لا يكف عن الكبر وهذا الاتساع على أهمية أكثر . خاصةً وإن المجرات تبتعد عنا . إن السرعات التى تنتقل بها الأجرام السماوية قد تتراوح من أجزاء من سرعة الضوء إلى مقادير سرعته . ترى أيمكن أن نقابل الآية التالية التى يتحدث فيها الله سبحانه وتعالى لهذه المفاهيم الحديثة ؟ فى سورة الذاريات : ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾(٦٠) . ألا تعنى السماء بالتحديد الكون خارج الأرض " وموسعون " اسم فاعل لفعل (أوسع) ويعنى عرض وجعل الشىء شاسعاً وأكثر رحابة .))(٦١) .

هوامش المبحث الرابع

(١) (موريس بوكاي) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . ص١١ بتصرف يسير . ط . دار المعارف مصر .

(٢) سورة العلق الآيات من ١-٥

(٣) الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (علم) ص ٥٧٦ دار الحديث بالقاهرة

(٤) د. محمد الصادق عرجون-القرآن العظيم هدايته وإعجازه ص ٩٠ ، ٩٣ بتصرف

(٥) سورة الإسراء آية ٣٦

(٦) هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبى بكر ابن فرح الأنصارى الخزرجي الأندلسي القرطبى المفسر قدم إلى الشرق واستقر بأسيوط بمصر وتوفى بها عام ٦٧١ هـ .

(٧) الإمام القرطبى-الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١٦٧ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٨) الإسراء آية ٣٦

(٩) د. محمد عبد الله الشرقاوى . القرآن والكون ص ٢٠ ، ٢١ دار الجيل بيروت ومكتبة الزهراء جامعة القاهرة ١٩٩١ م .

(١٠) سورة النساء آية ١١٣

(١١) سورة البقرة من آية ٢٣٩

(١٢) الإمام القرطبى-الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص ١٤٧ .

(١٣) عبد الرازق نوفل-بين الدين والعلم . ص١٦٠ مكتبة وهبة الطبعة الأولى .

(١٤) سورة النمل آية ٦

(١٥) سورة الحجرات من آية ١٦

(١٦) سورة فاطر من آية ٢٨

(١٧) عفيف طبارة . روح الدين الإسلامى ص٢٧٦ دار العلم للملايين الطبعة ٢١ . ١٩٨١م .

(١٨) سورة فاطر من آية ٢٨

(١٩) الشيخ نديم الجسر- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ٢٤٢ .

(٢٠) سورة المجادلة من آية ١١

(٢١) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص ١٩٤ .

(٢٢) د. محمد الصادق عرجون-القرآن العظيم هدايته وإعجازه ص ٩٣ .

(٢٣) سورة آل عمران آية ١٨ (٢٤) سورة الزمر من آية ٩

(٢٥)د. صابر طعيمة _ الإسلام يقينا لا تلقينا ص١٢٦

(٢٦) سورة الإسراء آية ٣٦ (٢٧) سورة عبس آية ٢٤ : ٣١

(٢٨) سورة الطارق آية ٥ (٢٩) سورة الأعراف من آية ١٨٥

(٣٠) سورة غافر من آية ٨٢ (٣١) سورة الغاشية من الآية ١٧ : ٢٠

(٣٢) سورة الروم آية ٥٠

(٣٣) د. عماد الدين خليل . تهافت العلمانية ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف يسير .

(٣٤) سورة فُصلت آية٥٣

(٣٥)،(٣٦) د. منصور حسب النبي _ الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص ٥ ،٦

(٣٧) باحثة بولونية معاصرة اسمها " يوجينا غيانه ستسيجفسكا " درست الإسلام في الأزهر من عام ,١٩٦١حتى ١٩٦٥ .تمكنت خلالها من اللغة العربية ودرست الحقوق واللغات الشرقية .

(٣٨) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص٦٨ .

(٣٩) رئيس قسم اللغات للشرق الأدنى وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة " بيل " عمل أستاذاً بجامعة براون وأستاذا زائراً بالجامعة الأمريكية في بيروت ومديراً للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس .

(٤٠) سورة يونس من آية ٥ (٤١)سورة الزخرف من آية ١٢ وآية ١٣

(٤٢) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص٥١ .

(٤٣) موريس بوكاى كان قبل إسلامه مسيحياً .وكان مشتغلاً بالعلوم الطبيعية أتيحت له الفرصة ليتعرف على الإسلام فى الجزائر فى حضوره لملتقى الفكر الإسلامى أسلم وأصدر عدة كتب منها دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، ما أصل الإنسان " إجابات العلم والكتب المقدسة " كان من الذين ساهموا فى تعريفه بالإسلام الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية سابقاً .

(٤٤)،(٤٥) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . ص١٤٤ ، ١٤٥ بتصرف دار المعارف المصرية .

(٤٦) ولدت عام ١٩٥٤م بمدينة ترافيز بولاية ميتشجان الأمريكية وتخرجت من فرع الصحافة اعتنقت الإسلام عام١٩٨٠ بعد زواجها من أحد الدعاة العاملين فى أمريكا " قالوا عن الإسلام ص٥٥ " .

(٤٧) رجال ونساء أسلموا عرفات كامل العشى ج٨ ص١٠٩ نقلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص٥٥ .

(٤٨) قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩ م يحمل شهادات عالية فى علم اللاهوت عمل بالتبشير (التنصير) ضد المسلمين لكن تعمقه فى دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين فأشهر إسلامه رسمياً عام ١٩٥٩م.

(٤٩) إبراهيم خليل أحمد-محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٥

(٥٠) نفسه ص ٧٦

(٥١) الدكتور جرينييه عالم فرنسي من مدينة " بونتارليه " كان عضواً فى مجلس النواب أسلم-عن بحث واقتناع ويقين .

(٥٢) مجلة المنـــار مجلد ١٤ ص ٥١٨ نقلاً عن أوروبا والإسلام د. عبد الحليم محمود ص ١٠٣

(٥٣) د. منصور حسب النبى الكون والإعجاز العلمى للقرآن ص ٧

(٥٤) سورة الأنبياء آية ٣٠ .

(٥٥) سورة النور من آية ٤٥

(٥٦) هو السائل المفرز بواسطة الغدد الخاصة بالتناسل وهو يحتوى على الحيوانات المنوية

(٥٧) موريس بوكاى . دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٢١٢

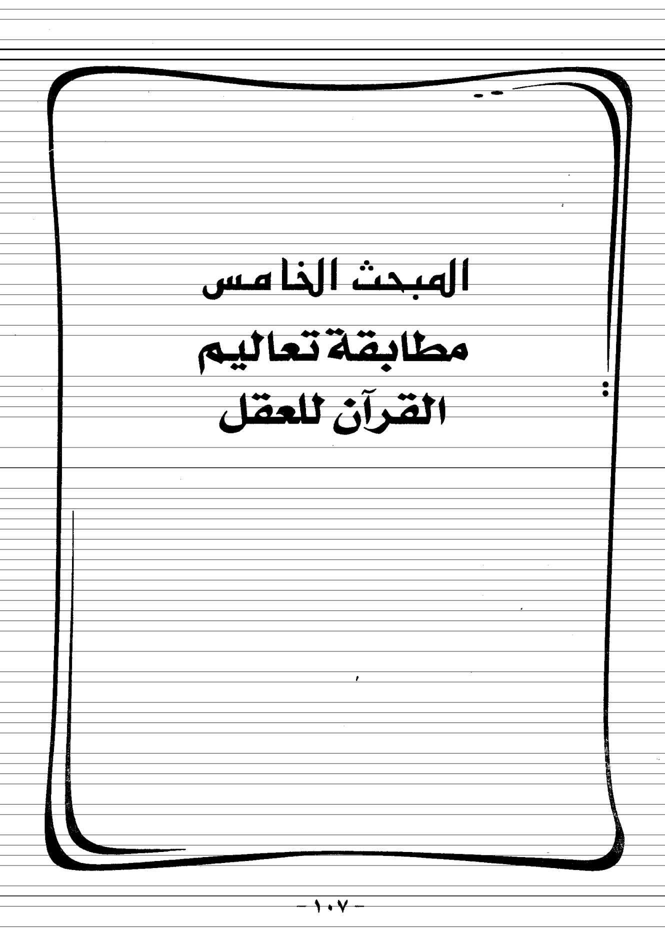
(٥٨) سورة هود من آى٧

(٥٩) د. محمد عبد الله دراز ـ الدين ص٨٩ ، ٩٠

(٦٠) سورة الذاريات آية ٤٧

(٦١) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة ص١٩٢





المبحث الخامس

مطابقة تعاليم القرآن للعقل

نظراً لأن القرآن الكريم قد نزل لغاية محددة ، هى هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾(١).

ولأن العقل : وهو مناط التكليف- هو المخاطب الأول أمام القرآن قال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾(٢).

فإنه من الضرورى ألا تتعارض تعاليم هذا الكتاب مع العقل البشرى السليم حيث تصبح دعوى تكريم القرآن للعقل وإنزاله منزلة سامية- حاشا لله- غير ذات قيمة إذا ماجاء القرآن بما يناقض العقل السوى ومع ذلك يرغمه على قبوله فى عقيدته وشريعته وأخلاقه .

لهذا كان من الواجب لبيان موقف القرآن من العقل من الحديث عن تعاليم القرآن. -عقيدة وشريعة وأخلاقا- من زاوية تطابقها مع العقل واتفاقها معه أو عدم تطابقها كما سيأتى فيما يلى :

أولاً : جانب العقيدة

الحديث فى مجال العقيدة يتسع لكثير من الموضوعات التى تدخل فى باب العقيدة مما يضطر البحث بأن يكتفى بجانب واحد منها . طلباً للإيجاز . لبيان اتفاق ما جاء به القرآن فى هذا الجانب مع العقل أو عدم اتفاقه . حيث سيتم الاكتفاء بالحديث عن العقيدة فى الإله وذلك لأن ((العقيدة فى الإله رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها . من عرف عقيدة قوم فى إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان ومن صحة المقاييس التى يقاس بها الخير والشر وتقدر بها الحسنات والسيئات فلا يهبط دين وعقيدته فى الإله عالية ولا يعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة ليست مما يناسب صفات الموجود الأول الذى تتبعه جميع الموجودات)) (٣).

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد أنه فى حديثه عن الإله قد جاء بما يتفق مع العقل اتفاقاً تاماً حيث جاء الإله فى القرآن الكريم فى أفضل صورة يتخيلها عقل بشرى وليست

الصورة هنا حسية حيث يستحيل على العقل البشرى القاصر أن يدرك ذلك فى الدنيا بل هى معنوية من خلال صفاته التى وصف بها وأثاره فى الكون.

((فقد وصف القرآن هذا الإله الواحد بأوصاف ونعته بأسماء وهى أسماء وصفات تقنع عقول الفلاسفة كما ترضى عواطف العامة معاً تجمع بين الجلال والجمال والقوة والرحمة . وهى أيضاً أسماء وصفات متسقة مع عمله - سبحانه- فى الكون وصلته بالخلق فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور العليم الحكيم البر الكريم العفو الغفور الحليم الشكور الرزاق الوهاب الرءوف التواب ذو الجلال والإكرام)) (٤)

يظهر ذلك فى مثل قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ (٥)

وقوله تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم(٦) لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده(٧) حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ (٨)

بل إن القرآن وهو يتحدث عن الله ووحدانيته يستعمل أسلوباً برهانياً فى كثير من المواضع(٩) ليقنع العقل البشرى . ((ومن البراهين المدهشة التى تفرد بها القرآن فى الدلالة على وحدة الله. تقريره وحدة الأنظمة الكونية هذه الأنظمة تدل على موجد واحد لها . جاء فى القرآن ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (١٠)

هذه الحقيقة أعلنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً فى وقت كان العلم لا يفقه شيئاً من أسرار الكون لكن فى هذا العصر توصل العقل البشرى إلى إدراك بعض أسراره فعلموا أن هناك حركة دائمة لا تنقطع فى ذرات كل شيء فى الأجرام السماوية والمخلوقات الحية والمادة الصماء))(١١).

وقد عصم القرآن العقل البشرى من الضلال فى حديثه عن الذات الإلهية . فمن يقرأ القرآن الكريم يجد أنه قد أعطى ((تصوراً قوياً وشافياً فى هذا الموضوع الدقيق فأراح العقل البشرى وجنبه مغبة الضرب فى المتاهات الطامسة ، التى لا يبزغ فيها نجم ولايتراءى دليل ، فتألفت فى هذا الكتاب الواقعى مجموعة ضخمة من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى كما تواردت وظائف عليا للذات الإلهية تجعل المعرفة فى هذا المقام ساطعة فى الوجدان ناصعة فى العقل والقلب معاً)) (١٢)

ومن الجدير بالذكر هاهنا أن القرآن الكريم فى حديثه عن الذات الإلهية لم يتحدث عنها فى كل الجوانب التى تخصها بل تحدث عن بعضها عصمة للعقول البشرية- حيث لم يتحدث ((إلا فى الجوانب التى تدركها عقولنا وتجد مجالاً لفهمها ، بل وتجد ثمرة واقعية فى الوصول إليها . أما الجوانب الأخرى التى طواها القرآن . فهى التى لا تدخل فى دائرة إدراكنا بل لا تطيقها عقولنا وهى معرفة كنه الذات العلية إن هذا الإدراك أكبر وأوسع من دائرة الكينونة الإنسانية لأن هذا المجال سرمدى أزلى مطلق ، فهل يستطيع الإنسان كمخلوق حادث متحيز فى حدود الزمان والمكان محدد الفكر والعقل والتصور أن ينفذ إلى إدراك ما لم يتهيأ له(١٣) : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾(١٤)

وحديث القرآن عن الذات الإلهية يتميز بأنه لا يكتفى بموافقته للعقل وملاءمته له وقدرة العقل على فهمه بل إنه تعدى ذلك حيث ((لجأ القرآن الكريم للعقل يحكمه فى مسألة التوحيد والتعدد ويثبت بأسلوب منطقى أن خالق الكون ومدبره لابد أن يكون واحداً . كما أن لكل دولة رئيسا واحدا وللسيارة سائقا واحدا وللمدرسة ناظرا واحدا(١٥) : قال تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾(١٦)

وقوله تعالى ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ... ﴾(١٧)

بل إن فى القرآن الكريم نفسه ما يبين ضرورة فهم العقل للعقيدة التى تلقى إليه حيث بين منزل القرآن- سبحانه- أنه لم يشأ أن ((يحملهم عليها- العقائد- عن طريق الخوارق الحسية التى يدهش بها عقولهم ويلقى بهم فى حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار.﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾(١٨). والمعنى أنا لا نشاء ذلك ، لأنا نريد منهم إيماناً عن تقبل واختيار . لا يحملهم عليها بالإكراه ولا يحملهم عليها بالخوارق وإنما يحملهم عليها بالبرهان الذى يملأ القلب . وعلى هذا المبدأ عقد القرآن عقائد الإسلام عن طريق الحجة والبرهان)) (١٩)

شبهة وردها :

ومع هذا الوضوح التام والتناسق المدهش فى حديث القرآن عن العقيدة- فى جانب منها- فإن هناك من يحلو له أن يتهم القرآن بأنه فى العقيدة يناقض بعضه بعضا. مثل : جولد تسيهر (٢٠) المستشرق المجرى حيث يقول ((من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات)) (٢١).

ولتهافت هذه الدعوى وانعدام قيمتها فإن الذى سيرد عليها رجل من غير المسلمين سطع أمامه نور الحقيقة فلم يستطع أن يكتمها وهو الفيلسوف الأمريكى ول ديورانت (٢٢) يقول : (القرآن يبعث فى النفوس الساذجة (يقصد السليمة الفطرة) أسهل العقائد وأقلها غموضا وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس وأكثرها تحرراً من الوثنية وقد كان له أكبر الفضل فى رفع مستوى المسلمين الأخلاقى والثقافى ، وهو الذى أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعى .. وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام .. وقد عرف الدين وحده تحديداً لا يجد المسيحى ولا اليهودى الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله)) (٢٣).

ويرد عليه أيضاً المستشرق الفرنسى (هنرى سيرويا) (٢٤)قائلاً : " .....القرآن من الله بأسلوب سام رفيع لا يدانيه أسلوب البشر وهو فى الوقت عينه ثورة عقيدية . هذه الثورة العقيدية لا تعترف لا بالبابا ولا لأى مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة- حيث لم يشعر الإسلام يوماً بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلى الفلسفى)) (٢٥).

ويرد عليه أيضا (غوستاف لوبون)[٢٦] قائلاً ((تشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض . وفى هذه السهولة سر قوة الإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه فى الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالبا من التناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله)) [٢٧]

هذا ومما يجدر ذكره .أن القرآن- كما بين دور العقل في فهم العقيدة - قد وجه الناس كذلك كي يعتمدوا على عقولهم ليستدلوا بها على وجود الرسل وصدقهم فى تبليغهم عن الله . قال تعالى :﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾[٢٨]. فلو أنهم أعملوا عقولهم وتفكروا لعلموا أن الرسول صادق فى تبليغه عن الله وأنه ما به جنون وليس فى شأنه ما يستوجب التكذيب .

وحينما طلب المشركون من النبى ﷺ أن يأتيهم بقرآن آخر أو أن يبدله وجهه القرآن أن يأمرهم بالاحتكام إلى عقولهم مسترشدين بحاله فيهم قبل البعثة وكيف أنه ليس فى صفاته ولا فى حياته ما يريب فقال :﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴾[٢٩]

ثانيا: جانب الشريعة :

كما ظهر الاتفاق الكامل بين العقيدة التى جاء بها القرآن وبين العقل البشرى السليم المطالب بالإيمان بها . فإن الشريعة القرآنية كذلك جاءت متطابقة مع العقل تطابقاً تاماً وحاشا لله أن يكلف العقل بما يتناقض معه من تشريع. بل إن الأمر يتعدى ذلك حيث لا يتفق تشريع القرآن مع العقل السليم وحسب . بل يعتبر التشريع الذى جاء به القرآن دليلاً يستدل به الراسخون فى العلم على أن القرآن من عند الله وليس من عند البشر فالإعجاز التشريعى فى القرآن وجه من وجوه إعجازه التى تبين وتثبت أن القرآن من عند الله ﴿ .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً ﴾[٣٠].

((ومن عظيم إكرام الله للرسالة (المحمدية) أنه- سبحانه -جعل معجزتها القرآنية غنية كل الغنى بعلومها الكونية ومبادئها الدينية ومتفوقة كل التفوق بأحكامها التشريعية .. وسوف تظل معجزة القرآن مصدراً متجددا بالعلم والمعرفة كلما تقدمت العلوم والمعارف في أى مجال من مجالاته وبخاصة مجال التشريع الذى هو .. في مكان الذروة في كل ما اشتمل عليه من تشريع حكيم لا يدانيه في تقويم الفرد وإصلاح الجماعات أى تشريع وضعي لا يستقر على حال ويحتاج دائماً إلى التعديل بالحذف أو الزيادة أو الإلغاء)) (٣١).

وهذا الإعجاز الذى جاء به القرآن في مجال التشريع أبهر رجال القانون من غير المسلمين فيما انطوى عليه من توافق مع العقل البشرى السليم .

يقول العلامة(فارس الخورى)(٣٢): ((إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله والدين الذى جاء به أرقى الأديان وأتمها وأكملها وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضله وبأن مبادئه متفقة مع العقل مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية))(٣٣).

ويقول(فيليب حتى)(٣٤): ((الشريعة الإسلامية لا تفرق بين ما هو دينى وبين ماهو دنيوى ؛ إنها تنص على صلات الإنسان بالله وعلى واجباته نحو الله وتنظمها كما تفعل في شأن صلات الإنسان بأخيه الإنسان . وجميع أوامر الله ونواهيه- فيما يتعلق بالأمور الدينية- والمدنية وسواها- مثبتة في القرآن . وفي القرآن ستة آلاف آية أو تزيد يتعلق نحو ألف آية منها بالتشريع)) (٣٥)

ومما يجدر ذكره أن القرآن الكريم حينما يتحدث في أمور التشريع فإنه غالباً مايستحث الإنسان أن يعمل عقله لفهم الحكمة من وراء هذا التشريع مثل قوله تعالى : ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولوا الألباب لعلكم تتقون﴾ (٣٦)

فهو في غمرة بيان الحكم الشرعى في القصاص الذى شرع في القرآن على من يقتل نفساً متعمداً لا ينسى حق العقل في فهم ما يلقى إليه من تشريع لأنه مناط التكليف

فى الإنسان فيستحثه على أن يفهم حكم الله والحكمة من ورائه ولن يفهم ذلك إلا أولوا الألباب .

والقرآن فى دعوته للعقل لكى يتفكر ويفهم ما شرعه الله . فإنه لا يخشى من حكم العقل . لأن الشريعة حق وصدق ((وإذا كانت الشريعة حقاً داعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له)) (٣٧) .

هذا وقد استدل صاحب كتاب(الموافقات فى أصول الأحكام) على أن الأدلة الشرعية(٣٨) لا يمكن أن تنافى العقول بعدة أدلة عقلية ملخصها ما يلى :

١- أن الأدلة إنما نصبت فى الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها ولو نافتها لم تتلقها فضلاً عن أن تعمل بمقتضاها .

٢- أنها لو لم تتفق معها لكان التكليف بمقتضاها تكليفاً بما لا يطاق وذلك بأن يكلف العقل بتصديق مالا يصدقه ولا يتصوره .

٣- أن مورد التكليف هو العقل فإذا فقد ارتفع التكليف رأساً ولابد للعقل من التصديق حتى يتم التكليف ويلزم . ولزوم التكليف بما لا يصدقه العقل أشد على العاقل من تكليف فاقد العقل مثل النائم والمعتوه والصبى ولما كان التكليف ساقطاً عن هؤلاء لزم أن يكون ساقطاً عن العاقل أيضاً إذا تناقض التكليف مع العقل السوى السليم.

٤- لو خالف الدليل الشرعى العقل لاستطاع الكفار أن يردوه لأنهم كانوا فى غاية الحرص على رد ما جاء به الرسول حتى كانوا يفترون عليه الكذب.

٥- أن الاستقراء دل على جريانها- الأدلة الشرعية- على مقتضى العقول بحيث تصدقها العقول الراجحة وتنقاد لها))(٣٩).

وتظهر مطابقة الشريعة التى جاء بها القرآن للعقل فى خطاب القرآن حيث يمتزج فيه حكم الله فى أمر أو نهى بحق العقل فى معرفة الحكمة والسبب وهو أمر ملحوظ فى القرآن الكريم حيث- غالباً- ما يبين القرآن الحكمة من التشريع بعد الأمر مثل قوله تعالى فى الأمر بالصيام : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾(٤٠).

فقد بين الحكمة من الصيام ألا وهى الوصول إلى درجة التقوى :

وفى النهى عن شرب الخمر وتحريمها يقول القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾(٤١).

حيث بين عقب النهى عن شرب الخمر وغيرها ، المضار التى تلحق بالإنسان عن طريقها وهى العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

هذا مع التسليم بأن هناك حكَماً خلف الأحكام التى يشرعها الله قد لا تظهر لكثير من الناس ، أو التى لا يعلمها إلا الله .

ولقد أعطى الإسلام للعقل الحرية فى أن يجول ويصول فى فهم النصوص ليستنبط الأحكام الشرعية فظهرت فى الإسلام أدلة من أدلة الشريعة تعتمد على العقل اعتمادا كبيرا مثل القياس .وظهرت قواعد شرعية تستنبط من خلالها الأحكام مثل قاعدة : رفع الحرج ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والضرورات تبيح المحظورات . وهى أدلة وقواعد أخذت من فهم العقل للنصوص الشرعية حتى وجدت فى الإسلام ثروة فقهية طائلة فى ضوء الوحى.

★ مثال من أمور الشريعة :

وربما كان المجال محتاجاً لضرب مثل من أمور الشريعة لبيان توافقها مع عقل الإنسان وانسجامها معه وعدم قهره .

والمثال الذى يضرب هنا عن عبادة من العبادات الإسلامية التى جاء بها القرآن ولتكن الصلاة فإن من ينظر إليها فى القرآن يجد أنها ((تتفق مع ما يليق بجلال الله وسمو وجوده عن الأشياء وتلتئم مع المعروف عند العقول السليمة . فالصلاة ركوع وسجود وحركة وسكون ودعاء وتضرع وتسبيح وتعظيم وكلها تصدر عن ذلك الشعور بالسلطان الإلهى الذى يغمر القوى البشرية ويستغرق الحول فتخشع له القلوب وتستخذى له النفوس ..)) (٤٢)

هذه الصلاة التى حث عليها القرآن وأوجبها ((لو لم تكن رأس العبادات ، لعدت من صالحة العادات ، رياضة أبدان ، وطهارة أردان(٤٣) وتهذيب وجدان ، وشتى الفضائل يشب عليها الجوارى والولدان))(٤٤).

ونظرا لتلاؤم الصلاة مع العقل البشرى السليم فقد كانت سبباً فى إسلام رجل نصرانى يسمى (محمد صديق) (٤٥) الذى يقول عن نفسه :

((إن شكل الصلاة هى التى جعلتنى أفكر فى الإسلام . فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية . فاستنتجت أنها خير سبيل يختاره الإنسان لعبادة خالقه فبدأت وأنا مازلت بروتستانتينياً فى أداء الصلاة بالكيفية الإسلامية))(٤٦).

هذا إلا غير ذلك من أمور الشريعة التى تتفق جميعها مع عقل الإنسان السوى من العبادات التى أمر الله تعالى بها فى القرآن . إلى المحرمات التى حرمها القرآن حيث لايقول القرآن افعل شيئاً والعقل يقول لا تفعل ولا يقول القرآن لا تفعل والعقل يقول افعل .

ومن أصدق الأمثلة على ذلك : الخمر التى حرمها الله فى القرآن التى كان أصحاب الفطر النقية والعقول السليمة يبتعدون عنها لما يعلمونه من خبثها حتى كان عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- يدعو الله أن يبين لهم فى الخمر بيانا شافياً . يبغى تحريمها كما نقل الإمام القرطبى عن أبى ميسرة قال : نزلت "آية تحريم الخمر ((بسبب عمر بن الخطاب فإنه ذكر للنبى ﷺ عيوب الخمر وما ينزل بالناس من أجلها ودعا الله فى تحريمها وقال :-اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآيات فقال عمر انتهينا انتهينا "(٤٧).

كما يقول واحد من المهتدين[٤٨] إلى الإسلام عن الخمر : ((قبل إسلامي كنت أنفر من الخمور والرقص وما شابه ذلك من الأمور التي عرفت فيما بعد أنها محرمة في الإسلام . وهكذا كان الإسلام بالنسبة لي كعملية اكتشاف لفطرتي [٤٩] قال تعالى : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [٥٠].

ثالثاً : جانب الأخلاق

يجد القارئ للقرآن الكريم أنه في حديثه عن الأخلاق قد وصل الذروة في التوافق مع العقل السليم فقد حث على الأخلاق التي ترضاها العقول وتحترمها من الصدق والعفة والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق ونهى عن مساوئ الأخلاق التي تستقبحها العقول وترفضها .

ففي الحث على الصدق يقول القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[٥١].

وفي التحذير من الخيانة يقول القرآن : ﴿ ... إن الله لا يحب الخائنين ﴾[٥٢].

يقول محيط المعارف الإنجليزي : ((إن القرآن قد بلغ أقصى مراتب التأثير والقبول . إنه قبح الكذب والحرص ، والزنا والإسراف والخيانة والغيبة والظلم وغيرها من الأخلاق المخربة للمجتمعات وقد أمر القرآن بامتثال الصدق وحسن النية والعفة والحياء والتسامح والصبر والتحمل والاقتصاد والمسالمة وإتباع الحق والتوكل على الله)) [٥٣].

ومن مميزات حديث القرآن عن الأخلاق . هذا التوازن الواضح بين ما جاء به القرآن من حث على مكارم الأخلاق حيث لا ينسى القرآن وهو في معرض حديثه عن حق النفس في الانتقام إذا وقع عليها ظلم أو إيذاء بأن تقابل السيئة بالسيئة- لا ينسى- أن ينبه على فضيلة العفو والإصلاح .

قال تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾[٥٤].

كما أن الأخلاق التى أمر بها القرآن ليست مختصة بقوم دون قوم بل إن مكارم الأخلاق يجب أن تكون مبذولة لكل الناس فالعدل مثلاً : الذى أمر الله المخاطبين بالقرآن أن يتخلقوا به لم يبين أنه مختص بقوم دون قوم بل إنه يجب أن يعامل به كل الناس ولو كانوا مخالفين فى العقيدة قال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (٥٥).

ومن حديث القرآن عن الأخلاق يظهر أن الأخلاق هى الهدف الأسمى من وراء إقامة العبادات والشعائرحيث لم ترد عبادة فى القرآن الكريم إلا وهى مرتبطة بهدفها الأخلاقى فى واقعية واضحة .

فعن الصلاة يقول الله تعالى :﴿ .وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ﴾(٥٦) . وعن الحج يقول الله تعالى :﴿ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾(٥٧)

وعن الزكاة يقول الله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾(٥٨)

وعن الصيام يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .(٥٩)

فكل عبادة مما سبق ترتبط بثمرتها الواقعية من تطهير الخلق وتزكية النفس والبعد عن كل فاحشة ومنكر))(٦٠).

ومن مظاهر احترام الإسلام للعقل فى مجال الأخلاق أنه قد ترك المجال للعقل لكى يصدر فتواه وحكمه فى كثير من الأعمال التى يلتبس فيها الخير بالشر ، والحلال والحرام والإسلام بعد أن بين الحلال الصريح والحرام الصريح ترك المنطقة التى تختلط فيها الأوصاف ويشتبه فيها الحكم لكل شخص بنفسه ليستفتى قلبه ونفسه .

كما جاء في حديث النبيﷺ لوابصة بن معبد الأسدى - رضى الله عنه- فقد قال رسول الله ﷺ لوابصة [جئت تسأل عن البر والإثم قال : قلت نعم . قال فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال استفت نفسك واستفت قلبك يا وابصة . ثلاثا . البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك . ثلاثا] (٦١).

هوامش المبحث الخامس

(١) سورة إبراهيم آية ٢ (٢) سورة ص آية ٢٩

(٣) أ/ عباس محمود العقاد- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٨

(٤) د. يوسف القرضاوى الخصائص العامة للإسلام ص١٤٨

(٥) سورة البقرة ١٦٣

(٦) القيوم : القائم بتدبير ما خلق (القرطبى _ الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص ١٤٨)

(٧) يئوده: معناه يثقله : آدنى الشيء بمعنى أثقلنى وتحملت منه المشقة عن ابن عباس وقتادة-(القرطبى الجامع ج٢ ص (١٨١) والمعنى أن الله تعالى لا يلحقه التعب والمشقة.

(٨) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٩) مثل قوله تعالى " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتـا . " [سورة الأنبياء من آية ٢٢]

(١٠) [سورة الإسراء آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤]

(١١) عفيف عبد الفتاح طبارة . روح الدين الإسلامى ص ٩٦ .

(١٢) توفيق محمد سبع . واقعية المنهج القرآنى ص٥٣ .

(١٣) نفسه ص٧٥ ٧٦ (١٤) سورة الأنعام آية ١٠٣] .

(١٥) د. أحمد شلبى الإسلام ص٩٥ بتصرف يسير

(١٦) سورة الأنبياء آية ٢٢ (١٧) سورة المؤمنون من آية ٩١

(١٨) سورة الشعراء آية ٤

(١٩) الإمام الأكبر محمود شلتوت . الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف يسير

(٢٠) جولد تسيهر :مستشرق مجرى الأصل ولد عام ١٨٥٠ م وتوفى عام ١٩٢١م من أشهر كتبه آداب الجدل عند الشيعة بالألمانية ، واليهود بالألمانية والإسلام بالألمانية الذى نقل للفرنسية والعربية بعنوان العقيدة والشريعة فى الإسلام (نجيب العقيقى _ المستشرقون ج٣ ص٤٠)

(٢١) جولد تسيهر . العقيدة والشريعة فى الإسلام . ترجمة د. محمد يوسف مرسى ، د. عبد العزيز عبد الحق ، د. على حسن عبد القادر . ص٦٨ . دار الكاتب المصرى ١٩٦٤م .

(٢٢) ول ديورانت : هو : مؤلف أمريكى معاصر من أشهر كتبه(قصة الحضارة)فى اثنين وعشرين مجلدا و (قصة الفلسفة) ، و (مباهج الفلسفة)

(٢٣) ول ديورانت . قصة الحضارة ج١٣ ص٦٩ ترجمة محمد بدران .

(٢٤) (هنرى سيرويا) : مستشرق فرنسى من أهم آثاره(موسى بن ميمون ترجمته وآثاره وفلسفته) و(فلسفة الفكر الإسلامى) و(الصوفية والمسيحية واليهودية) [المستشرقون _ نجيب العقيقى ج١ ص ٣٤٨]

(٢٥) سيرويا -كتاب فلسفة الفكر الإسلامى ص ٣٢ . نقلاً عن -قالوا عن الإسلام د.عماد الدين خليل ص ٧٣

(٢٦) غوستاف لوبون) : طبيب ومؤرخ فرنسى ولد عام ١٨٤١ م عنى بالحضارات الشرقية من أهم آثاره(حضارة العرب) و(الحضارة المصرية) و (حضارة العرب فى الأندلس) [قالوا عن الإسلام ص٨٦]

(٢٧) غوستاف لوبون-حضارة العرب ص ١٢٥ .

(٢٨) سورة سبأ آية ٤٦ (٢٩) سورة يونس آية ١٦

(٣٠) سورة النساء من آية ٨٢

(٣١) محمد إسماعيل إبراهيم _القرآن وإعجازه التشريعى ص ١٦

(٣٢) فارس الخورى : من نصارى لبنان وهو من المنصفين الذين درسوا الإسلام واعترفوا بفضله

(٣٣) نقلاً عن . عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية د. عثمان عبد المنعم عيش ص ٦٩ .

(٣٤) فيليب حتى : لبنانى الأصل أمريكى الجنسية ولد عام ١٨٨٦ م تخرج من الجامعة الأمريكية فى بيروت ١٩٠٨ م من آثاره (تاريخ العرب) ، و (أصول الدولة الإسلامية) ، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) ، (الإسلام منهج حياة) .

(٣٥) فيليب حتى . الإسلام منهج حياة ص٩٥ . نقلاً عن قالوا عن الإسلام عماد الدين خليل ص١٧٠ .

(٣٦) سورة البقرة آية ١٧٩

(٣٧) ابن رشد-فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ص٤٢ .

(٣٨) يقصد بها الأدلة المأخوذة من القرآن والسنة .

(٣٩) الإمام الشاطبى-الموافقات فى أصول الأحكام ج٣ ص ١٣ ، ١٤ بتصرف واختصار

(٤٠) سورة البقرة آية ١٨٣ (٤١) سورة المائدة آية ٩٠ ، ٩١

(٤٢) الإمام محمد عبده . رسالة التوحيد ص١٣٥ ،١٣٦ بتصرف يسير .

(٤٣) هى الثياب (٤٤) أمير الشعراء أحمد شوقى -أسواق الذهب ص٨٢

(٤٥) ولد عام ١٩٤٤ فى برلين بألمانيا اعتنق الإسلام عام ١٩٦٢ وكان مسيحياً برونستانتينياً .

(٤٦) عرفات كامل العشى . رجال ونساء أسلموا ج١ ص ٢٤ ، ٢٥ . نقلاً عن- قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص ٢٠٤ .

(٤٧) الإمام القرطبى-الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص ١٥٨ .

(٤٨) هو محمد صديق الذى سبقت الترجمة له فى الصفحة السابقة .

(٤٩) رجال ونساء أسلموا . عرفات كامل العشى ج١ ص ٢٤ ، ٢٥ نقلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص٢٠٥

(٥٠) سورة الروم من آية ٣٠ (٥١) سورة التوبة آية ١١٩

(٥٢) سورة الأنفال من آية ٥٨

(٥٣) إشارات الإعجاز فى نطاق الإيجاز . بديع الزمان النورس . ص١٣٠ نقلاً عن حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن د. على البدرى ص١٨٣ .

(٥٤) سورة الشورى آية ٣٩ ، ٤٠

(٥٥)سورة المائدة آية ٨

(٥٦) سورة العنكبوت من آية ٤٥

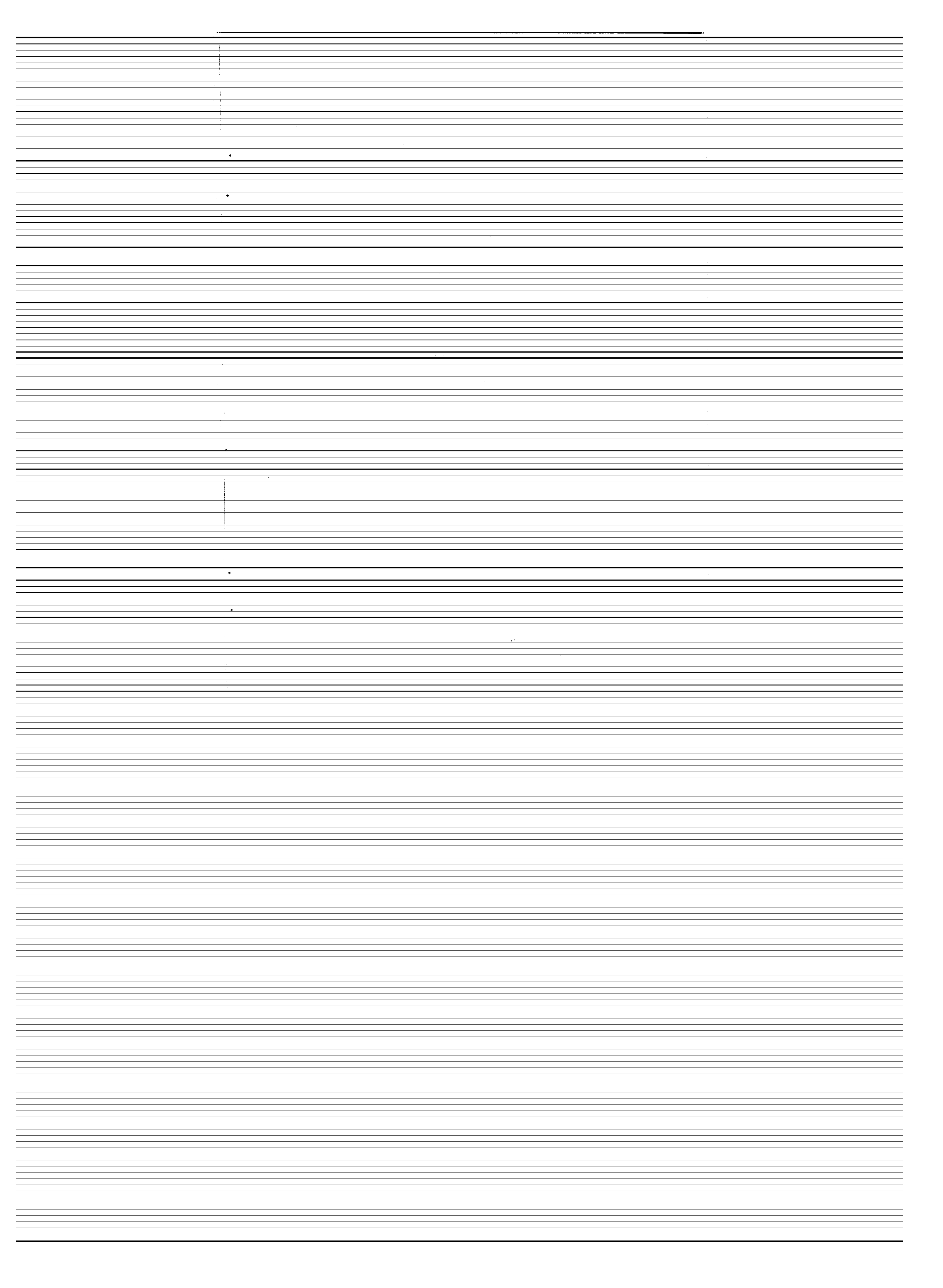
(٥٧) سورة البقرة من آية ١٩٧

(٥٨) سورة التوبة من آية ١٠٣

(٥٩) سورة البقرة آية ١٣٨

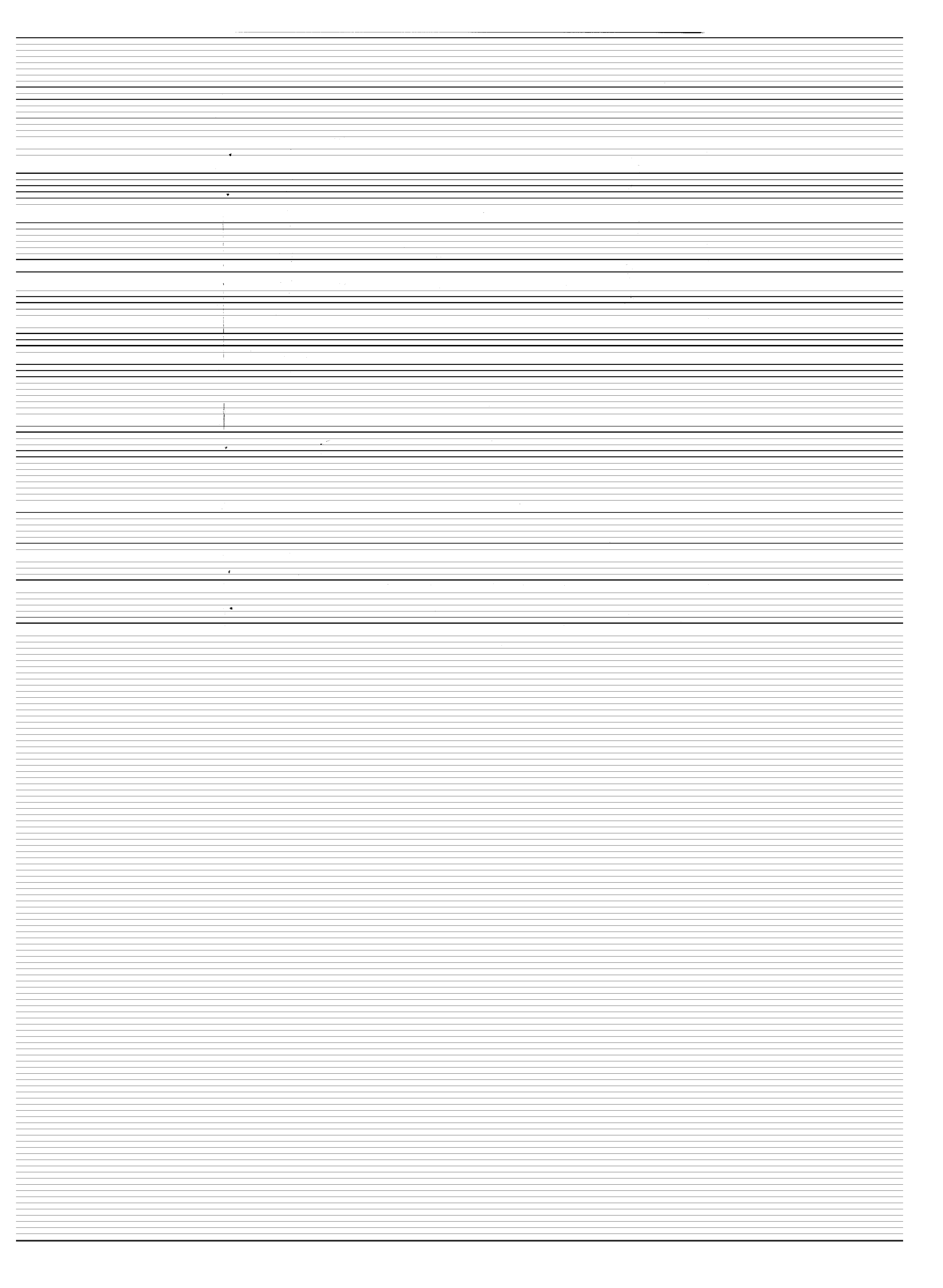
(٦٠) الشيخ توفيق محمد سبع-واقعية المنهج القرآني . ص ٣٣٧ ، ٣٧٨ . بتصرف يسير

(٦١) أخرجه الدارمي في سننه بسنده عن وابصة بن معبد . كتاب البيوع . باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك



الفصل الثانى
موقف الإنجيل من العقل

تمهيد - مادة (عقل) ومرادفاتها فى الإنجيل .
المبحث الأول-منزلة العقل فى الإنجيل .
المبحث الثانى - مجالات عمل العقل فى الإنجيل
المبحث الثالث - موقف الإنجيل من العلم
المبحث الرابع - هل تتطابق تعاليم الإنجيل مع العقل



تمهيد

مادة (عقل) ومرادفاتها فى الإنجيل

إن القارئ للإنجيل يجد أنه قد تحدث عن مادة عقل ومرادفاتها في مواطن كثيرة ومن بين هذه المرادفات :- كلمة ذهن ، وفهم ، وبصيرة ، وفكر ، وحكمة . وفى هذه العجالة سأعطى تعريفا وجيزا لهذه الكلمات .

★ **مادة (عقل) :-**

كلمة (عقل) فى الإنجيل والتوراة تعنى الحكمة والعمل بالحكمة قال صاحب كتاب (السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم) ((فى بيان معنى كلمة يعقل يعقل : الكلمة العبرانية الأصلية تفيد الحكمة والعمل بالحكمة)) (١)

وقد وردت كلمة (عقل) ومشتقاتها فى الإنجيل ست عشرة مرة تقريبا (٢). ومن الأمثلة التى جاءت فيها كلمة العقل ما جاء فى إنجيل (مرقس) " فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله " .(٣)

وما جاء فى رسالة (بولس) إلى أهل (رومية) :- " فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم ألا يرتئى بل يرتئئ إلى العقل كما قسم الله لكل واحد مقدارا من الإيمان "(٤) . وأيضا ما جاء فى نفس السفر : واحد يعتبر يوما دون يوم وآخر يعتبر كل يوم : فليتيقن كل واحد فى عقله " (٥).

★مـــادة (ذ هــن):-

وردت مادة (ذهن) فى الإنجيل أيضا ست عشرة مرة تقريبا وهى بمعنى العقل لأنها مرتبطة بعمل من أعماله وهو الفهم .

ومن الأمثلة التى جاءت فيها . .ما جاء فى إنجيل لوقا " حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب"(٦).

ومعنى" فتح ذهنهم " ((أى أنار عقولهم بفعل روحه لكى يدركوا المعنى)) (٧).
وأيضا ما جاء فى رسالة(بولس) إلى أهل (أفسس) .

- فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم ببطل ذهنهم"(٨)..

وما جاء أيضا فى رسالة (بطرس) الثانية :-

- هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء فيها أنهض بالتذكرة ذهنكم النقى"(٩).

★ مادة (فهم) ومشتقاتها :-

تعنى كلمة (فهم) فى الإنجيل: إعمال العقل لإدراك المعنى . قال صاحب كتاب الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل عند تفسيره لقول المسيح فى الإنجيل "اسمعوا وافهموا"(١٠) :-((أى أدركوا المعنى ولا تكتفوا بالسمع))(١١)

وقد وردت هذه الكلمة فى الإنجيل فى اثنين وسبعين موضعا تقريبا . بالصيغة الفعلية والصيغة الاسمية :

ومن الأمثلة التى جاءت فيها : ما جاء فى إنجيل (متى) " كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه " (١٢).

- وما جاء فى رسالة(بولس) الثانية إلى (تيموثاوس) :

- افهم ما أقول فليعطك الرب فهماً فى كل شيء " (١٣) .

- وما جاء فى رسالة (بولس)إلى أهل (أفسس) " .

"فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء . مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة . من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الرب "(١٤).

★ كلمة (بصيرة):-

وردت كلمة (بصيرة) مرة واحدة فى رسالة (يوحنا) الأولى.تقول الرسالة : ونعلم أن ابن الله(١٥). قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح " (١٦).

★مادة (فكر) ومشتقاتها :-

المراد بالفكر فى الإنجيل (قوى الإنسان العقلية) (١٧).

وقد وردت كلمة (فكر) ومشتقاتها فى الإنجيل فى واحد وأربعين موضعا تقريباً .

ومن الأمثلة التى جاءت فيها : ما جاء فى إنجيل متى " فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك "(١٨).

وما جاء فى إنجيل (لوقا) :-

"وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها "(١٩)

وما جاء فى رسالة(بولس) إلى العبرانيين :-

- فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم "(٢٠).

★ مادة (حكمة) ومشتقاتها :

وردت مادة (حكمة) وما اشتق منها فى الإنجيل فى ستة وسبعين موضعا تقريباً .

وكلمة حكمة ترادف فى معناها كلمة عقل كما سبق فى تعريف العقل.

ومن الأمثلة التى جاءت فيها :

ما جاء فى إنجيل لوقا :

"لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها"(٢١).

وما جاء فى إنجيل متى :

"أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم لذلك هاأنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ..." (٢٢).

وما جاء فى أعمال الرسل :

"ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به " (٢٣)

هوامش تمهيد الفصل الثانى

(١) وليم مارش - السن القويم فى تفسير العهد القديم ج ٨ ص ٣٢٧

(٢) هذا الإحصاء وما بعده من فهرس الكتاب المقدس . واسطوانة الكتاب المقدس . من الحاسب الآلى (الكمبيوتر) طبعة دار الكتاب المقدس . القاهرة

(٣) مرقس ١٢ : ٣٤ (٤) رومية ١٢ : ٣

(٥) رومية ١٤ : ٥ (٦) لوقا ٢٤ : ٤٥

(٧) وليم إدى _الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ٢ ص ٣٧٢

(٨) أفسس ٤ : ١٧ (٩) ٢,١ بطرس٣

(١٠) متى ١٥ : ١٠

(١١) وليم إدى _ الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ١ ص ٢٤٩

(١٢) متى ١٣ : من ١٩ (١٣) ٢ تيموثارس ٢ : ٧

(١٤) أفسس ٥ : ١٥ - ١٧ (١٥) حسب كلام الإنجيل

(١٦) يوحنا ٥ : من ١ - ٢٠

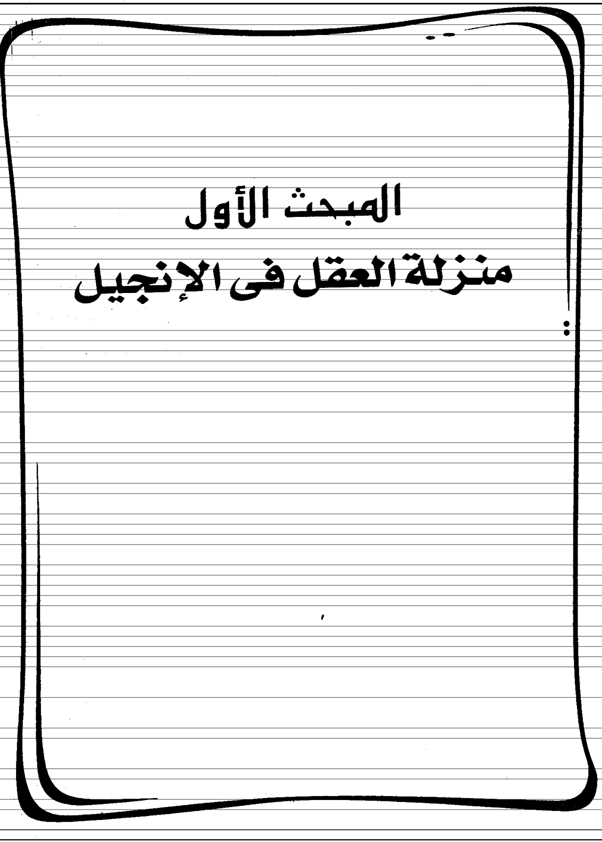
(١٧) وليم إدى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج١ ص٣٨١

(١٨) متى ٢٢ : ٣٧ (١٩) لوقا ٢ : ١٩

(٢٠) عبرانيين ١٢ : ٣ ، (٢١) لوقا ٢١ : ١٥

(٢٢) متى ٢٣ : ٣٣ ومن ٣٤ (٢٣) أعمال الرسل ٦ : ١٠





المبحث الأول

منزلة العقل فى الإنجيل

هناك نصوص كثيرة وردت فى الإنجيل تبين أن للعقل منزلة عظيمة . حيث وردت نصوص تمدح الرجل العاقل ، وتبين أنه قريب من الجنة وأمرت نصوص أخرى بإعمال العقل بل وجعلت ذلك عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وعلى الجانب الآخر ذمت نصوص من الإنجيل الرجل الذى يعطل عقله ولا يفهم ، وبينت أن عدم العقل يؤدى إلى اقتراف الكبائر فيورد صاحبه المهالك وجاءت نصوص أخرى تبين أهمية استخدام البراهين العقلية فى إثبات العقائد التى يجب أن يؤمن بها الإنسان . وفيما يخص موضوع تحريم ما يؤدى إلى تعطيل العقل مثل الخمر فقد جاءت بعض النصوص ناهية عنها إلا أنه قد جاءت نصوص أخرى تفيد أن شربها جائز ولا شيء فيه ومع هذه النصوص الكثيرة التى جاءت تنبئ عن احترام الإنجيل للعقل فقد جاءت نصوص أخرى-قليلة-تقلل من أهمية العقل وتبين أنه بلا ثمرة كما يظهر من خلال النقاط الآتية _إن شاء الله_

أولاً :- مدح الإنجيل للإنسان العاقل :

ورد فى إنجيل(متى) ما يفيد مدح المسيح-عليه السلام-للرجل العاقل ويبين أنه هو الذى يفهم ما يسمعه ويستعمل عقله فى فهم ما يلقى إليه وضرب لذلك مثلاً طويلاً ليفرق بين الإنسان العاقل وغيره . حيث تكلم فى هذا الإنجيل قائلاً :

"هو ذا الزارع قد خرج ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته وسقط آخر على الأماكن المتحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة . فنبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض ولكن لما أشرقت الشمس احترق وإذ لم يكن له أصل جف وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه . وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمراً بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين من كان له أذنان للسمع فليسمع "(١).

ثم فسر هذا المثل . والسبب الذى من أجله ضربه . قائلاً : " ... أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين- هكذا فى الأصل- لا يبصرون وسامعين-هكذا لايسمعون ولا يفهمون. فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون و(مبصرين) تبصرون ولاتنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم

لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع فإنى الحق أقول لكم إن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا. فاسمعوا أنتم مثل الزارع كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ماقد زرع فى قلبه هذا هو المزروع على الطريق . والمزروع على الأماكن المتحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو إلى حين فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر . والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمه وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم وهو الذى يأتى بثمر فيصنع مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين" (٢).

وفى هذا المثل الطويل بيان لحال الناس وأقسامهم من حيث قبولهم لما يلقى إليهم من وحى وفهمهم له وعدم قبولهم وفهمهم حيث ((ضرب المثل للمستمع ذى العقل المغلق الذى ليس هناك فرصة لقبول الكلمة ووصولها فى عقله بالبذرة التى تقع على الأرض المطرقة الصلبة فكما لا تستطيع البذرة أن تدخل فى هذه الأرض لتنبت كذلك لاتدخل الكلمة فى العقل المغلق . وضرب المثل للمستمع ذى العقل الخالى من العمق مثل التربية الرقيقة على الأساس الصخرى.وضرب المثل للمستمع الذى تمتلئ حياته بمشغوليات واهتمامات متعددة بالبذرة التى تقع بين الشوك . والمثل الرابع وهو المقصود وضرب المثل للمستمع ذى العقل الجيد المتفتح على الدوام بالأرض الجيدة والمستمع الجيد هو الذى يفكر ويتأمل فيما يسعه ثم يترجمه إلى أعمال فينتج الأعمال الصالحة)) (٣) .

وورد فى إنجيل مرقس ما يبين أن المسيح ذعليه السلام-قد مدح رجلا عاقلا وهو كاتب جاء إلى المسيح وهو يتحاور مع مجموعة من الناس.

كما جاء فى النص الآتى يقول الإنجيل حكاية عن المسيح _عليه السلام :-

"وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هى أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك .هذه هى الوصية الأولى .وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك .ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه . ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح . فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله(٤)"

فقد أثنى على هذا الرجل لأنه أعمل عقله وفهم مراد المسيح من وعظه .

ثانيا:- ذم من لا يعمل عقله

وكما جاء الإنجيل بمدح الإنسان العاقل فقد جاءت فيه نصوص تذم من يلغى عقله فلا يفهم. كما جاء فى إنجيل يوحنا : "ولكن هذا الشعب الذى لا يفهم الناموس هو ملعون"(٥).

وورد فى إنجيل مرقس على لسان المسيح مخاطبا تلاميذه " فقالَ لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ لكى يبصروا مبصرين ولا (ينظروا) و يسمعوا سامعين ولا(يفهموا) لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم " (٦).

والمسيح فى هذه النصوص "كأنه كان يقول لقد أرسلنى الله لأعلن الحق لهذا الشعب ولكنهم أغلقوا عقولهم ولم يريدوا أن يسمعوا فكنت كمن يخاطب أحجاراً ميتة كأنما الله قد أغلق عقولهم فلم يعودوا يفهمون وهكذا كان الأمر مع يسوع فإنه كان يريد أن يدخل الحقيقة فى عقول الناس ولكنه كان ينظر إليهم فيجد فيهم غباوة وبطأ شديدين" (٧).

وجاء فى إنجيل يوحنا "لماذا لا تفهمون كلامى لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا "(٨).

"إن السبب فى عدم فهمهم ليس عدم مقدرتهم على الإصغاء أو عدم إدراكهم للحق بل جمود قاس يدفعهم إلى عناء يرفض الفهم " (٩).

وحين ضرب المسيح مثلاً فى إنجيل مرقس ولم يفهمه المخاطبون وبخهم قائلاً "ألا تشعرون بعد ولا تفهمون . أحتى الآن قلوبكم غليظة ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون " (١٠).

وفى إنجيل لوقا يضرب المسيح عليه السلام مثلاً للإنسان الذى ينشغل بماله ولايستعد لما بعد الموت ويصفه بالغباء ويقول :-

"قال لهم انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله وضرب لهم مثلاً قائلاً إنسان غنى أخصبت كورته ففكر فى نفسه قائلاً ماذا أعمل لأن ليس موضع أجمع فيه أثمارى وقال أعمل هذا .أهدم مخازنى وأبنى أعظم وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى وأقول لنفسى يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلى واشربى وافرحى .فقال له الله يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك .فهذه هى الذى أعددتها لمن تكون"(١١). فهذا مثل لمن عطل عقله يتفكر فيما بعد الموت ووصف بالغباء هنا لأنه لم يعد نفسه لهذا اليوم .

ثالثاً:- الفكر المريض يورد صاحبه المهالك

نظــراً لمــا للعقــل من أهمية كبيــرة فى الإنجيل فقــد اعتبر الإنجيل أن فساده سبب رئيس للوقوع فى المعاصى التى تورد الإنســان المهــالك وهذا ما يلاحظ فى كثير من الرسائل.

فقد جاء فى رسالة(بولس) إلى أهل رومية . " وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الأنثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق . وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق مملوئين من كل إثم وزنى وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين

متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولارضى ولا رحمة "(١٢).

فقد اعتبر فساد العقل مؤدياً إلى كل هذه المفاسد من زنى وشر وطمع وخبث وحسد إلى غيرها من المعاصى التى يستحق فاعلها العذاب .

كذلك يقول (بولس) فى رسالته إلى أهل أفسس ، " فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لاتسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع . وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق فى يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور . وتتجددوا بروح ذهنكم". (١٣) .

وبسبب عمى العقل عند قوم فقد أدى بهم هذا إلى عدم الاستضاءة بنور الإنجيل كما جاء فى رسالة(بولس) الثانية لأهل (كورنثوس) " ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم فى الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله(١٤) "(١٥).

ومرض العقل يؤدى إلى الجدال الذى لا فائدة منه الذى يؤدى إلى مفاسد كثيرة مثل الحسد والافتراء والخصام والظنون الرديئة وقد ورد هذا فى رسالة (بولس) الأولى إلى تيموثاوس : " إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذى هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التى منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية ومنازعات أناس فاسدى الذهن وعادمى الحق يظنون أن التقوى تجارة . تجنب مثل هؤلاء" (١٦).

رابعا : استخدام الإنجيل البراهين العقلية

استخدم الإنجيل البراهين العقلية فى التدليل على دعاواه فها هو المسيح-عليه السلام- يأمر المخاطبين بالدعاء والسؤال وأن يتيقنوا من استجابة الله لهم فقال لهم :

"وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم .لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً أفيعطيه حجرا . أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة . أو إذا سأله بيضة أفيعطيه عقرباً فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه "(١٧) .

وتدعوا رسالة (بولس) إلى أهل رومية : إلى أن يكون الإنسان على بينة من أمره ويقين من عقيدته معتبراً دائماً فتقول " واحد يعتبر يوماً دون يوم وآخر يعتبر كل يوم فليتيقن كل واحد فى عقله . الذى يهتم باليوم فللرب يهتم والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم . والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله . والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته "(١٨) .

وقد شرح هذا النص صاحب تفسير العهد الجديد قائلاً : " ينبه بولس على فكرة أخرى : أنه يجب أن يكون الإنسان متأكداً أنه يسير فى الطريق الصائب " فليتيقن كل واحد فى عقله " لا تتبع الجماعة ولا تتبع التقليد لكن تتبع الاقتناع . لا يجب أن تفعل مايفعله كل الناس لكن تفعل ما هو صواب بعد أن نكون قد فكرنا وتأملنا وصلينا ووصلنا إلى أن هذا هو الصواب ولايمكن لإنسان أن يفرض وجهة نظره على الناس فإن هذه للأسف إحدى لعنات الكنيسة إذ يظن الإنسان أن أفكاره وعقيدته وطريقته فى العبادة وممارساته الدينية هى وحدها الصحيحة وأن كل ما عداه خطأ " (١٩) .

وتدعوا رسالة (بولس) الأولى إلى أهل(تسالونيكى) إلى أن يختبر الإنسان دائماً كل ما يلقى إليه وبالتالى فلا يقبل إلا ما يقتنع به تقول الرسالة " لا تطفئوا الروح لاتحتقروا النبوات امتحنوا كل شيء . تمسكوا بالحسن . امتنعوا عن كل شبه شر "(٢٠) .

مما سبق يتبين أن الإنجيل قد استخدم البراهين العقلية للاستدلال على صحة مايدعيه.وهذا مما يبين أهمية العقل والبرهان فى الإنجيل .وظهرت أيضا دعوة الإنجيل إلى طلب البينة واختبار الإنسان ما يدعى إليه وتظهر من وراء ذلك منزلة العقل فى الإنجيل .

خامسا : العقل وسيلة معرفة الله والإيمان .

يعتبر العقل فى الإنجيل وسيلة عظيمة لمعرفة الله تعالى . التى تقود الإنسان إلى حب الله تعالى . وهذا ما جاء فى إنجيل متى حينما سأل الكاتب المسيح عليه السلام قائلاً : "يا معلم آية وصية هى العظمى فى الناموس . فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك " (٢١).

فقد أقر المسيح (عليه السلام) الآية التى وردت فى التوراة فى سفر التثنية .

" فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك "(٢٢).

أقرها مع تبديل بسيط وهو اللفظ الأخير حيث بدل كلمة " قوتك " إلى كلمة " فكرك "وكأنه فسر القوة بالفكر .((والمراد بالفكر هنا : قوى الإنسان العقلية . فمحبة الله من كل الفكر تقتضى أن تدخل فى دروسنا ومباحثنا وأعمالنا الجسدية وأن نكون مستعدين لأن نتعلم منه تعالى كل شئ وأن نفضل تعاليم كتابه الصريحة على كل أحكام عقولنا)) (٢٣).

وجاء فى رسالة (بولس) الأولى إلى تيموثاوس : " الحق أقول فى المسيح ولاأكذب معلماً للأمم فى الإيمان والحق . فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أياد طاهرة بدون غضب ولا جدال وكذلك إن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع "(٢٤).

وهذه النصوص توضح ما للعقل من أهمية فى التأثير على إيمان الإنسان .

سادسا : الأمر بإعمال العقل

لما كانت للعقل فى الإنجيل هذه الأهمية العظيمة فقد جاء بالأمر بإعمال العقل والنهى عن إهماله كما جاء فى إنجيل متى وهو مثل طويل تكرر فيه الأمر بالفهم وإعمال العقل يقول المسيح-عليه السلام - ... " يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً. يتقرب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس ثم. دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا. ليس كل ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان. حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له أتعلم أن الفريسيين(٢٥) لما سمعوا القول نفروا فأجاب وقال كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يقلع اتركوهم هم عميان قادة عميان وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة فأجاب بطرس وقال له فسر لنا هذا المثل فقال يسوع هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين . ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضى إلى الجوف ويندفع إلى المخرج. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان . لأن من القلب تصدر أفكار شريرة قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة، زور، تجديف(٢٦) هذه هى التى تنجس الإنسان ... " (٢٧).

فقد أمرهم فى البداية أن يسمعوا ويفهموا ما يسمعوه ومعنى قوله افهموا: ((أدركوا المعنى ولا تكتفوا بالسمع))(٢٨).

ثم لما سأله واحد من التلاميذ عن تفسير المثل تعجب من عدم فهمهم للمثل الذى ضربه لهم وكان المسيح (عليه السلام) يحرص دائماً على متابعة تلاميذه من ناحية فهمهم لما يقوله لهم كما جاء فى إنجيل متى أيضاً :-

أنه كان يكلمهم عن اليوم الآخر وما يحدث فيه حيث يقول : " هكذا يكون فى انقضاء العالم . يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان فقال لهم يسوع . أفهمتم هذا كله فقالوا له نعم ياسيد..." (٢٩).

بل إن إعمال العقل وصل إلى درجة العبادة كما جاء فى رسالة (بولس) إلى أهل رومية : "فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة "(٣٠).

ففى هذا النص ((يختم بولس رسالته بالجزء العملى التطبيقى الذى يلمس الحياة فقد يسبح العقل فى محيط اللانهائى ولكن بولس ينتهى دوماً بقدمين ثابتتين على الأرض. إن بولس يصارع مع أعمق العقائد اللاهوتية ولكنه ينتهى دوماً بمطالب الأخلاق التى تحكم كل مؤمن " قدموا أجسادكم لله " لم يكن اليونانى يقول هذا أبداً لأنه لم يكن يهتم إلا بالروح أما الجسد فهو كوخ بل سجن للنفس وعلى هذا فهو واجب الاحتقار وباعث على الخجل ولكن المسيحى الحقيقى لا يرى هذا أبداً لأنه يؤمن أن جسده للرب كما أن روحه للرب لأنه يقدر أن يخدم الله بجسده كما يخدمه بعقله وروحه)) (٣١).

وعن أهمية التعقل فى أمر العبادة تقول رسالة بطرس الأولى : " وإنما نهاية كل شىء قد اقتربت فتعقلوا واصحوا للصلوات " (٣٢).

وفى الأمر بإعمال العقل لفهم الكتب تقول رسالة (بولس) الثانية إلى تيموثاوس : "افهم ما أقول فليعطك الرب فهماً فى كل شىء . اذكر يسوع المسيح المقام من بين الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى . الذى فيه احتمل المشقات حتى القيود كمذنب . لكن كلمة الله لا تقيد "(٣٣).

وهكذا يأمر الإنجيل بإعمال العقل حتى يصل إعمال العقل فيه إلى درجة العبادة نظرا لأهميته.

سابعا :- النهى عن المسكرات التى تعطل عمل العقل

على الرغم من وجود بعض النصوص التى وردت فى الإنجيل تدل على حل الخمر وتفيد أنه لا حرمة فى شربها مثل القصة التى جاءت فى إنجيل يوحنا . عن العرس الذى حضره المسيح-عليه السلام-وفرغ فيه الخمر فأبدل لهم الماء خمراً ليشربوا-حسبما يقول

الإنجيل . يقول :- " ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس . ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له . ليس لهم خمر . قال لها يسوع : مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد . قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء . فملأوها إلى فوق ثم قال لهم . استقوا الآن . وقدموا إلى رئيس المتكإ فقدموا فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعرف من أين هي . لكن الخدام الذين استقوا الماء علموا . دعا رئيس المتكإ العريس وقال له . كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن " (٣٤).

ففى هذه القصة يظهر أن المسيح بنفسه قد حول لهم الماء خمراً وكانت الخمر من النوع الجيد الذى أعجب رئيس المتكإ .

على الرغم من وجود هذه القصة التى يستفاد منها حل الخمر فى الإنجيل فإن هناك نصوصاً أخرى تنهى عن الخمر لتأثيرها على العقل كما جاء فى إنجيل لوقا : " فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة"(٣٥).

فقد حذر من شرب الخمر التى تثقل قلب الإنسان فيكون غير مستعد لملاقاة اليوم الموعود .وقد وصف يوحنا (يحيى) عليه السلام . بأنه غير شريب للخمر .

كما جاء فى البشرى التى بشر زكريا-عليه السلام-وزوجته بها بميلاد يوحنا (عليه السلام) يقول الملاك " ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب . وخمراً ومُسكراً لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس"(٣٦).

((والمقصود بالخمر هنا ما يسكر من عصير العنب وبالسكر الخمر وغيرها من المشروبات المختمرة المغيبة للعقل سواء كانت من الحبوب أم من الفواكه والعسل وغير ذلك وكانت المسكرات كلها محرمة على الكهنة فى وقت ممارسة الخدمة))(٣٧).

وقد جاء السكر فى رسالة (بولس) إلى أهل غلاطية موضوعاً بجانب محرمات كثيراً لتجعله محرماً مثلها : تقول الرسالة : " وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا عهارة . نجاسة . عبادة الأوثان . سحر . عداوة . خصام . غيرة . تحزب . شقاق . بدعة . حسد . قتل . سكر . بطر ومثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله "(٣٨)

يقول صاحب كتاب تحريم الخمر فى الديانة المسيحية : " ورد فى أسفار العهد الجديد عدة وصايا تنهى عن شرب الخمر بصريح العبارة : الوصية الأولى قوله . عن الأسقف . :"غير مدمن الخمر"(٣٩).

ولكى يتبين للقارئ كيف أن هذه الوصية تحرم شرب الخمر أقول إن كلمة مدمن معناها مداوم . فيقال فلان أدمن الخمر أى داوم شربها وحيث إن الانقطاع هو ضد المداومة ينتج من ذلك أن قوله عن الأسقف غير مدمن الخمر معناه يجب أن يكون منقطعاً عن شرب الخمر " (٤٠).

وتصف الرسالة إلى أهل أفسس الخمر بأن فيه الخلاعة . فتقول : " ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح " (٤١) .

نصوص تنقص من قيمة العقل

مع أن الإنجيل يشمل على نصوص كثيرة تمجد العقل وتمدحه وتأمر بإعماله بل وتجعل ذلك عبادة فإن هناك نصوصاً أخرى تنقص من قيمة العقل البشرى وتذم الحكمة وتمدح الجهالة كما جاء فى رسالة (بولس) الأولى إلى أهل كورنثوس : تقول الرسالة :

"لأن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر . لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح . فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله . لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر . ألم يجهل الله حكمة هذا العالم لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة(٤٢) . لأن اليهود

يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس . فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء . بل اختار الله جهال العالم ليخزى العلماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء"(٤٣) .

والنص واضح فى ذمه للعقل الإنسانى حيث يبين عدم جدواه فى الاعتقاد ويمتدح الجهالة ويبين أن لها أثرا فى استقرار العقيدة .

كما تقول نفس الرسالة مبينة أن العقل لاثمر له :-

"لذلك من يتكلم بلسان فليصل لكى يترجم-لأنه إن كنت أصلى بلسان فروحى تصلى وأما ذهنى فهو بلا ثمر فما هو إذا أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضا وأرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضا " (٤٤) .

وهذا النص مثل سابقه يبين عدم جدوى العقل بما يتناقض مع جميع النصوص السابقة التى جاءت مادحة للعقل والعقلاء ذامة للجهل والجهلاء .

هوامش المبحث الأول

(١) متى ١٣ : من ٣ : ٩ (٢) متى :- ١٣ : من ١٣ -٢٣

(٣) تفسير العهد الجديد _ إنجيل متى - وليم باركلى ترجمة القس فايز فارس ص١٥ وما بعدها بتصرف.

(٤) مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤ (٥) يوحنا ٤٩٧

(٦) مرقس ٤ :١١،١٢

(٧) وليم باركلى . تفسير العهد الجديد . إنجيل مرقس ترجمة القس فهيم عزيز ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٨) يوحنا ٨ : ٤٣ ،من ٤٤

(٩) وليم باركلى تفسير بشارة يوحنا ترجمة د. عزت زكى ص ٦٤ .

(١٠) مرقس ٨ :من ١٧ ، ١٨ (١١) لوقا ١٢ : ١٥ ، ٢٠

(١٢) رومية ١ : ٢٧:٣ (١٣) أفسس ٤ : ١٧:٣

(١٤) بحسب عقيدة أهل الإنجيل . (١٥) [٢كورنثوس ٤ : ٣ ، ٤]

(١٦) تيموثاوس ٦٠ : ٣ -٥ (١٧) لوقا ١١ : ٩ : ١٣ .

(١٨) رومية ١٤ : ٥-٧

(١٩) وليم باركلى تفسير العهد الجديد-رسالة رومية . ترجمة القس منيس عبد النور ص ٢٠٥ وما بعدها

(٢٠) تسالونيكى الأولى ٥ : ١٩-٢٢ (٢١) متى ٢٢ : ٣٦-٣٧

(٢٢) تثنية ٦ : ٥

(٢٣) د. وليم إدى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج١ ص ٣٨٠ ،٣٨١

(٢٤) تيموثارس ٢ : ٧ - ١١

(٢٥) الفريسيين :-هم شيعة من شيع اليهود تضم مجموعة الكتبة ومعلمى الشريعة وعددا من الكهنة (معجم اللاهوت الكتابى ص٦٠٥)

(٢٦) تجديف :- كلمة تناقض السجود والتسبيح الواجبين على الإنسان نحو الله وهى بهذا المعنى ترادف الكفر المعصية والبهتان (معجم اللاهوت الكتابى ص١٨ بتصرف)

(٢٧) متى ١٥ : ٧ - ٢٠

(٢٨) وليم إدى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج١ ص ٢٤٩

(٢٩) متى ١٣ : ٤٩ - ٥١ (٣٠) رومية ١٢ :١ ، ٢

(٣١) وليم باركلي-تفسير العهد الجديد رسالة رومية . ترجمة القس منيس عبد النور ص : ١٧٧، ١٧٨

(٣٢) ب ١ بطرس ٤ : ٧ (٣٣) تيموثاوس ٢ : ٧ - ٩

(٣٤) يوحنا ٢ : ٢ : ١٠ (٣٥) لوقا ٢١ : ٣٤

(٣٦) لوقا ١ : ١٤ - ١٥

(٣٧) د. وليم إدى - الكنز الجليل ج٢ ص١٤٠

(٣٨) غلاطية ٥ : ١٩-٢١. (٣٩) تيموثاوس ٣ : ٣ .

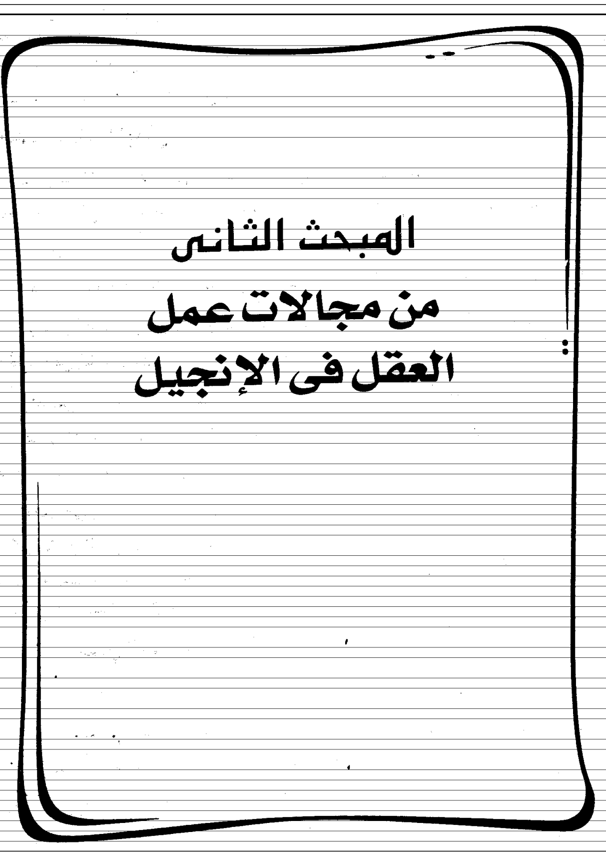
(٤٠) الشماس صادق إلياس تحريم الخمر فى الديانة المسيحية ص ١٥٥ .

(٤١) أفسس ٥ : ١٨

(٤٢) الكرازة :- هى الدعوة إلى النصرانية عن طريق التبشير بحادث الخلاص حسب عقيدة الإنجيل وهو الإعلان الجهورى لهذه الواقعة (معجم اللاهوت الكتابى ص٦٥٧ بتصرف)

(٤٣) كورنثوس ١ : ١٧ : ٢٧ (٤٤) كورنثوس ١٤ : ١٣ : ١٥





المبحث الثانى

من مجالات عمل العقل فى الإنجيل

حين يأمر الإنجيل بإعمال العقل ويجعله عبادة فى مواضع منه فقد أرشد إلى مجالات عديدة يعمل فيها العقل مثل :

١- التفكر لزيادة الإيمان :

فقد وجه الإنجيل أهله إلى أن يعملوا عقولهم ليزداد إيمانهم ويعظم يقينهم حيث أمر بمحبة الله تعالى وأرشد إلى أن تكون هذه المحبة نابعة من عقل الإنسان وفكره كما جاء فى إنجيل متى :

"فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك " (١).

وورد فى إنجيل مرقس :-" وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى ".(٢)

وقد بين (بولس) فى رسالته إلى أهل (فيلبى) أثر الفهم فى الإخلاص فقال "وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل منهم حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكى تكونوا مخلصين وبلا عثرة (٣)".

وقال فى رسالته إلى أهل (كولوسى) :." فإنى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم ولأجل الذين فى (لاودكية) (٤) وجميع الذين لم يرو وجهى فى الجسد لكى تتعزى قلوبهم مقترنة فى المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة سر الله الأب والمسيح المدخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ".(٥)

٢ :إعمال العقل لفهم الكتب

ورد فى الإنجيل ما يبين أهمية العقل لفهم الكتب التى نزلت إلى الناس . كما فعل المسيح – عليه السلام–مع أتباعه حينما " فتح ذهنهم ليفهموا الكتب "(٦)

وكما جاء فى رسالة بولس إلى أهل أفسس حيث قال :." مستنيرة عيون آذانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى ميراثه بين القديسين " (٧).

وجاء فى رسالته إلى العبرانيين ما يبين العلاقة بين العقل وبين الكتب فتقول الرسالة :.

"...يقول الرب اجعل نواميسى فى أذهانهم واكتبها على قلوبهم..." (٨).

٣- التفكر لعمل الخير واجتناب الشر

فقد أرشد الإنجيل إلى استعمال العقل للتفكر لعمل الخير لا لعمل الشر كما قال بولس فى رسالته إلى-أهل كولوسى :. "لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى مثمرين فى كل عمل صالح ونامين فى معرفة الله "(٩)

فهو يبين أن العمل الصالح إنما هو نتيجة للحكمة والفهم .

وقد تعجب المسيح من قوم تدور عقولهم بالشر والشك حينما كان فى السفينة وشك قوم من الكتبة واتهموه بالتجديف فرد عليهم قائلا :-

" لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم "(١٠)

٤- التأمل فى خلق الله

فقد أرشد الإنجيل أهله إلى أن ينظروا إلى خلق الله فى الكون من سماء وأرض وطير وذلك لأخذ العبرة منها فقال "انظروا إلى طيور السماء .إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم بالحرى أفضل منها " (١١)

وهذا من المجالات التى يرتاد العقل الإنسانى آفاقها حتى يتعرف على عظمة الله وقدرته .

وكما أرشد الإنجيل إلى النظر إلى طيور السماء لأخذ العبرة فقد أرشد كذلك إلى النظر إلى عالم النبات لأخذ العبرة كذلك كما جاء فى إنجيل لوقا يقول :-

"وقال لهم مثلاً، انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب ".(١٢)

هوامش المبحث الثانى

(١) متى ٢٢ : ٣٧

(٢) مرقس ١٢ : ٣٠

(٣) فيلبى ١ : ٩، ١٠ .

(٤) لاودكية : مدينة فى آسيا الصغرى مكانها الآن يقع فى تركيا

(٥)كولوسى ٢ : ١-٣

(٦) لوقا ٢٤ : من ٤٥

(٧) افسس ١ : ١٨

(٨) عبرانيين ٨ : من ١٠

(٩) كولوسى ١- من ٩ ، ١٠

(١٠) متى ٩ : من ٤

(١١) متى ٦ : ٢٦

(١٢) لوقا ٢١ : ٢٩ : ٣١



المبحث الثالث

موقف الإنجيل من العلم

يعتبر بيان موقف الإنجيل من العلم الإنسانى أمر ضرورى لإظهار موقفه من العقل إذ أن العلاقة بين الكتاب وبين العلم الإنسانى اليقينى تجلى وتظهر العلاقة بينه وبين العقل يشهد لذلك قول العالم والطبيب الفرنسى (موريس بوكاى) : "مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان فى كل العصور ففى البدء قيل أن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ة إذ لايمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهيه تنص على واقع غير صحيح بالمرة "(١).

ثم إن العلم الإنسانى بكل ميادينه ومجالاته ما هو إلا هبة وهبها الله للإنسان وكذلك الكتب المقدسة وكذلك العقل الإنسانى الذى هو سبب لهذه العلوم فإذا اتفقت الكتب مع مقررات العلم وحقائقه المسلمة كان ذلك دليلا على احترامها لعقل الإنسان وهذا ما سيأتى بيانه فى النقاط التالية :-

مادة (علم) فى الإنجيل

وردت مادة (علم) وما اشتق منها فى الإنجيل فى ثلاثمائة وواحد وستين موضعاً(٢) . فى صورة الفعل الماضى والمضارع والأمر والمصدر وغيرها من المشتقات.

ووردت بلفظ (العلم) إحدى عشرة مرة . وورودها فى هذه النصوص كلها يبين المنزلة الكريمة للعلم حيث تمدح الآيات الزيادة فى العلم والإيمان كما جاء فى رسالة (بولس) الثانية إلى أهل كورنثوس تقول الرسالة :-" لكن كما تزدادون فى كل شئ فى الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبتكم لنا ليتكم تزدادون فى هذه النعمة أيضاً"(٣).

ويبين الإنجيل أهمية الابتعاد عن العلم الكاذب كما جاء فى رسالة (بولس) الأولى إلى تيموثاوس :- " يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الذى إذا تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان " (٤)

ولم يات لفظ (العلماء) إلا مرة واحدة فقط كما جاء فى رسالة بطرس الثانية : "واحسبوا أناة ربنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة

المعطاة له كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء و غير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم " (٥).

مادة (قرأ) فى الإنجيل

وقد وردت مادة قرأ وما اشتق منها فى الإنجيل فى سبعة وعشرين موضعاً مثل قول المسيح -عليه السلام - فى إنجيل متى :- " فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه "(٦).

وكما جاء فى رؤيا يوحنا :- " طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظرن ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب "(٧).

وقد ذكر القلم فى الإنجيل مرة واحدة فى رسالة يوحنا الثالثة يقول :- " وكان لى كثير لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب إليك بحبر وقلم " (٨)

طبيعة العلم الذى تحدث عنه الإنجيل

مع كثرة النصوص التى ذكر فيها لفظ العلم إلا إنه قليلاً ما كان يأتى ويراد به العلم بمعناه المعروف . أى المعارف التى يكتسبها الإنسان فقد كان ذلك قليلاً حيث كان يذكر العلم ويراد به غالباً- المعرفة التى هى ضد الجهل مثل هذا النص الذى جاء فى إنجيل متى : "فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم " (٩).

وقوله :" ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا(١٠)".

أما النصوص التى جاءت فى الإنجيل تتحدث عن العلوم والمعارف التى يكتسبها الإنسان فمثلما جاء فى إنجيل متى :- " وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (١١).

ومثل قوله فى إنجيل متى أيضاً :- " فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات وأما من عمل وعلم الناس هكذا يدعى

أصغر فى ملكوت السماوات وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السماوات " (١٢).

وظاهر من هذه النصوص وأمثالها أن العلم الذى تحدثت عنه هو العلم المتعلق بالأمور الدينية من علم بالكتاب المقدس وعلم بأمور العقيدة والعبادة أما العلم المتعلق بالأمور الدنيوية من علم بالقوانين الطبيعية وغيرها فقد كان أقل القليل كما سيأتى فيمايلى :-

دعوة الإنجيل إلى النظر فى الكون :-

دعا الإنجيل إلى النظر فى الكون وذلك لاستخلاص العبر ومعرفة قدرة الله تعالى يقول إنجيل متى :-

"انظروا إلى طيور السماء .إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم بالحرى أفضل منها " (١٣)

وكما جاء فى إنجيل لوقا :- "وقال لهم مثلاً، انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب ".(١٤)

فى النص الأول يدعوا إلى النظر لحال الطيور ليعلم الإنسان أن التوكل على الله لايخيب الإنسان لأنها لا تجمع ولا تحصد ومع ذلك فإن الله يقوتها وكذلك الإنسان.

وفى الثانى يدعو إلى النظر إلى الأشجار التى تدل بتغير حال أوراقها على قرب الصيف كذلك حينما تظهر علامات معينة فإنها تدل على قرب الساعة.

وهذا فيه إيقاظ لعقل الإنسان لكى ينظر ويعتبر ليفهم.

مدى توافق الإنجيل مع حقائق العلم الحديث

هناك محاولات كثيرة بذلها العلماء من النصارى لإثبات توافق الإنجيل مع العلم وحقائقه. مثل كتاب (الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث). (١٥) الذى جاء فى

مقدمته قول الكاتب " إن الهدف الحقيقي لهذا الكتاب هو الإجابة على الاعتراضات العلمية الموجهة للكتاب المقدس . تلك النظريات العلمية التى حاول البعض بواسطتها الهجوم على الكتاب المقدس أو هكذا بدا لهم . ولكن نشكر الله أنه مع التقدم الهائل لكل أفرع العلوم نجد أن كتابنا المقدس هو فوق كل النظريات العلمية الحديثة حيث إن هذه النظريات التى هاجم بها البعض الكتاب المقدس قد اندثرت وظهرت بدلاً منها نظريات حديثة تتوافق تماما مع كل ما جاء به " (١٦) .

وهو يقصد بالكتاب المقدس هنا التوراة والإنجيل معاً وقد جاء الكتاب بعدة حقائق أثبتها العلم الحديث وورد بها الكتاب المقدس_ كما سيأتي فى فصل التوراة_ . ولكنه لم يجب على كل الاعتراضات التى مازالت قائمة والتى تبين التعارض بين الإنجيل وبين حقائق العلوم الحديثة كما سيأتي . وهناك محاولة مثل سابقتها مثل كتاب بعنوان " العلم يشهد " (١٧) .

يحاول مؤلفه أيضاً أن يوفق بين نصوص الكتاب المقدس وبين حقائق العلوم الحديثة . وهو أيضاً مثل سابقه لم يجب على كل الاعتراضات بل أورد عدة حقائق علمية جاءت فى الكتاب المقدس واكتفى بذكرها . يقول المؤلف فى مقدمته :- " ولكى يتبين للقارئ التوافق المعجزى بين ما يقوله العلم الحديث وما تقوله الكتابات المقدسة فإن هذا الكتاب يقوم بعرض اكتشافات العلوم الطبيعية جنباً إلى جنب مع حقائق الوحى الإلهى كما هى بدون إضافة أو حذف حتى تتضح العلاقة بينهما " .(١٨)

غير أن الحقيقة هى أن الإنجيل قد جاء بحقائق أثبتها العلم الحديث وأيدها وفى نفس الوقت جاء بأباطيل أنكرها العلم الحديث ولم يصدقها .

ومن الحقائق التى أثبتها العلم الحديث وذكرها الإنجيل

ما ذكره المسيح عن يونان (يونس) النبى الذى ابتلعه الحوت يقول إنجيل متى :-

"لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " (١٩) (٢٠) .

يقول مؤلف كتاب (الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث) : " صعب على البعض تصديق قصة يونان والحوت : فقد قيل إنه لا يوجد حوت يمتلك جوفاً تصل ضخامته إلى حد أن يتسع لإنسان كامل . ولكننا الآن وبعد تقدم علم الحيوان نعرف أن هناك نوعا من الحيتان هو الحوت المعروف بالحوت المنوى يعيش فى مياه البحر المتوسط ويمكنه ابتلاع أشياء أكبر من الإنسان . بل إن هناك أنواعا من الأسماك بهذه السعة أيضاً كما أن هناك العديد من الروايات عن أناس فى العصور الحديثة ابتلعهم الحوت المنوى أو أحد الوحوش البحرية ثم بعد ذلك أنقذوا أحياء وبالرغم من ذلك لا يزال البعض يشكك فى صحة هذه الرواية . لكن يكفى أن السيد المسيح -له المجد- استشهد بقصة يونان بل واستخدم هذه الرواية كرمز لمجيئه وموته وقيامته من الأموات "(٢١)

تعارض بعض نصوص الإنجيل مع حقائق العلم الحديث

بالرغم من المحاولات التى بذلت للتوفيق بين نصوص الإنجيل ومعطيات العلم الحديث إلا أن التعارض مازال قائماً بين النص الإنجيلى ومعطيات العلم الحديث فى بعض المواضع منها .

ما ذكره العالم والطبيب الفرنسى (موريس بوكاى) يقول -:((شخصياً أعتقد عن طيب خاطر أن المسيح قد استطاع أن يشفى الأبرص ولكنى لا أستطيع أن أقبل أن يقال بصحة وبإلهام الله لنص أقرأ فيه أن عشرين فقط من الأجيال قد عاشت بين أول إنسان وإبراهيم يقول ذلك لوقا فى إنجيله)) (٢٢).

ثم يمضى فيقول عن شجرة النسب للمسيح-عليه السلام (كما جاءت فى الإنجيل) :-((تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيل متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية وبالاتفاق مع المعطيات العلمية ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالمعقولية وبالاتفاق مع المعطيات العلمية ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالصحة ... وبادئ ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسباً وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجي(٢٣) فيجب

أن يكون النسب من جهة مريم فقط . وها هى ذى نصوص هذا النسب حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد يضع (متى) شجرة نسب المسيح على رأس إنجيله : " إبراهيم ولد اسحق . واسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا . واخوته . ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد آرام وآرام ولد عميناداب وعميناداب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون . وسلمون ولد بوعز من راحاب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسّى . ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا . وسليمان ولد رحبعام ,ورحبعام ولد أبيا . وأبيا ولد آسا . وآسا ولد يهوشافاط . ويهوشافاط ولد يورام . ويورام ولد عزيا . وعزيا ولد يوثام , ويوثام ولد آحاز . وآحاز ولد حزقيا . وحزقيا ولد منسى . ومنسى ولد آمون , وآمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبى بابل وبعد سبى بابل يكنيا ولد وشألتئيل ولد زر بابل وزر بابل ولد أبيهود . وأبيهود ولد الياقيم . والياقيم ولد عازور وعازور ولد صادوق . وصادوق ولد أخيم وأخيم ولد أليود وأليود ولد أليعازر وأليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح لجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً . "(٢٤)

أما لوقا فإنه يعطى المسيح نسباً يختلف عن ذلك الذى فى إنجيل متى ونقدمهما فيما يلى حسب نفس الترجمة : " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينابن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاىُ بن مآث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتيئيل بن نيرى بن ملكى بن إدى بن قصم بن المودام بن عير بن يوسى بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن

قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله(٢٥).

...يرى القارئ .- والكلام لا يزال للدكتور موريس بوكاى -هاهنا شجرتى نسب المسيح والنقطة المشتركة الجوهرية هى المرور بإبراهيم وداود ولتيسير هذه الدراسة سنتصدى للنقد بتقسيم المجموع إلى ثلاثة أجزاء :--

١- من آدم إلى إبراهيم

٢- من إبراهيم إلى داود

٣- من داود إلى المسيح

١- الفترة من آدم إلى إبراهيم :

بما أن متى يبدأ شجرة المسيح بإبراهيم فالأمر هنا لا يخصه إن لوقا فقط هو الذى يعطى معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم . وهو يعطى عشرين اسما يوجد منها كما قلنا تسعة عشر اسماً بسفر التكوين (إصحاحات ٤ ، ٥ ، ١١) أيمكن تصور أنه لم يكن هناك إلا ١٩ أو ٢٠ جيلاً من الكائنات البشرية قبل إبراهيم ؟ لقد درست المشكلة فيما يختص بالعهد القديم وإذا رجع القارئ إلى جدول أنسال آدم حسب سفر التكوين والذى يحتوى على الإحداثيات الحسابية والزمنية التى يمكن استنتاجها من نص التوراة . فسنجد أنه قد مر حوالى ١٩ قرناً فيما بين ظهور الإنسان على الأرض وميلاد إبراهيم(٢٦) . ولكن لما كان المتخصصون يقدرون حالياً أن إبراهيم كان يعيش فى عام ١٨٥٠ قبل الميلاد تقريباً . فإننا نستنتج أن الإحداثيات التى يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالى ٣٨ قرناً قبل المسيح . وبالطبع فقد استلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله ولأنه نقل هذه المعطيات فقد وهم .. فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول فى ضوء المعارف الحديثة "(٢٧).

وكلام الدكتور(بوكاى) عن هذا النسب مازالت له بقية طويلة كلها استدلال على عدم اتفاق هذا النسب مع ما أثبته العلم الحديث فيكتفى البحث بما سبق لأن فيه الكفاية خشية التطويل .

ومن أغرب ما كتب للدفاع عن هذا التناقض البين ما كتبه صاحب الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل يقول فى الدفاع عن هذا التعارض : ((فى الإنجيل جدولان لأسلاف المسيح من جهة ناسوته (جسده) كتب الأول متى وكتب الآخر لوقا والأول يبتدئ من إبراهيم أن متى كتب لليهود والآخر من آدم إلى البشر لأن لوقا كتب للذين هم أمم أصلا فيسوع متسلسل من إبراهيم و داود ومريم بحسب الناسوت وابن الله الأزلى باعتبار لاهوته ويوحنا اقتصر على نسبه الإلهى .

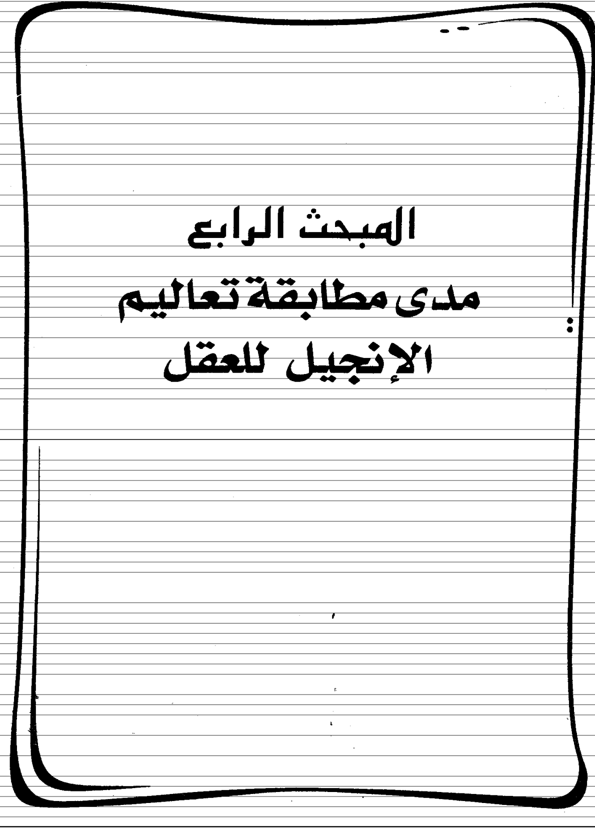
ويظهر أن جدول متى ولوقا -وإن كانا ينتهيان كلاهما فى يوسف- يختلفان لأن الواحد يذكر أن يوسف ابن يعقوب والآخر يذكر أنه ابن هالى فمن جهة هذا الخلاف الظاهر نقول إن متى كتب لليهود الذين كانوا يعتبرون جدول الذكور هو الجدول الشرعى فاضطر متى أن يثبت تسلسله الشرعى ولذلك يذكر جدول أسلاف يوسف .

وبما أن لوقا كتب للأمم فهو يذكر النسب الحقيقى أى تسلسل مخلصنا من هالى الذى هو أبو مريم أم يسوع فصاعدا وهذا هو الأرجح فإذا جدول متى هو الجدول الشرعى لأنه جدول أنساب يعتمد على الترجمة السبعينية على ما يرجح وجدول لوقا هو الجدول الحقيقى أما متى فإنه يهمل أشخاصا كانوا فى السلسلة وسبب ذلك الإهمال مجهول والأرجح أنه كان مفهوما فى وقته .))(٢٨)

فهل الغاية تبرر الوسيلة هنا فهل إذا كان متى يكتب إنجيله لليهود ولوقا يكتب للأمم يعد ذلك مسوغا لكتابة غير الحقيقة ؟ !وإلا بم يفسر هذا التعارض. ؟!

هوامش المبحث الثالث

(١) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١١ بتصرف .
(٢) من اسطوانة الحاسب الآلى " الكتاب المقدس " الصادرة عن دار الكتاب المقدس .
وفهرس الكتاب المقدس
(٣) كورنثوس ٨ :٧ (٤) تيموثاوس ٦ : ٢٠ ، ٢١
(٥) بطرس ٣ :١٥ ، ١٦ (٦) متى ١٢ :٣
(٧) رؤيا يوحنا ١ : ٣ (٨) يوحنا ١ : ١٣
(٩) متى ٩ : ٤ (١٠) متى ٩ : من ٦
(١١) متى ٤ : ٢٣ (١٢) متى ٥ : ١٩
(١٣) متى ٦ : ٢٦ (١٤) لوقا ٢١ : ٢٩ : ٣١
(١٥) تأليف هنرى. م .موريس ترجمة د . نظير عريان
(١٦) هنرى. م .موريس - الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث ص ٥
(١٧) تأليف بيتر . و . ستونر ترجمة أنيس إبراهيم
(١٨) بيتر . و . ستونر العلم يشهد ص ٦ (١٩) متى ١٢ : ٤٠
(٢٠) فى الحقيقة يعتبر قياس المدة التى لبثها المسيح فى بطن الأرض _ حسب زعم الإنجيل_ على المدة التى لبثها يونان (يونس) فى بطن الحوت قياسا مغلوطا بنص الإنجيل نفسه إذ يبين الإنجيل أن المدة التى لبثها المسيح فى القبر لم تكن ثلاثة أيام وثلاث ليال بل كانت ليلتين وجزءا من يومين ويوما كاملا انظر (متى إصحاح ٢٧ ، ٢٨) وهذا تعارض لا محيص عنه
(٢١) هنرى . م. موريس الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث ص ٤٠ ، ٤١
(٢٢) موريس بوكاى-دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٠٤ .
(٢٣) متى ١ : ٢ - ١٧ (٢٤) لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨
(٢٥) كأنه هنا يقطع الطريق على صاحب كتاب " العلم يشهد " الذى يحاول تبرير هذا الخطأ إلى أنه ليس المقصود بكلمة "ابن " فى نسب المسيح البنوة الحقيقية إنما المقصود هو بيان أنه ينحدر من نسله لا أنه ابنه حقيقة ص٨٢ .
(٢٦) موريس بوكاى-دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٥-١١٣ بتصرف واختصار
(٢٧) وليم إدى . _الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج١ ص١٢



المبحث الرابع

مدى مطابقة تعاليم الإنجيل للعقل

يعتبر هذا المبحث فى غاية الأهمية للخروج بتصور واضح عن موقف الإنجيل من العقل . فالإجابة عن هذا السؤال توضح بجلاء هل فعلا احترم الإنجيل العقل كما سبق فى مبحث منزلة العقل فى الإنجيل _ إلا ما ندر فى الآيات التى تقلل من شأن العقل _ أم على العكس لم يعط الإنجيل للعقل البشرى حقه فى الاقتناع بما أمر به من عقائد وشرائع وأخلاق ؟

وفيما يلى بيان لأهم ما جاء فى الإنجيل عن هذه التعاليم .

أولا :- جانب العقيدة :

الحديث عن العقيدة بمعناها العام يشمل كل ما يعتقده الإنسان ويؤمن به مثل العقيدة فى الإله والعقيدة فى الرسل واليوم الآخر وغيرها .

ولما كان من المتعذر أن يستقصى البحث هذه الأقسام كلها فإنه سيكتفى بجانب واحد منها وهو عقيدة الإنجيل فى الإله . فهى أهم هذه العقائد _ كما سبق فى فصل القرآن _ " من عرف عقيدة قوم فى إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان فلا يهبط دين وعقيدته فى الإله عالية ولا يعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة"(١).

وللحقيقة فقد جاءت فى الإنجيل آيات تتحدث عن الإله بأرقى صورة يتصورها عقل بشرى سليم .

* فهو الإله الواحد المستحق لمحبة الناس يقول الإنجيل : " فأجابه يسوع إن أول الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك و من كل قدرتك هى الوصية الأولى " (٢)

* والله هو المستحق للعبودية وحده لا يرضى شريكا له :.

" ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال " (٣).

* وهو خالق كل شيء :.

" كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان " (٤)

* وهو القدوس والقادر على كل شيء :-

" ... قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذى كان والكائن والذى يأتى "(٥)

* وهو الإله الذى لا يفنى ولا يرى المستحق للكرامة والمجد وحده : -

" وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور . "(٦)

* وهو المعطى الذى لا يتغير :-

"وكل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران "(٧)

* وهو القادر على كل شيء :-

"فنظر لهم يسوع وقال لهم هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع " (٨)

ومع وجود هذه النصوص التى يقبلها العقل البشرى ولا تتعارض معه توجد نصوص أخرى يجد العقل السليم نفسه مقهوراً على قبولها غير مقتنع بها (بشهادة علماء النصارى كما سيأتى) كتلك النصوص التى تتحدث من عقيدة تثليث الإله التى تبين أن الله مكون من ثلاثة أقانيم هى الآب والابن والروح القدس :-

مثلما ورد فى إنجيل متى :

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الآب والابن والروح القدس " (٩).

أو هذا النص الذى يبين أن المسيح _ هو ابن الله حقيقة لا مجازا وهو ما جاء فى إنجيل يوحنا .

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ".(١٠)

ومما يدل على أن هذا النص يقصد ببنوة المسيح لله البنوة الحقيقية وليست المجازية أنه قد جاء فى الأصل الإنجليزى لهذه الترجمة العربية ما يفيد ذلك _ تقول النسخة الإنجليزية وهى نسخة الملك (جيمس) : .(١١)

((For God so loved the world that he gave his only begotten son, that whosoever believeth in him should not perish, But have ever-lasting life)) . [king tamesversion jn 3 : 16] [(3)].

حيث وصفت الآيات المسيح -عليه السلام- بأنه (begotten son) وقد حذف هذا الوصف من الترجمة العربية وهى تعنى ابنه المولود حقيقة لأن كلمة (begotten) مشتقة من الفعل " beget "وهو يعنى بالإنجليزية : ينجب ولدا (١٢).

وإلى هذه العقيدة فى الإله وهى عقيدة التثليث تشير آيات كثيرة فى الإنجيل فقد ورد أيضا فى رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس يقول مشيرا إلى هذه العقيدة :

" سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة يسلم عليكم جميع القديسين نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين " .(١٣)

ويبين الإنجيل أن المسيح متحد مع الله كما جاء فى إنجيل يوحنا على لسان المسيح "أنا والأب واحد "(١٤).

وشرح هذا المعنى حينما سأله فيلبس أن يريه الرب فرد عليه مبينا أن من رأى المسيح فقد رأى الرب كما جاء فى إنجيل يوحنا :-"قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا ، قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس الذى رآنى فقد رأى

الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ . الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال . صدقوني أنا في الآب والآب في "(١٥).

والنصوص التي تبين هذه العقيدة كثيرة منشورة في جميع أسفار الإنجيل وهو ما يؤمن به النصارى كما جاء في كتبهم .يقول أحد علمائهم وهو د. دونالد ديماري تحت عنوان (الله مثلث الأقانيم) :هذا صحيح إن الله مثلث الأقانيم في واحد وهذا ما يسمى بعقيدة التثليث التي نؤمن بها لا على أساس أنها مقبولة منطقيا أو غير مقبولة بل لأن الكتاب المقدس يعلمنا إياها إلى جانب أنها حقيقة مؤكدة في تاريخ الكنيسة .(١٦)

ويشرح عقيدة اتحاد المسيح مع الله .فيقول تحت عنوان (الله الإنسان) " فما الذى نعنيه بعبارة المسيح المتجسد ؟ إننا نعني أن ابن الإنسان اتحد . مع ابن الله ليكون الله الإنسان ومن ثم كان إلها حقيقيا وإنسانا حقيقيا كان إلها وإنسانا متعادلين . إن هذا السر أعمق من أن يدركه العقل البشرى ونحن نقبله بالإيمان على أساس ما جاء به الإنجيل الذى يسجل بوضوح ما لا يقل من أربعة أمور أعلنها يسوع تبرهن على حقيقة أنه كان الإله الإنسان فما هي هذه الأمور الأربعة .

١- أعلن يسوع المسيح أن له القدرة على أن يأتي أعمالا خارقة للطبيعة وهي التي يسميها العهد الجديد بالمعجزات.

٢-كان ليسوع إدراك أخلاقي فريد إذا أضاف إلى الديانة ناموسا أخلاقيا جديدا هو ناموس المحبة الذى شكل بعدا جديدا في الديانة .

٣-أعلن يسوع أنه يستطيع أن يخلص من الخطيئة لقد غفر الخطيئة فأعتق الناس من سلطانها ومن الإحساس بالذنب .

٤-أخيرا أعلن يسوع وحدته بالآب فمرارا ما يعلن خاصة في إنجيل يوحنا "أنا الآب واحد" (١٧).

فالكاتب هنا يؤمن أن الله ثالث ثلاثة وأنه متحد مع المسيح فى كيان واحد ويستدل على ذلك بهذه الأدلة الأربعة بمعجزات السيد المسيح وبالخلق الذى أتى به وهو المحبة وبقدرته على التخليص من الخطيئة وبإعلانه الاتحاد مع الله .

ولا يخفى أنه نفسه غير مقتنع بهذه العقيدة وأن عقله لا يقبلها بدليل :

* قوله أولا عن عقيدة التثليث :" تؤمن لا على أساس أنها مقبولة منطقيا أو غير مقبولة بل لأن الكتاب المقدس يعلمنا إياها"

* وقوله ثانيا :"إن هذا السر أعمق من أن يدركه العقل البشرى "

وهذا الموقف من هذا الكاتب من العقيدة فى الله يفضى بالبحث إلى بيان موقف علماء النصارى من هذه العقيدة التى أعلمهم بها الإنجيل هل استطاعت عقولهم أن تطمئن إليها أم لا . ؟

موقف بعض علماء النصارى من العقيدة فى الإله كما ذكرها الإنجيل

بمطالعة بعض آراء العلماء النصارى الذين كتبوا عن العقيدة فى الإله التى ذكرها الإنجيل ظهر أن هناك قاسما مشتركا يجمع بينهم وهو حيرة عقولهم أمام هذه العقيدة غير أنهم اختلفوا فى التعبير عن هذه الحيرة .إلى عدة اتجاهات :

* فمنهم من عبر عن عدم اقتناعه بهذه العقيدة وعدم قبول عقله لها بصراحة من غير أن يبرر علة تمسكه بها .

* منهم من اعترف بصعوبة فهمها وان التمس العذر لاستمراره على اعتناقها مبينا أن السبب هو قصور العقل البشرى .

* ومنهم من اقر بتعارض هذه العقيدة مع عقله غير أنه ابتكر فلسفة جديدة ليقنع عقله بقبولها .

* ومنهم من أعلن رفضه لهذه العقيدة صراحة وترك النصرانية باحثا عن عقيدة تقنع عقله وتريح قلبه .ويظهر هذا فيما يلى :

أصحاب الاتجاه الأول: المعترضون صراحة على عقيدة التثليث فى الإنجيل مع بقائهم على النصرانية.

وهؤلاء أعلنوا استحالة قبول عقولهم لهذه العقيدة بصراحة وسفهوا من يعتنقها بهذه الصورة

– مثل(مارتن لوثر)(١٨) الذى عبر عن سخطه واحتجاجه بقوله :" أنت لا تستطيع أن تقبل كلا من الإنجيل والعقل فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر إن كل آيات عقيدتنا المسيحية التى كشف الله لنا عنها فى كلمته أمام العقل مستحيلة تماما ومنافية للعقول وزائفة ".(١٩)

– ومثل محرر دائرة معارف " لاروس " للقرن التاسع عشر حيث يقول تحت عنوان (دين) :-

((إن قلنا إن الذوق الإنسانى يقتضى اعتقاد الأشياء التى يمكن تعقلها يقولون لا .. لا ثم يحاولون إذلال هذا العقل الإنسانى الذى يدعى لنفسه حق التميز بين الخير والشر وبين العدل والظلم حتى إذا تم تعمية عين العقل وتغشية باصرة البصيرة إلى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية وأن تتوهم الأبيض أسود وأن تعد الرذيلة فضيلة يعود الدين فيهيب بالناس إلى الطاعة فإن سألتهم نطيع من ؟أنطيع عقولنا أم واجباتنا الطبيعية أم إحساساتنا القلبية؟ أنطيع القوانين المفيدة للإنسانية والتى تنتج تلك الأصول المتقدمة نفسها؟ أجابوك ! لا ولكن أطع وأنت أعمى)) (٢٠).

الاتجاه الثانى: الملتمسون للعذر فى تمسكهم بالنصرانية مع صعوبة فهمهم لعقيدتها.

وهم الذين أقروا بصعوبة فهم العقيدة فى الإله التى ذكرها الإنجيل غير أنهم أرجعوا ذلك إلى عقولهم القاصرة .

– مثل صاحب رسالة التثليث والتوحيد الذى قال شارحا العقيدة فى الإله كما يصورها الإنجيل : ((ونحن إذ نسلم أن جسد الإنسان واحد لكن تتعدد أعضاؤه وأن

الشعب واحد لكن تتعدد أفراده فهذا يسهل علينا تفهم حقيقة التعدد فى الوحدانية فنقول فى صراحة إن الله تعالى واحد فى الجوهر ولا يستلزم انقسامه أو انفصاله لأن جوهر الله غير مادى بل هو روحى والروح لا يقبل الإنقسام مطلقا فكل أقنوم جوهر اللاهوت الواحد نعم إن الله-تعالى-ليس كمثله شىء ولكنا نقول من باب التقريب فقط مثلا أعضاء الجسم كثيرة ولكن الجسد مع ذلك واحد فإن لكل عضو ملء جوهر الروح الواحد على أنه من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة "(٢١) .

وقد برر عدم فهمه لهذا اللغز بقصور عقله لا غير .

الاتجاه الثالث: أصحاب الفلسفة الجديدة:

وهم الذين لم يفهموا العقيدة فى الإله التى ذكرها الإنجيل إلا أنهم ابتكروا فلسفة غريبة ليتحايلوا بها على عقولهم :

- مثل الفيلسوف " وليم جيمس " (٢٢) الذى ألف كتابا عن صلة العقل بالدين وتحت عنوان إرادة الاعتقاد يقول : "جئتكم الليلة بشىء يشبه أن يكون موعظة دينية حول البرهنة على العقيدة لأحدثكم به وأعنى بذلك مقالا يبرر الاعتقاد ويبين أن لنا الحق فى أن نعتقد فى بعض الموضوعات الدينية على الرغم من أنه قد لا يكون لنا من الأدلة المنطقية ما يكفى لإقناع قوانا العقلية .وعنوان هذه الرسالة هو إرادة الاعتقاد ولقد دافعت من زمن بعيد أمام طلابى عن مشروعية الاعتقاد الناشئ عن مشيئة واختيار ولكنهم عندما تشبعوا بالروح المنطقية رفضوا أن يقتنعوا بصحة وجهة نظرى من الناحية الفلسفية وإن كانوا -جميعا ذوى عقائد فعلية". (٢٣)

- ومن أصحاب هذا الاتجاه من استدل بموت المسيح - حسب كلام الإنجيل _ على ألوهيته وهو صاحب كتب البرهان الصحيح على ألوهية المسيح . يقول ((أو ليس مجرد موته كافيا لجحود ألوهيته فأين القوة من الضعف وما الاتفاق بين الإله الحى القوى والموت الذى هو دليل على الانحلال والفناء فلا مراء أن يفحمنا الجاحد

بقوله :-دعنا من تأليه مسيحك فإنك إذا ذكرت موته أقررت بأنه ليس بإله إذ الموت واللاهوت على طرفى نقيض فماذا نجيب هذا القول أو ليس من شأنه أن يلقمنا الحجر ، ويزيف كل أدلتنا ؟ كلا ليس ثم من داع إلى الخجل فهيهات أن نجد فى موت السيد المسيح ما يخجلنا بل نجد على خلاف ذلك ما يزيدنا اعتبارا لشخصه وثقة بلاهوته وليس مجلى أعظم للقوة من أن تبرز فى الضعف كما قال الرسول فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس :

" إن القوة تثبت فى الوهن " (٢٤) وقد ظهرت تلك القوة بكل بهائها . فى صلب المسيح كما قال الرسول عينه :. إن المسيح وإن كان قد صلب عن ضعف فإنه حى بقوة الله .. فلا خوف علينا إذن إذا أقررنا بصلب المسيح وموته لأنه جعل ذلك الموت دليلا على قوته بل هو برهان ساطع على لاهوته .)) (٢٥)

الاتجاه الرابع : تاركو النصرانية لعدم اقتناعهم بعقيدتها:

ويمثل هذا الاتجاه عدد كبير من الذين تركوا النصرانية لعدم اقتناعهم بها حتى وإن ولدوا ونشأوا نصارى واعتنقوا الإسلام :

- ومن هؤلاء : المونسينور (فردريك دولا مارك) كبير أساقفة جوهانسبرج(٢٦) سابقا حيث يقول عن نفسه :. ((لقد درست الإسلام للوقوف على عدة أساسيات لابد منها لصحة عقيدتى وهى كالآتى :-

أولا : الألوهية

ثانيا : الوحدانية

ثالثا : صورة عيسى عليه السلام فى الإسلام وهل هو إنسان أم إله .

لقد وصفنى كل من عرفنى برجاحة العقل والفكر فهل أظل على حيرتى تلك فى هذه الأساسيات الثلاث التى لم أجد لها وضوحا فى النصرانية . ؟ لا ثم لا لقد ذهبت إلى الإسلام لأجد عنده ما يشفى غلتى ويريح ضميرى فوجدت عنده الجواب)) (٢٧).

ومثل الأستاذ (مجدى مرجان) الذى سمى نفسه بعد إسلامه "محمدا" والذى يقول عن نفسه:- ((ولدت لأعبد المسيح ولأرفعه إلها فوق الآلهة فلما شببت شككت فبحثت عن الحقيقة ونقبت فعرفت ونادانى المسيح يا عبد الله أنا بشر مثلك فلا تشرك بالخالق وتعبد المخلوق ولكن اقتد بى واعبده معى ودعنا نبتهل له سويا أبانا وإلهنا حمدك وسبحانك رب العالمين إياك نعبد وإياك نستعين يا عبد الله أنا وأنت وباقى الناس عبيد الرحمن . فآمنت بالله وصدقت المسيح وكفرت بالآلهة المصنوعة)) (٢٨).

مما سبق يتبين أن الإنجيل قد أورد فى جانب العقيدة ما يتعارض مع العقل حيث أتى بعقيدة لم يستطع الكثير من المخاطبين به أن يفهموها .

ثانيا: جانب الشريعة

من الأيام الأولى لابتداء المسيح دعوته أعلن أنه فى شريعته تابع لشريعة التوراة (كما بين الإنجيل) فى إنجيل متى يقول المسيح عليه السلام "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل "(٢٩)

وعلى هذا فقد أعلن المسيح تبعيته التامة لشريعة التوراة إلا فى الأمور التى جاء ليكلمها .وبالنظر إلى شريعة الإنجيل يظهر أنها قد حوت أمورا لا يجد العقل مانعا من قبوله والاقتناع بها وأمورا أخرى يحار العقل فى تصديقها وفهمها والاقتناع بها .

فمن الأمور التى تتطابق مع العقل ما جاء به الإنجيل من أمر بالصلاة والصوم والصدقة وغيرها من القربات -دون الدخول فى تفاصيل هذه العبادات.

ويكتفى البحث بالإشارة إلى واحدة منها مثل الصلاة التى أمر بها الإنجيل ليظهر كيف ينظر إليها الإنجيل.-

- فالإنجيل يأمر بإقامة الصلاة والمواظبة عليها كما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى "واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر " (٣٠).

- وبإقامتها بلا انقطاع كما جاء فى الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى "صلوا بلاانقطاع "(٣١).

- ويبين الإنجيل أن الصلاة تصعد إلى الله وتحفظ عنده كما جاء فى سفر أعمال الرسل : "صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله "(٣٢)

- ويأمر بإخلاص الصلاة لله وتخليصها من شوائب مراءاة الناس فيقول :- "ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم "(٣٣)

- ويبين الإنجيل أهميه استحضار العقل فى الصلاة نظرا لأهمية العقل كما جاء فى رسالة بطرس الأولى فيقول :-

"وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت فتعقلوا واصحوا للصلوات " (٣٤) .

وكما جاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس :- " فما هو إذن أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضا أرتل بالروح أرتل وبالذهن أيضا " (٣٥) .

غير أن هناك عبادات تتناقض مع العقل جاء بها الإنجيل مثل العبادة التى يسمونها بـ(العشاء الربانى) .

وقد أخذت هذه العبادة مما جاء فى إنجيل متى فى الإصحاح السادس والعشرون يقول الإنجيل مبينا الحوار الذى دار بين المسيح وبين الحواريين فى أيامه الأخيرة على الأرض "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (٣٦) .

وهى عبادة يحرص النصارى على القيام بها حيث جرى (المسيحيون)على محاكاة هذا العشاء فى بعض أعيادهم على الأخص ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم . وجرت العادة أن تعد الكنائس خبزا وخمرا بطقوس خاصة ليتناولها المصلون ويعتقدون أن الخبز

والخمر قد أصبحا بعد إعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه فالخبز أصبح قطعة من جسده والخمر أصبحت قطرات من دمه وبذلك يمتزج لحم المسيح ودمه بلحم من يتناولها وبدمه " (٣٧) .

ويشرح هذه العبادة أحد علماء النصارى وهو (د/ دونالد ديمارى) قائلا تحت عنوان (فريضة العشاء الرباني) :((العشاء الرباني فريضة شأنه شأن المعمودية(٣٨) لقد رسمها الرب يسوع نفسه [متى ٢٦ : ٢٦-٢٩] ،[مرقس١٤ : ٢٢] وهى واسطة لنوال النعمة الإلهية حين تمارس على نحو صحيح إنها تتم بواسطة رموز خارجية منظورة ﴿الخبز والخمر﴾ وهى تشير إلى عمل داخلى فى الشخص الذى يشترك فيه ذوالعشاء الربانى يرمز إلى أمور عديدة محدودة لابد من إيضاحها ووعيها فى الذهن بكل وضوح.

١- الإشارة إلى صلب المسيح وآلامه

حيث إن الخبز المكسور يذكر المشترك بجسد يسوع المسيح المكسور فوق الصليب على حين أن الخمر يذكره بدمه المسفوك والعشاء الربانى يوحى بوضوح ولا شك بما قاساه المسيح من شديد الآلام •

٢-الإشارة إلى القوة الروحية :-حين يتناول المرء من عنصرى الخبز والخمر بالأيمان فإنه يرمز بذلك إلى إطعام الله للنفس.

٣- العشاء الربانى رمز لمجيء المسيح الثانى:-

((لقد ربط المسيح نفسه بين مجيئه الثانى وغلبته وبين العشاء الربانى))(٣٩) (وأقول لكم من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى)(٤٠) . فهو يشير إلى أن عبادة العشاء الربانى هذه مستمدة من الإنجيل وأنها مليئة بالرموز التى تشير إلى حقائق تتعلق بعقيدة الإنجيل نفسها .

وهذه العبادة يقف العقل أمامها حائراً لا يفهمها بدليل أن(مارتن لوثر) مؤسس الكنيسة البروتستانتية قد اعترض عليها ووصف من يطبقها ويصدقها بالحمق فقال :

(كيف يعتقد ذلك الأحمق الصغير الماكر أن هناك شيئا يمكن أن يكون أكثر مجافاة بالعقل واستحالة من أن المسيح يعطينا جسده لنأكله ودمه لنشربه فى العشاء الأخير) (٤١).

ومع أن المسيح قد أعلن أنه تابع لشريعة التوراة وأنه لم يأت بنقضها فقد ورد فى الإنجيل أن المسيح نفسه قد خالف التوراة فى عدة أمور .مما يعد تناقضا فى شريعة الإنجيل .

* مثل عدم إباحة الطلاق إلا لعلة الزنا كما ورد فى انجيل متى-نقضا لشريعة التوراة - "وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلالعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى "(٤٢)

و((لقد اتفقت جميع الطوائف النصرانية على أن الزواج سر مقدس ،وأن الرابطة الزوجية أبدية بين الزوجين ،لا يجوز انحلالها حال حياتهما كأبدية علاقة المسيح بالكنيسة))(٤٣)

و((لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق بدليل أن الدول (المسيحية) سنت قوانين تبيح الطلاق)) (٤٤)

* ومثل عدم إقامة الحد على الزنا -كما كان فى التوراة- وقد جاء هذا فى إنجيل يوحنا .حينما قدم مجموعة من اليهود امرأة أمسكت وهى تزنى طالبين من المسيح إقامة حد الزنا عليها إعمالا لشريعة التوراة فرد عليهم قائلا :- " من كان منكم بلا خطية فليرمها بحجر "(٤٥)

وقال للمرأة بعد أن ذهبوا جميعا ولم يبق إلا هى :- " اذهبى ولا تخطئى " (٤٦).

وهذا تناقض بين نصوص الإنجيل نفسه لا يعلم العقل له سببا مما يوقعه فى حيرة شديدة .

ثالثا : جانب الأخلاق

أمر الإنجيل بالتحلى بالأخلاق الحسنة التى يجمع الناس جميعاً على حسنها من أمر بالرحمة والعدل والتسامح والمحبة وغيرها بيد أن هناك أوامر أخرى تتصل بجانب الأخلاق يقف العقل أمامها حائراً لا يدرى علتها ولا يقدر على فهمها .

فقد أمر الإنجيل بالتحلى بالأخلاق الحسنة كما جاء فى إنجيل متى على لسان المسيح يقول : " طوبى للرحماء لأنهم يرحمون طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون "(٤٧).

ويأمر بالعفة ويرغب فيها فيقول :-" قد سمعتم أن قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم "(٤٨)

ولا يخفى ما فى الآيات من أوامر تحث على خلق من مكارم الأخلاق وهو العفة غير أن هناك صعوبة فى تطبيق الآية الأخيرة فهو أمر يشق على عموم الناس والغرض منها المبالغة فى التصون وغض البصر.

ويأمر بالتسامح والكرم فيقول : " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ".(٤٩). ولكن من المحير أن توجد هذه التعاليم السامية والأخلاق العالية فى الإنجيل بجانب آيات أخرى تناقضها ففى الوقت الذى يمدح فيه الإنجيل صانعى السلام يأتى فى آية أخرى لينفى عن نفسه سعيه إلى السلام فيقول : لا تظنوا إنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفاً " (٥٠).

وفى الوقت الذى يأمر فيه بالتسامح والعفو وحب الأعداء ومباركة اللاعنين . مع مشقة هذين الأمرين على الطبيعة البشرية بل استحالتهما فيقول :- " وأما أنا فأقول أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (٥١).

مع هذه الأوامر التى يأمر فيها بالتسامح وحب الأعداء يدعوا فى آية أخرى إلى بغض الأهل من أب وأم وزوجه وأولاد وإخوة وأخوات فيقول :- " إن كان أحد يأتى إلى ولا

يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"(٥٢).

وقد طبق المسيح (حسب قول الإنجيل) هذا الأمر عملياً حين قيل له إن أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فرد قائلا :- " من هي أمي ومن هم إخوتي ثم مد يده إلى تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي "(٥٣).

وقد خالف أمره بحب الأعداء ومباركة اللاعنين حينما قال : " أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليكم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي " (٥٤).

فأين التسامح والعفو والمحبة ؟!!

هوامش المبحث الرابع

(١) عباس محمود العقاد . حقائق الإسلام _ وأباطيل خصومه _ ص٢٨ باختصار .

(٢) مرقس١٢: ٢٩ ، ٣٠ (٣) متى ٦ : ٢٤

(٤) يوحنا ١ : ٣ (٥) رؤيا ٤ : من ٨

(٦) تيموثاوس ١ : ١٧ (٧) يعقوب ١ : ١٧

(٨) متى ١٩ : ٢٦ (٩) متى ٢٨ :١٩

(١٠) يوحنا ٣ :١٦

(١١) فى النسخة التى طبعت بأمر الملك جيمس الأول عام ١٦١١ م (ببريطانيا)

[الشيخ أحمد ديدات .هل الكتاب المقدس كلام الله ص ١٨]

(١٢) اسطوانة الكتاب المقدس الخاصة بالحاسب الآلى إصدار دار الكتاب المقدس - مصر

(١٣) قاموس المورد منير البعلبكى مادة (beget)ص ٩٧ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثامنة والعشرين عام ١٩٩٤ م

(١٤) ا كورنثوس ١٣ : ١٢ ، ١٤ (١٥) يوحنا ١٠ : ٣٠

(١٦) يوحنا ١٤ : ٨-١١

(١٧) د. دونالد ديمارى . عقائد أساسية مدخل فى علم اللاهوت المسيحى ترجمة شاكر إبراهيم سعيد . ص ٣١ ط. مكتبة النيل المسيحية .

(١٨) المرجع السابق ص ٨٥ ، ٨٦ بتصرف يسير .

(١٩) مارتن لوثر :- ولد عام ١٤٨٣ م بمقاطعة سكسونيا بألمانيا تلقى تعليمه بألمانيا وعين أستاذا للفلسفة بجامعة (وتنبرج) عام ١٥٠٨ نشر ٥٩ بحثا ضد عقيدة الكاثوليك وصدر قرار حرمانه من الكنيسة عام ١٥٢٠ وأحرقت كتبه وقد أنشئ المذهب البروتستانتى توفى عام ١٥٤٦م (عظماء قادة الأديان د. عبد الجليل شلبى ص ١٧٨ وما بعدها) .

(٢٠) قصة الحضارة - ول ديورانت ج٢٤ ص ٥٦

(٢١) دائرة معارف " لاروس " للقرن التاسع عشر مادة " دين " نقلاً عن روح الدين الإسلامي أ. عفيف طبارة ص ٢٦٧ دار العلم للملايين بيروت .

(٢٢) أ. يس منصور واعظ الأقباط -رسالة التثليث والتوحيد ص ٣١ ، ٣٢ مطبعة الإسكندرية محرم بك الطبعة الثالثة ١٩٦٧م

(٢٣) وليم جيمس :-فيلسوف وعالم نفس أمريكي ولد عام ١٨٤٢م وتلقى تعليمه بألمانيا ، مات عام ١٩١٠م.

(٢٤) وليم جيمس العقل والدين ص ٥ ط . لجنة التأليف والنشر والترجمة .

(٢٥) لم اعثر على نص بهذا اللفظ في الإنجيل

(٢٦)الأب يوسف لويس . (راعي الأقباط الكاثوليك بكوبرى القبة) كتاب البرهان الصحيح على ألوهية المسيح ص ٨٠ وما بعدها بتصرف يسير .

(٢٧) جوهانسبرج مدينة بجمهورية جنوب أفريقيا .

(٢٨) مجلة التضامن الإسلامي جمادى الأولى ١٤١٣ هـ ص ٨٥ نقلاً عن كتاب لماذا أسلم هؤلاء القساوسة (الشوادفي الباز) ص ٣٤ ، ٣٥ مكتبة العبيكان بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٢٩) أ. محمد مجدى مرجان المسيح إنسان أم إله غلاف الكتاب دار النهضة العربية .

(٣٠) متى ٥ :١٧-١٨ (٣١) كولوسى ٤ :٢

(٣٢) ا تسالونيكى ٥ : ١٧ (٣٣) أعمال ١٠ : ٤

(٣٤) متى ٦ : ٥ (٣٥) ابطرس ٤ : ٧

(٣٦) ا كورنثوس ١٤ : ١٥ (٣٧) متى ٢٦ : ٢٦-٢٨

(٣٨) د/ على عبد الواحد وافى-الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٣٨

(٣٩) المعمودية : من فرائض الشريعة النصرانية وهى تعنى الاغتسال بالماء والغطس فيه بطريقة مخصوصة وأوقات مخصوصة ولها أنواع محددة (معجم اللاهوت الكتابى ص٧٥٤ باختصار) (دائرة المعارف الكتابية حرف ع- ص ٣١٣ باختصار)

(٤٠) د . دونالد ديمارى . عقائد أساسية مدخل فى علم اللاهوت ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ بتصرف.

(٤١) متى ٢٦ : ٢٩

(٤٢) قصة الحضارة ول ديورانت ج٢٤ ص ٥٦ .

(٤٣) متى ٥ : ٣١، ٣٢

(٤٤) د. صابر أحمد طه. نظام الأسرة فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص١٤٢

(٤٥) لواء مهندس أحمد عبد الوهاب. الإسلام والأديان الأخرى ص١٧٣

(٤٦) يوحنا ٨ : من ٧

(٤٧) يوحنا ٨ : من ١١

(٤٨) متى ٥ : ٧ - ٩

(٤٩) متى ٥ : ٢٧ : ٢٩

(٥٠) متى ٥ : ٣٨ : ٤٢

(٥١) متى ١٠ : ٣٤

(٥٢) متى ٥ : ٤٤

(٥٣) لوقا ١٤ :٢٦

(٥٤) متى ١٢ : من ٤٨-٥٠

(٥٥) لوقا ١٩ : ٢٧

الفصل الثالث
موقف التوراه من العقل

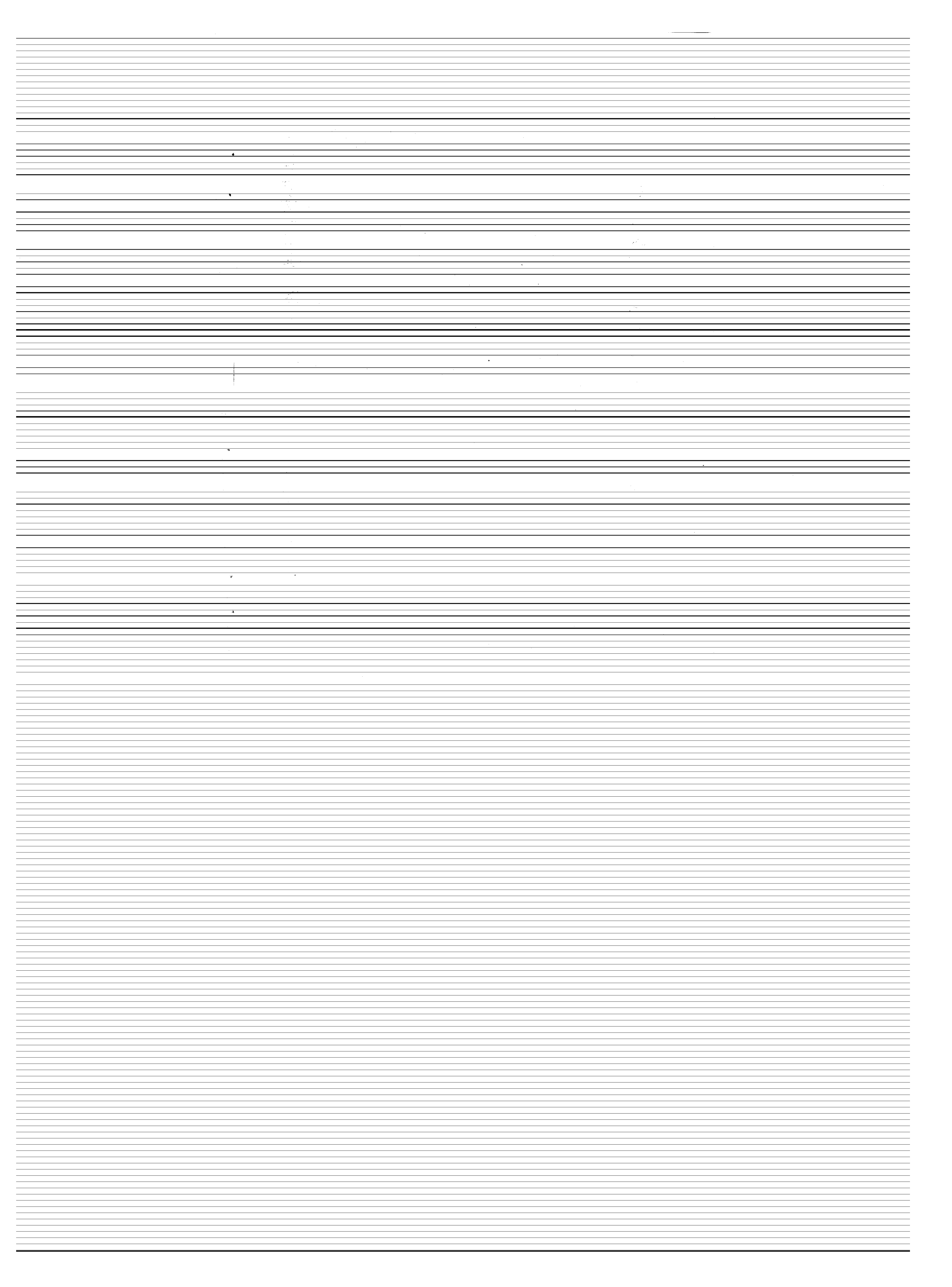
تمهيد: مادة (عقل) ومرادفاتها فى التوراة .

المبحث الأول - منزلة العقل فى التوراة .

المبحث الثانى - مجالات عمل العقل فى التوراة .

المبحث الثالث - موقف التوراة من العلم .

المبحث الرابع - مدى مطابقة تعاليم التوراة للعقل .



تمهيد.. مادة (عقل) ومرادفاتها فى التوراة

أولاً: مادة (عقل) ومشتقاتها:

وردت هذه المادة فى التوراة بمشتقاتها فى تسعة وثلاثين موضعاً (١).

* فقد وردت بلفظ (العقل) المفرد -كما جاء فى سفر الأمثال تقول :" إذا دخلت الحكمة قلبك ولدت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك " (٢).

وتقول أيضاً فى نفس السفر :- " أما الزانى بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله " (٣).

* وجاءت بلفظ (عقلاء) جمعا للعاقل - كما جاء فى سفر التثنية :- " هاتوا من أسباطكم رجالاً حكماء وعقلاء ومعروفين فاجعلهم رؤوسكم " (٤).

* وجاءت بلفظ (عقلوا) فعلا ماضيا للجماعة كما جاء فى سفر التثنية أيضاً " إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم " (٥)

* وجاءت بلفظ (عقلك)المخاطب كما جاء فى سفر صموئيل الأول " ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتنى اليوم من إتيان الدماء . وانتقام يدى لنفسى "(٦)

* وجاءت بلفظ (عاقل) اسما للفاعل- فى سياق مدح الإنسان العاقل الذى يدخر فى الوقت المناسب كما جاء فى سفر الأمثال " من يجمع فى الصيف فهو ابن عاقل ومن ينام فى الحصاد فهو ابن مخز "(٧)

* وجاءت بلفظ (عقول) جمعا كما جاء فى سفر أيوب " ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ويضلهم فى تيه بلا طريق" (٨).

ويظهر مما سبق مدى الثراء الذى جاء فى التوراة لمادة (عقل) حيث وردت فى صور كثيرة بصيغ مختلفة تشمل معظم ما يشتق من الكلمة . .

ثانياً الكلمات المرادفة لكلمة (العقل) :-

وردت فى التوراة كلمات عدة ترادف كلمة العقل ومن هذه الكلمات ما يلى :-

١ - الفهم :

ذكرت مادة (الفهم) بمشتقاتها فى التوراة فى مواضع كثيرة بصور شتى

* فقد وردت بلفظ (الفهم) كما جاء فى سفر الخروج :-

" وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة " (٩)

*ووردت بلفظ (فهما) كما جاء فى سفر الخروج أيضاً :-

"جعل فيه الرب حكمة وفهماً ليعرف أن يصنع صنعة ما من عمل المقدس بحسب كل ما أمر الرب "(١٠)

* ووردت بلفظ (تفهم) كما جاء فى سفر التثنية . :-

" يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر أمة لا تفهم لسانها "(١١).

* ووردت بلفظ (تفهموا) كما جاء فى سفر التثنية أيضاً :-

"ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا . وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم " (١٢)

* ووردت بلفظ (الفاهمون) كما جاء فى سفر دانيال :-

" كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون أما الأشرار فيفعلون شراً ولا يفهم أحد الأشرار لكن الفاهمون يفهمون "(١٣)

* ووردت بلفظ (الفهماء) كما جاء فى سفر الجامعة :-

"فعدت ورأيت تحت الشمس أن السعى ليس للخفيف ولا الحرب للأقوياء ولا الخبز للحكماء ولا الغنى للفهماء ولا النعمة لذوى المعرفة لأنه الوقت والعرض يلاقيانهم كافة "(١٤).

٢ - العلم

وردت مادة (العلم) فى التوراة فى ستمائة واثنى عشر موضعاً تقريباً بمشتقاتها جميعاً . حيث وردت بلفظ (علم) مثلما جاء فى سفر التكوين حكاية عن آدم وحواء " فانفتحت أعينهما وعلماً أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعاً لأنفسهما مآزر "(١٥)

كما وردت بلفظ (أعلمك) مثلما جاء فى سفر التكوين " ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا . ليس بصير وحكيم مثلك " (١٦).

وجاءت بلفظ (تعليم) كما جاء فى سفر الخروج.

تقول التوراة : . " وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة ، الشريعة التى كتبتها لتعليمهم " (١٧)

ووردت بلفظ (عليم) وصفا لله كما جاء فى سفر صموئيل الأول تقول :. "لاتكثروا الكلام العالى المستعلى ولتبرح وقاحة من أفواهكم لأن الرب إله عليم وبه توزن الأعمال ."(١٨).

كما وردت أيضا بلفظ (عالم) وصفا لله تعالى وذلك كما جاء فى سفر التكوين تقول : " بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر "(١٩).

٣ - الحكمة :

وردت كلمة الحكمة وما اشتق منها فى التوراة فى ثلاثمائة وتسعة وعشرين موضعا تقريبا .

فقد جاءت بلفظ (حكمة) فى مائة وخمسة وثلاثين موضعا كما جاء فى سفر التثنية تقول التوراة " ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى علية يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ".(٢٠).

ووردت بلفظ (حكيم) كما جاء فى سفر التكوين تقول التوراة :. " فالآن لينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر " (٢١).

كما وردت بلفظ حكماء كما جاء فى سفر الخروج تقول : "وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لى "(٢٢)

٤ - الفكر:

- وردت مادة (فكر) وما اشتق منها فى التوراة فى أربعين موضعا تقريبا :

حيث جاءت بلفظ (فكر) و (يفكر) كما جاءت فى سفر التثنية تقول التوراة عن بنى إسرائيل : فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيد أمامه شاهدا لأنه لا ينسى من أفواه نسله أنى عرفت فكره الذى يفكر اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض كما أقسمت " (٢٣)

- ووردت بلفظ (أفكار) كما جاء فى سفر صموئيل الثانى تقول التوراة : "لأنه لابد أن نموت ونموت كالماء المهراق على الأرض الذى لا يجمع أيضاً ولا ينزع الله نفساً بل يفكر أفكاراً حتى لا يطرد عنه منفيه "(٢٤).

- وجاءت بلفظ (المتفكرون) مثلما جاء فى سفر المزامير تقول التوراة : "... ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى " (٢٥).

- وجاءت بلفظ (يتفكر) كما جاء فى سفر المزامير أيضاً : تقول التوراة:

"... الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه " (٢٦)

٥ - الفقه :

ذكرت مادة (الفقه) فى التوراة ثلاث مرات حيث جاءت بلفظ (الفقهاء) مرتين مثلما جاء فى سفر دانيال تقول : " ثم أرسل(نبوخذ ناصر) الملك ليجمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأتوا تدشين التمثال الذى نصبه نبوخذ ناصر الملك " (٢٧).

وذكرت بلفظ (فقيه) مرة واحدة في سفر أخبار الأيام الأول : تقول واصفة عم داود " ويهوناثان عم داود كان مشيراً ورجلاً مختبراً وفقيهاً . . . "(٢٨).

٦ - البصيرة :

وردت هذه الكلمة في التوراة مرة واحدة بهذا اللفظ في سفر التثنية تصف شعب بني إسرائيل تقول : " إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ".(٢٩).

وجاءت تصف الرجل المتصف بهذه الصفة بأنه بصير في موضعين في سفر التكوين . تقول التوراة : " فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر "(٣٠).

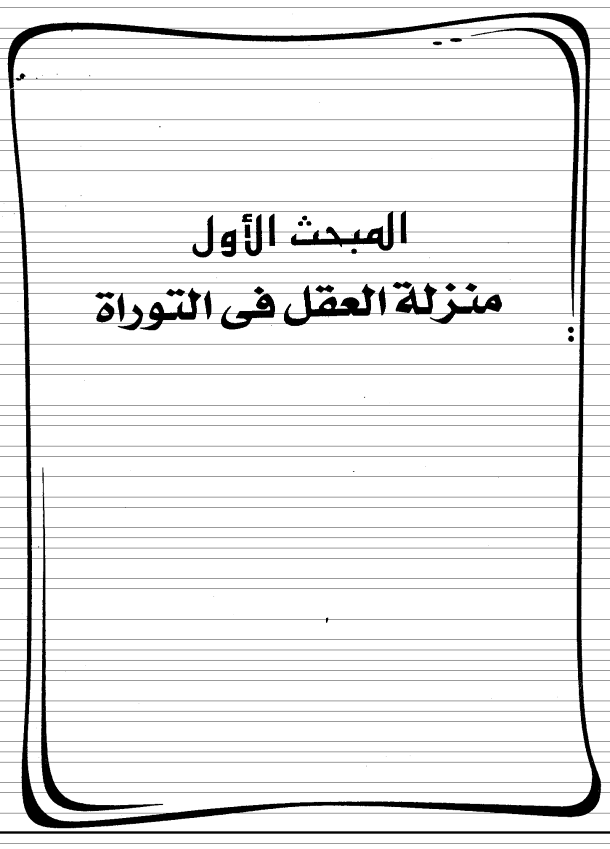
وأيضاً تقول : " ثم قال فرعون ليوسف بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك " (٣١).

يتبين مما سبق أن التوراة قد أوردت كلمات عديدة تأتي فيها بمعنى العقل .وقد قامت هذه الكلمات مقام العقل في مواضع شتى بصورها المختلفة في التوراة .

هوامش الفصل الثالث

(١) هذه الإحصائيات من فهرس الكتاب المقدس ، واسطوانة الحاسب الآلى للكتاب المقدس

(٢) [أمثال ٢ : ١٠ ، ١١]
(٣) [أمثال ٦ : ٣٢] .
(٤) [تثنية ١ : ١٣] .
(٥) [تثنية ٣٢ : ٢٨]
(٦) [اصموئيل ٢٥ : ٣٣]
(٧) [أمثال ١٠ : ٥]
(٨) [أيوب ١٢ : ٢٤]
(٩) [خروج ٣١ : ٣]
(١٠) [خروج ٣٦ : ١]
(١١) [تثنية ٢٨ : ٤] .
(١٢) [تثنية ٢٩ : ٤] .
(١٣) [دانيال ١٢ : ١٠]
(١٤) [جامعه ٩ : ١١]
(١٥) [تكوين ٣ : ٧]
(١٦) [تكوين ٤١ : ٣٩] .
(١٧) [خروج . ٢٤ : ١٢] .
(١٨) [صموئيل ٢ : ٣]
(١٩) [تكوين ٣ : ٥]
(٢٠) [تثنية ٣٤ : ٩]
(٢١) [تكوين ٤١ : ٣٣] .
(٢٢) خروج ٢٨ : ٣
(٢٣) تثنية ٣١ : ٢١] .
(٢٤) [صموئيل ١٤ : ١٤]
(٢٥) [مزامير ٣٥ :من ٤] .
(٢٦) [مزامير ٣٧ : ١٢] .
(٢٧) [دانيال ٣ : ٢] .
(٢٨) [أخبار الأيام الأول ٢٧ : من ٣٢]
(٢٩) [تثنية ٣٢ : ٢٨]
(٣٠) [تكوين ٤١ : ٣٣]
(٣١) [تكوين ٤١ : ٣٣]



المبحث الأول

منزلة العقل فى التوراة

للعقل فى التوراة منزلة عظيمة فإن القارئ للتوراة إذا نحى جانباً بعض النصوص التى تنقص من قيمة العقل يجد أنها مليئة بالنصوص التى تؤكد على القيمة العظيمة لعقل الإنسان وتحث على طلب الحكمة . فإن العقل فى التوراة وسيلة عظيمة لحفظ الإنسان والعقل وسيلة فعالة للنجاح فى الدنيا وهو أداة تمنع الإنسان من اقتراف المعاصى.

لهذا جاءت النصوص الكثيرة تأمر بإعمال العقل والتفهم والتبصر . وتمدح الإنسان العاقل مدحاً عظيماً وعلا فيها الصوت الذى يذم عديم البصيرة الغبى الجاهل الذى لايستعمل عقله .

وكما سبق فإن هناك نصوصا قليلة تقلل من قيمة العقل لأسباب معينة.

ويظهر موقف التوراة من العقل فى النقاط الآتية :

(أ) الأمر بإعمال العقل والحث على طلب الحكمة :

لما للعقل من منزلة عظيمة فإن التوراة جاءت تأمر بإعماله وتنهى عن إهماله.

تقول التوراة : " افهموا أيها البلداء ويا جهلاء متى تعقلون "(١)

إنه ((يخاطب شعب إسرائيل نفسه يريدهم أن يفهموا أكثر ولا يبلدوا أفكارهم ولا يعموا بصائرهم لأن الإنسان مطالب بأن يفهم بعد هذه الحوادث الجسام والدروس القاسية التى ألقيت عليهم)) (٢).

وتنادى الناس خاصة الملوك " فالآن أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض "(٣).

ويتكلم سليمان مبيناً حاله في طلبه للتعقل وبحثه عن الحكمة فيقول " درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون"(٤)

ويعظ ابنه بأن يميل إلى الحكمة والفهم فيقول : " يا بنى إن قبلت كلامى وخبأت وصاياى عندك حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتعطف قلبك على الفهم إن دعوت المعرفة . ورفعت صوتك إلى الفهم إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله لأن الرب يعطى حكمة . من فمه المعرفة والفهم "(٥).

إنها نصوص كلها حض على طلب الحكمة والتعقل والفهم فإنها جميعها عطايا من الله يمن بها على الإنسان فينبغي على الرجل أن يطلبها كطلبه للكنوز والفضة .

(ب) العقل وسيلة لحفظ الإنسان

والتوراة تنظر إلى نعمة العقل على أنها وسيلة هامة تعصم الإنسان وتحفظه وتنصره تحفظه من الشر وتنصر الإنسان عليه فقد جاء فى أمثال سليمان : " إذا دخلت الحكمة قلبك ولدت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب " (٦)

وتبين أيضاً أن هناك من المخاطر التي تحيط بالإنسان ما يقف أمامه المرء حائراً إلا إذا عصمه العقل وحفظه كما جاء أيضاً فى سفرا لأمثال : " يا ابني اصغ إلى حكمتى أمل أذنك إلى فهمي لحفظ التدابير ولتحفظ شفتاك معرفة لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت لكن عاقبتها مرة ... " (٧).

وتبين التوراة أن الإنسان العاقل بطئ الغضب لذا فمن السهل عليه أن يصفح عن المعصية تقول : " تعقل الإنسان يبطئ غضبه وفخره الصفح عن معصية "(٨)

وتبين أيضاً أن الإنسان يعيش فى حياته آمناً لا تعثر رجله إن هو سلك طريق الحكمة والفهم فتقول : " الرب بالحكمة أسس الأرض أثبت السماوات بالفهم بعلمه انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى . يا ابني لا تبرح هذه من عينيك احفظ الرأى والتدبير فيكون حياة لنفسك ونعمة لعنقك حينئذ تسلك فى طريقك آمناً ولا تعثر رجلك إذا اضطجعت فلا تخاف بل تضطجع ويلذ نومك "(٩).

(ت) العقل وسيلة للنجاح فى الدنيا

ينعت التوراة أن الإنسان العاقل هو الرجل الناجح فى الدنيا حيث يعد لكل أمر عدته فتقول عنه : " العامل بيد رخوة يفتقر أما يد المجتهدين فتغنى . من يجمع في الصيف فهو ابن عاقل ومن ينام فى الحصاد فهو ابن مخز "(١٠).

(ث) العقل يمنع من ارتكاب المعاصي

ورد في التوراة أن العقل وسيلة تمنع الإنسان من اقتراف المعاصي فكثيراً ما تذكر أن مرتكب المعصية عديم العقل وأن البعيد عن المعصية رجل عاقل فقد تكلمت عن الزاني ووصفته بأنه عديم العقل إذ لو كان يملك عقلا لمنعه من إتيان الفاحشة فتقول "أما الزاني بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله . ضرباً وخزياً يجد وعاره لا يُمحى" (١١).

وبينت أن العقل وسيلة تمنع الإنسان من القتل والانتقام فتقول حكاية عن داود: "فقال داود لأبيجايل مبارك الرب إله إسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالي ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتني اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسي"(١٢).

(جـ) النهي عن المسكرات التي تعطل العقل :

جاء النهي عن الخمر في بعض نصوص التوراة وعللت ذلك بأنه يعطل عمل العقل فقد جاء النهي عنها كما جاء في سفر القضاة تقول التوراة : " من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل وخمراً ومسكراً لا تشرب وكل نجس لا تأكل ... " (١٣)

وجاء التعليل لهذا النهي لما للخمر من تأثير على عقل الإنسان فقالت : " وهؤلاء أيضاً قد ضلوا بسبب الخمر وتاهوا بالمسكر ذ الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر(١٤) ابتلعتها الخمر تاها من المسكر ضلا في الرؤيا قلقا في القضاء ." (١٥)

(حـ) مدح الرجل العاقل :

مدحت التوراة الرجل العاقل وكرمته لما له من فضل على غيره فعقله وسيلة للافتخار والتسامي فتقول : " هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى "(١٦).

وتبين أن الرجل الفاهم له الحق في أن يفتخر بفهمه وعقله فتقول : " ... ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض لأني بهذه أسر يقول الرب "(١٧).

كما تمدح الرجال الفاهمين وتبين أن لهم إضاءة بين الناس يعرفون بها فتقول : " والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور "(١٨).

والعقلاء هم المستحقون للسيادة على غيرهم تقول التوراة : " هاتوا من أسباطكم رجالا حكماء وعقلاء ومعروفين فأجعلهم رؤوسكم "(١٩).

ولما سأل نبى الله سليمان ربه أن يمن عليه بنعمة الفهم ولم يطلب غيرها رد عليه الرب قائلاً : " فقال له الله : من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنًى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم هو ذا قد فعلت حسب كلامك هو ذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى إنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك " (٢٠)

(خـ) ذم التوراة من يعطلون عقلهم

كما مدحت التوراة الرجل العاقل وبينت فضله فإنها قد نددت بمن يعطلون عقولهم وبينت ما هم فيه من الشقاء فقد وصفت الأمة التى عطلت عقلها بأنها أمة عديمة الرأى وتقصد بهم جهلاء بنى إسرائيل فتقول عنهم : " إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم لو عقلوا لفطنوا بهذا وتأملوا آخرتهم "(٢١)

وتقول عنهم أيضاً : " ألرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم أليس هو أباك ومقتنيك هو عملك و أنشاك(٢٢) . وتصفهم بالحمق والجهل لعدم فهمهم فتقول : " لأن شعبى أحمق إياى لم يعرفوا فهم بنون جاهلون . وهم غير فاهمين هم حكماء فى عمل الشر ولعمل الصالح لا يفهمون (٢٣).

وتبين التوراة شقاء عديم العقل ومكابدته فى حياته فتقول : " ادع الآن فهل لك من مجيب وإلى أى القديسين تلتفت لأن الغيظ يقتل الغبى والغيرة تميت الأحمق "(٢٤)

وتقول : " الحكماء يذخرون معرفة أما فم الغبى فهلاك قريب " (٢٥).

وتقول : " شفتا الصديق تهديان كثيرين أما الأغبياء فيموتون من نقص الفهم"(٢٦)

وتقول : " الذكى يبصر الشر فيتوارى والأغبياء يعبرون فيعاقبون "(٢٧)

(د) نصوص تنقص من قيمة العقل :-

كما وردت فى التوراة نصوص كثيرة تأمر بإعمال العقل وتبين تقديرها له وتحث على طلب الحكمة وتأمر بالفهم فإن هناك بعض النصوص جاءت بما ينقص من قيمة العقل فقد جاء فى سفر الجامعة على لسان سليمان : " .. وقد رأى قلبى كثيرا من الحكمة والمعرفة ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علما يزيد حزنا "(٢٨)

وهذا النص يشعر بأن زيادة الحكمة تجلب الهم والغم للإنسان ويبين أنها لا فائدة منها.

وعند المقارنة بين الحكيم والجاهل أشارت التوراة إلى استوائهما فى النهاية مع تمييزها الواضح بينهما ومدحها للأول وذمها للثانى فى عشرات النصوص تقول التوراة فى التسوية بين الحكمة والجهل فى العاقبة ومن ثم فلا منفعة للحكمة :

"فقلت فى نفسى كما يحدث للجاهل كذلك يحدث أيضاً لى أنا وإذ ذاك فلماذا أوفر حكمة فقلت فى قلبى هذا أيضاً باطل . لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل إلى الأبد. كما منذ زمان كذا الأيام الآتية الكل ينسى وكيف يموت الحكيم كالجاهل فكرهت الحياة لأنه ردىء عندى العمل الذى عمل تحت الشمس لأن الكل باطل وقبض الريح فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس حيث أتركه للإنسان الذى يكون بعدى. ومن يعلم هل يكون حكيماً أو جاهلاً ويستولى على كل تعبى الذى تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتى تحت الشمس هذا أيضاً باطل فتحولت لكى أجعل قلبى ييئس من كل التعب الذى تعبت فيه تحت الشمس . لأنه قد يكون إنسان تعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه نصيباً لإنسان لم يتعب فيه هذا أيضاً باطل وشر عظيم " (٢٩).

تم نقل النص بطوله الذى امتلأ كله بالندم من قائله نبى الله سليمان !(٣٠) على ماقدم من عمره من تعب وكأن قائله لا يؤمن بيوم القيامة وهو اليوم الذى سيجازى كل إنسان فيه على ما قدم . فيأتى ويسوى بين العامل وغير العامل ويندم على ما قدم ويصفه بأنه باطل وضلال .

وفى النص ما فيه من ذكر لعدم فائدة الحكمة للإنسان فى العاقبة .

هوامش المبحث الأول الفصل الثالث

(١) مزامير ٩٤ : ٨

(٢) وليم مارش السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج٦ ص٣١٤

(٣) مزامير ٢ : ١٠

(٤) [ظجامعة ٧ : ٢٥] .

(٥) أمثال [٢ : ١ : ٦]

(٦) أمثال [٢ : ١٠ : ١٢].

(٧) أمثال [٥ : ١ ٣ ومن ٤] .

(٨) [أمثال ١٩ : ١١] .

(٩) أمثال [٣ : ١٩ : ٢٤]

(١٠) أمثال ١٠ : ٤ ، ٥

(١١) أمثال. [٦ : ٣٢ :٣٣]

(١٢) صموئيل [٢٥ : ٣٢ ، ٣٣] .

(١٣) [قضاة ١٣ : ١٤] .

(١٤) حسب زعم التوراة

(١٥) [أشعياء ٢٨ : ٧]

(١٦) [إشعياء ٥٢ : ١٣]

(١٧) [إرميا : ٩ : من ٢٤]

(١٨) [دانيال ١٢ : ٣] .

(١٩) [تثنية ١ : ١٣] .

(٢٠) [الملوك الأول ٣ : ١١ : ١٢]

(٢١) [تثنية ٣٢ : ٢٨ ، ٢٩] .

(٢٢) [تثنية ٣٢ : ٦] .

(٢٣) [إرمياء ٤ : ٢٢] .

(٢٤) [أيوب ٥ : ١ ، ٢]

(٢٥) [أمثال ١٠ : ١٤]

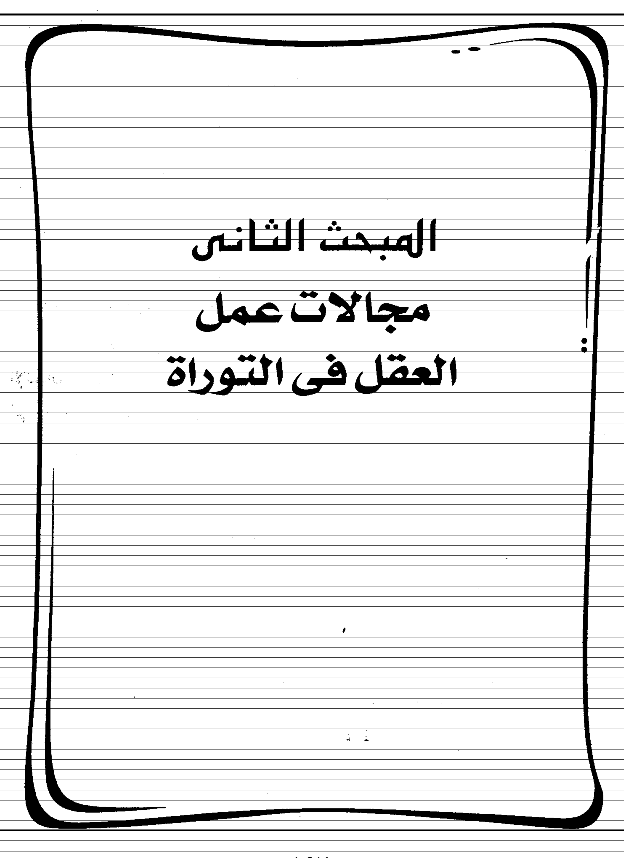
(٢٦) [أمثال ١٠ : ٢١]

(٢٧) [أمثال ٢٧ : ١٢]

(٢٨) جامعة ١ : ١٦ – ١٨

(٢٩) جامعة ٢ : ١٥ – ٢١

(٣٠) كما تزعم التوراة



المبحث الثانى
مجالات عمل العقل فى التوراة

أرشدت التوراة إلى عدة مجالات يرتادها عقل الإنسان متفكرا ومتدبرا كى يمضى فى حياته مستقيما . ومن هذه المجالات :

١- التفكر لمعرفة الله تعالى

فالإنسان ينبغى أن يتعرف على الله تعالى حتى يوثق إيمانه به لذلك تقول التوراة : "أنتم شهودى يقول الرب وعبدى الذى اخترته لكى تعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا أنى أنا هو قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون ".(١) .

فلو أعمل الإنسان عقله وفكره سيعرف أن الله تعالى أحد أحد ليس غيره إله فلم يات قبله إله غيره ولن يأتى بعده أبداً .

كما ورد فى المزامير أيضاً ما يشير إلى وجوب التفكر فى مخلوقات الله حتى يتيقن الإنسان بعظمة الله تعالى ويعبده تقول : " أخطأنا مع آبائنا أسأنا وأذنبنا . آباؤنا فى مصر لم يفهموا عجائبك لم يذكروا كثرة مراحمك فتمردوا عند البحر ... (٢) .

٢- إعمال العقل لفعل الخير و الامتناع عن الشر

أمرت التوراة باستعمال العقل لفعل الخير لا لفعل الشر وتعجبت ممن يفكر لفعل الشر . فقالت : " المتفكر فى عمل الشر يدعى مفسداً فكر الحماقة خطية ومكرهة الناس المستهزئ " (٣) .

بل إنها عدت التفكر مجرد التفكر لفعل الشر خطيئة يُحاسب عليها الإنسان كما جاء فى النص . وتبين أن للعقل أهمية كبيرة ليستعمله الإنسان فى التفكير فى عاقبة الأمور فيمتنع عن فعل الشرور والآثام فتقول : " ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتنى اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى " (٤) .

وتصف فاعلى الشر بأنهم قوم لا يعقلون لأنهم لو فهموا لامتنعوا فتقول عنه : "كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون أما الأشرار فيفعلون شراً ولا يفهم أحد الأشرار لكن الفاهمون يفهمون "(٥) .

وتصف التوراة رجلاً شريراً وتبين السبب الذى أدى به إلى هذه الحالة وهو عدم التعقل فتقول : " كلام فمه إثم وغش كف عن التعقل عن عمل الخير يتفكر بالإثم على مضجعه يقف فى طريق غير صالح لا يرفض الشر " (٦).

إن صاحب هذه الصفات قد وصل إلى هذه الحالة ((لأنه ترك الصلاح فهو يتفكر بالإثم ويبدأ تفكيره حينما يكون بعيدا عن الناس)) (٧).

٣- إعمال العقل لفهم الشريعة

بينت التوراة ضرورة إعمال العقل ليفهم الإنسان الشريعة كما فعل (عزرا) حينما عرض الشريعة على الشعب فإنه قد استدعى كل فاهم من الناس وذلك لما لهم من أفضلية .

تقول التوراة :

"فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع فى اليوم الأول من الشهر السابع . وقرأ فيها أمام الساحة التى أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء والفاهمين وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة " (٨).

وليس عزرا وحده هو الذى أفهم الشعب الشريعة بل فعله غيره كما ذكرت التوراة فقالت :- " ويشوع وبانى وشربيا ويامين وعقوب وشبتاى وهوديا ومعسيا وقليطا وعزريا ويوزاباد وحنان وبلايا واللاويون أفهموا الشعب الشريعة والشعب فى أماكنهم وقرأوا فى السفر فى شريعة الله بيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة "(٩).

ونظرا لأن الشعب بفهمه للشريعة قد انتفع فإنه أقام فرحا بهذه المناسبة كما جاء فى نفس السفر تقول التوراة ((فذهب كل الشعب ليأكلوا ويشربوا ويبعثوا أنصبة ويعملوا فرحا عظيما لأنهم فهموا الكلام الذى علموهم إياه)) (١٠).

ولأهمية الفهم للشريعة فقد سأل سليمان ربه أن يعطيه الفهم ليستطيع أن يحكم بين الناس فقال :-" فأعط عبدك قلباً فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا "(١١).

٤- إعمال العقل لفهم كلام الله

ذكرت التوراة أن من بين مجالات عمل العقل أيضاً فهم كلام الله فقد جاء الأمر إلى دانيال بذلك كما جاء فى سفر دانيال :- " وقال لى يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذى أكلمك به وقم على مقامك لأنى الآن أرسلت إليك ولما تكلم معى بهذا الكلام قمت مرتعداً : فقال لى لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى جعلته فيه قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك "(١٢).

٥- النظر فى الخلق والتأمل فيه

كذلك وجهت التوراة عقل الإنسان إلى النظر فى الخلق والتأمل فيه لاستخلاص العبرة وللتعرف على الله فقالت " انظر إلى السماوات وأبصر ولاحظ الغمام إنها أعلى منك " (١٣).

وقالت أيضا :- " وانظر الأرض ما هى والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف قليل أم كثير وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة . أفيها شجر أم لا وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض ... " (١٤).

إنه توجيه للعقل لكى يتفكر فيما حوله . فى الأرض والسماء وساكنى الأرض ونباتها كل ذلك لأخذ العبرة والعظة.

ومثل النص السابق يأتى هذا النص موجها العقل إلى النظر فى الخلق أيضا فيقول :

" ارفعوا إلى السماوات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت فإن السماوات كالدخان تضمحل والأرض كثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون أما خلاصى فإلى الأبد يكون وبرى لا ينقض "(١٥).

هذه مجالات فتحت التوراة بابها للناس ليعملوا عقولهم فيها ويرتادوا آفاقها حتى لا يتركوا عقولهم هملا لا ثمرة ترجى من ورائها .

هوامش المبحث الثانى

(١) إشعياء [٤٣ : ١٠]

(٢) مزامير [١٠٦ : ٦ ، ومن ٧] .

(٣) أمثال [٢٤ : ٨ ، ٩]

(٤) صموئيل [٢٥ : ٣٣] .

(٥) [دانيال ١٢ : ١٠] .

(٦) [مزامير ٣٦ : ٣ ، ٤] .

(٧) وليم مارش السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج ٦ ص٩٦

(٨) [نحميا٨ :٢ ، ٣]

(٩) نحميا [٨ :٧ ، ٨]

(١٠) نحميا [٨ :١٢]

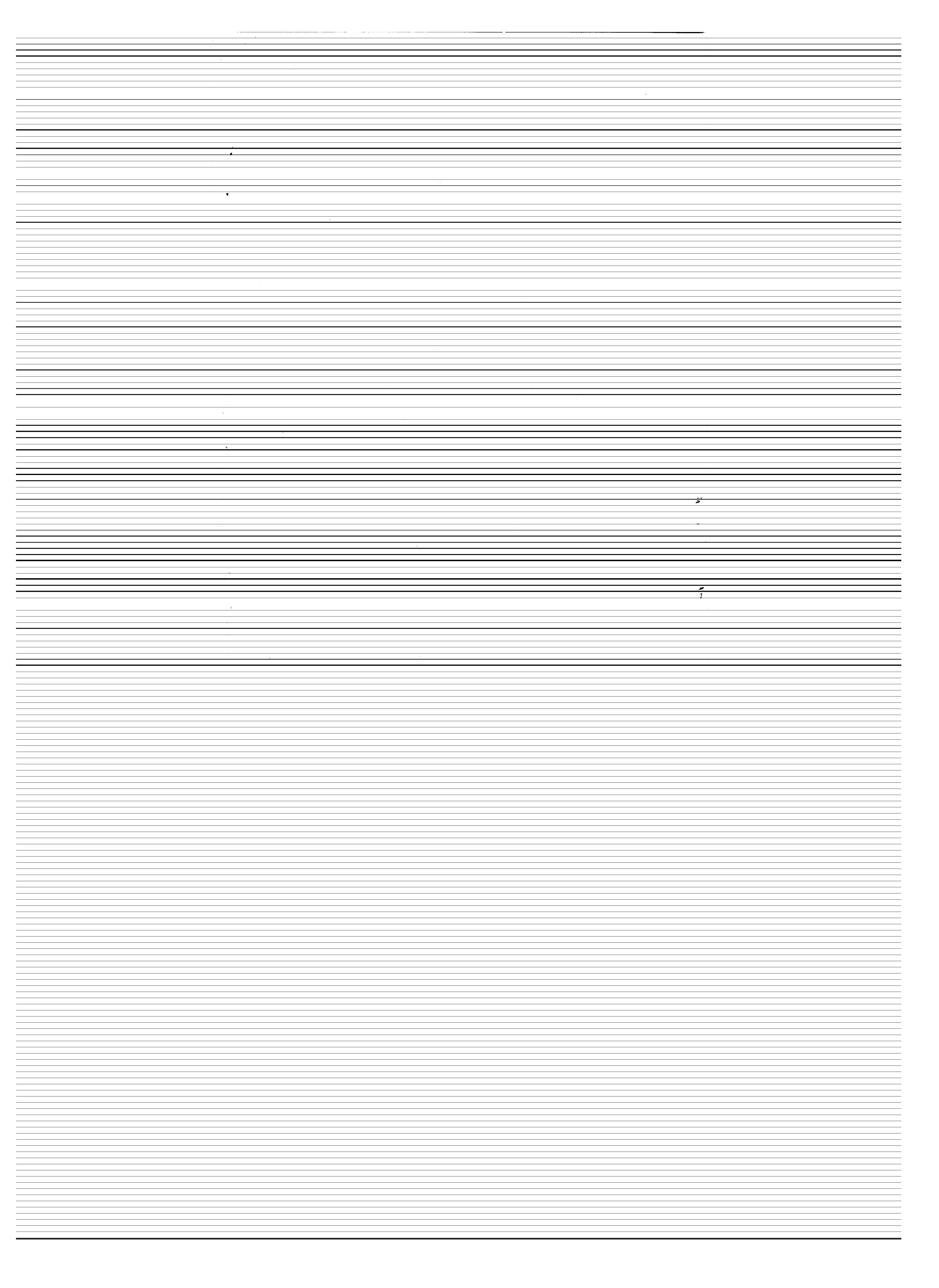
(١١) الملوك الأول [٣ :٩]

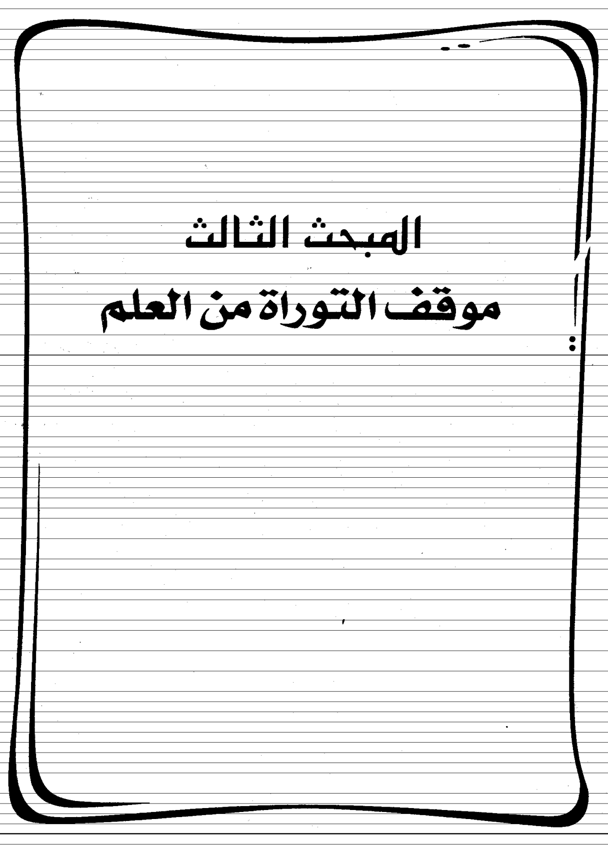
(١٢) دانيال [١٠ :١١ص١٢]

(١٣) أيوب [٣٥ : ٥] .

(١٤) عدد [١٣ : ١٨ : ٢٠]

(١٥) إشعياء [٥١ : ٦]





المبحث الثالث

موقف التوراة من العلم

تحدثت التوراة عن العلم حديثاً محفوفاً بالتكريم والاهتمام حيث أخذ الحديث عن العلم نصيبا كبيراً- فقد ذكرت مادة العلم فى التوراة فى ستمائة و اثنى عشر موضعاً تقريباً بجميع مشتقات الكلمة .

وكان الحديث عن العلم يأتى دائماً فى معرض التكريم له حتى إنها تعد من يبغض العلم من الحمقى تقول التوراة :- " ... إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى يبغضون العلم " (١).

والحكيم هو الذى يطلب العلم " قلب الفهيم يقتنى معرفة وأذن الحكماء تطلب علماً "(٢) . ويظهر موقف التوراة من العلم من خلال النقاط الآتية :

١- الدعوة إلى النظر فى الكون:

أوردت التوراة نصوصا تأمر بالنظر فى الكون والتفكر فى المخلوقات التى تحيط بالإنسان من سماء وشمس وقمر ونجوم إلى غيرها من المخلوقات نظرة تدبر وتبصر كما جاء فى سفر العدد تقول التوراة :- " وانظر الأرض ما هى والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف قليل أم كثير وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة . أفيها شجر أم لا وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض ... " (٣).

وقالت " انظر إلى السماوات وأبصر ولاحظ الغمام إنها أعلى منك " (٤).

ويأتى الأمر من الله بالنظر إلى السماء لمعرفة قدرة الله فتقول التوراة : " فبمن تشبهوننى فأساويه يقول القدوس ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه من الذى يخرج بعدد جندها يدعوا كلها بأسماء لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحداً " (٥).

وتقول " ارفعوا إلى السماوات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت فإن السماوات كالدخان تضمحل والأرض كثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون أما خلاصى فإلى الأبد يكون وبرى لا ينقض "(٦).

وبالنظر إلى هذه النصوص وأمثالها يتبين كيف حرصت التوراة على توجيه الأنظار إلى الكون للنظر إلى عجائبه وهذا فيه ما فيه من لفت الأنظار إلى القوانين التى يسير الكون بمقتضاها مما يؤدى إلى النهوض بالعلم الإنسانى.

مدى توافق التوراة مع حقائق العلم الحديث ومقرراته

بالنظر فى النصوص التى جاءت فى التوراة متحدثة عن أمور علمية يظهر أن هناك توافقاً بين التوراة والعلم الحديث فى بعض النصوص واختلافاً وتعارضاً فى البعض الآخر حيث اختلط فيها الحق بالباطل فمن الأشياء التى ذكرتها التوراة وأيدتها حقائق العلم الحديث كروية الأرض التى أثبتها العلم بما لا يدع مجالاً للشك وقد ذكرت التوراة هذه الحقيقة كما جاء فى سفر إشعياء : - تقول التوراة :

"لا تعلمون ألا تسمعون ألم تخبروا من البداءة ألم تفهموا من أساسات الأرض الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذى ينشر السماوات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن "(٧).

مع هذا النص الذى يثبت كروية الأرض أو شبه الكروية والذى قد أثبته العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك فإن هناك نصوصاً أخرى تتناقض مع مقررات العلم الحديث وحقائقه . ويعنى البحث بكلمة حقائق العلم ما أوضحه (د / موريس بوكاى) قائلاً " علينا أن نؤكد أننا عندما نتحدث هنا عن حقائق العلم فإننا نعنى بها كل ما قد ثبت منها بشكل نهائى ... وإن ماأعنيه هنا هو تلك الأمور التى لا يمكن الرجوع عنها والتى ثبتت بشكل كاف بحيث يمكن استخدامها دون خوف الوقوع فى مخاطر الخطأ . حتى وإن يكن العلم قد أتى فيها بمعطيات غير كاملة تماماً " (٨).

واستطرد مبيناً كيف يمكن الاستدلال بأمور لم يعط العلم الحديث فيها كلمته النهائية . ومع ذلك يمكن الاستدلال بها على صحة نص ما من نصوص الكتب المقدسة أو عدم صحته فقال :- ((وعلى سبيل المثال فإننا نجهل التاريخ التقريبى لظهور الإنسان على الأرض غير أنه قد اكتشفت آثار لأعمال بشرية نستطيع وضع تاريخها فيما قبل

الألف العاشرة من التاريخ المسيحى دون أن يكون هناك أى مكان للشك . وعليه فإننا لا نستطيع علمياً قبول صحة نص سفر التكوين الذى يعطى أنساباً وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالى ٣٧ قرناً قبل المسيح وربما استطاع العلم فى المستقبل أن يحدد لذلك تواريخ فوق تقديراتنا الحالية غير أننا نستطيع أن نطمئن إلى أنه لا يمكن أبداً إثبات أن الإنسان قد ظهر على الأرض منذ ٥٧٣٦ سنه كما يقول التاريخ العبرى فى عام ١٩٧٥ م وبناء على ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان غير صحيحة))(٩).

تأتى خطورة هذا الكلام الذى يثبت أن التوراة قد حوت أموراً تتناقض مع مقررات العلم .من أنه صادر عن رجل كان ذات يوم مؤمناً بالتوراة والإنجيل غير أن المقارنة بينهما وبين العلم قادته إلى تركهما والاتجاه إلى دين جديد - كما سبقت الترجمة له فى فصل حديث القرآن عن العقل(١٠).

وعلى سبيل المثال فقد أخذ د / (موريس بوكاى) فى عد الأخطاء العلمية التى جاءت فى التوراة بداية من أول سفر فى التوراة وأول إصحاح من هذا السفر وأول آية من هذا الإصحاح يقول :- " تحتل الرواية الأولى (للخلق) الإصحاح الأول والآيات الأولى من الإصحاح الثانى إنها بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العلمية ولا بد من نقدها فقرة فقرة والنص الذى نقدم هنا هو نص ترجمة فرنسية- لأنه فرنسى - لمدرسة الكتاب المقدس بالقدس .

الإصحاح الأول ذ الآيتان ١ ، ٢ " فى البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه "

ونستطيع أن نقبل تماماً (والكلام ما زال له) فى مرحلة ما قبل خلق الأرض كان ما سيصبح الكون كما نعرفه غارقاً فى الظلمات ولكن الإشارة إلى المياه فى تلك المرحلة أمر رمزى صرف وربما كان ترجمة لأسطورة وسنرى فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن هناك ما يسمح بوجود كتلة غازية فى المرحلة الأولى لتكون الكون ، إن القول بوجود الماء فى تلك المرحلة غلط .

الآيات من ٣ : ٥ " ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً وكان مساء وكان صباح يوما واحدا "

إن الضوء الذى يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث فى النجوم وسنعود إلى النجوم فى الجزء الثالث من هذا الكتاب . ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد فى هذه المرحلة حيث إن أنوار السماء لا تذكر فى سفر التكوين إلا فى الآية ١٤ باعتبارها مما خلق الله فى اليوم الرابع " ليفصل بين النهار والليل " " ولينير الأرض " وذلك صحيح تماماً ولكن من غير المنطقى أن تذكر النتيجة الفعلية (أى النور) فى اليوم الأول على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور ، أى (المنيرة) فى اليوم الرابع يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار فى اليوم الأول هو أمر مجازى صرف . فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها أى الشمس)) (١١) .

انتهى بنصه . . و يكتفى البحث بهذا الجزء الذى يثبت احتواء التوراة على أخطاء لايمكن قبولها علمياً وقد نقد الكاتب الإصحاح كاملاً وأخرج ما فيه من أخطاء تتعارض مع العلم الحديث وحقائقه .

هوامش المبحث الثالث

(١) [أمثال / ١ : ٢٢]

(٢) [أمثال ١٨ :١٥]

(٣) [عدد ١٣ :١٨-٢٠]

(٤) [أيوب ٣٥ :٥]

(٥) [إشعياء ٤٠ : ٢٥-٢٦]

(٦) [إشعياء ٥١ : ٦]

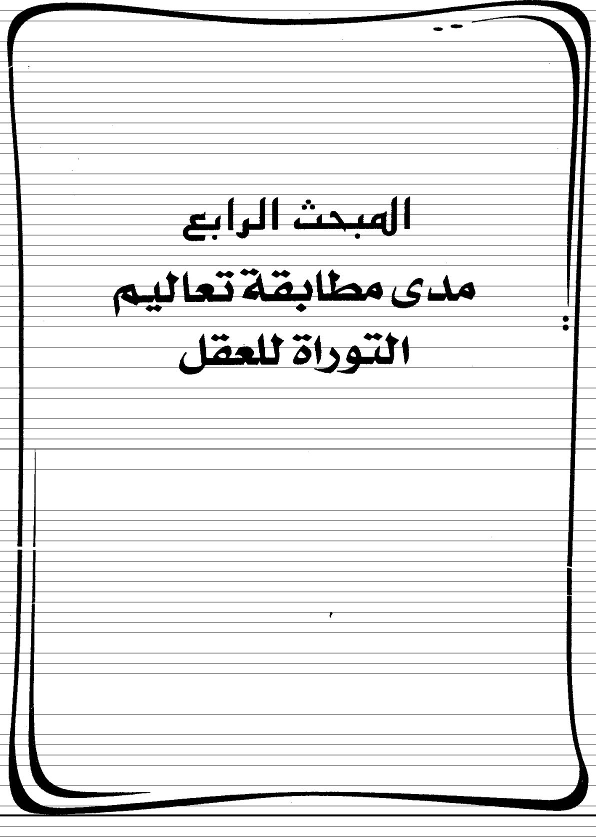
(٧) [إشعياء ٤٠ : ٢١ : ٢٢]

(٨) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص١٢ بتصرف يسير .

(٩) نفس المرجع ص١٢

(١٠) [ص: ٧٤]

(١١) موريس بوكاى - دراسة الكتب المقدسة ص ٤١-٤٢ بتصرف



المبحث الرابع
مدى مطابقة تعاليم التوراة للعقل

ظهر من خلال المباحث السابقة المنزلة العظيمة التى تبوءها العقل فى التوراة حيث نظرت إليه التوراة نظرة احترام وتكريم وتعظيم فاهتمت به وأمرت بإعماله وحثت على طلب الحكمة ومدحت أهل العقول الذين يعملون عقولهم , وذمت من يعطلونها .

غير أن هذا كله لا يكفى للخروج بتصور واضح عن الموقف الحقيقى الذى وقفته التوراة من العقل البشرى، إذ لابد أن ينضم إلى ذلك النظر إلى التكاليف التى أمرت بها التوراة أهلها المخاطبين بها عقائد وشرائع وأخلاق ، هل ظلت التوراة على مبادئها فى احترام العقل أم لا ؟

هذا ما يظهر فيما يلى . :

أولا: جانب العقيدة

اتفق العقلاء من كل ملة على أنه من الضرورى للعقل حتى يكلف باعتناق عقيدة ما من أن يكون فاهما لهذه العقيدة كما بين الفيلسوف اليهودى (اسبينوزا)(١) حيث يقول ((إذا طلبنا من الناس أن يعتنقوا عقيدة أو أن يرفضوا عقيدة تتعلق بشيء غير معروف يتحتم علينا أن نبدأ من نقاط معينة متفق عليها وأن نعتمد فى الإقناع على التجربة أو على العقل أى نعتمد على الوقائع التى يتحقق الناس بحواسهم من وجودها فى الطبيعة أو على بديهيات العقل المعروفة بذات)) (٢).

ومن المعلوم أن "العقيدة فى الإله رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها من عرف عقيدة قوم فى إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان ومن صحة المقاييس التى يقاس بها الخير والشر وتقدر بها الحسنات والسيئات فلا يهبط دين وعقيدته فى الإله عالية ولا يعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة " (٣) .

لذا سيكتفى البحث فى هذا المجال بالحديث عن العقيدة فى الإله كما جاءت فى التوراة. والقارئ للتوراة يجد أن النصوص التى تحدثت عن العقيدة فى الإله تأرجحت بين نصوص ذكرت صفات للإله تصوره بأرقى صورة يتصورها العقل البشرى السليم ونصوص ذكرت صفات للإله يقف أمامها العقل حائرا لا يتصور أن هذه صفات لله فاطر السماوات والأرض.

فقد ذكرت التوراة صفات تليق بجلال الله تعالى وكماله يقبلها العقل ولا تتعارض معه . -من أنه- تعالى- واحد لا شريك له

"اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (٤).

وأنه قادر على كل شيء

"ولما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنه ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير سرأمامي وكن كاملا " (٥).

وأنه -سبحانه- حكم عدل :

"أما الرب فإلى الدهر يجلس ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضي للمسكونة بالعدل يدين الشعوب بالاستقامة " (٦).

-وهو الحكيم :

"الرب بالحكمة أسس الأرض أثبت السماوات بالفهم "(٧).

- وهو الرحيم :

"يحب البر والعدل امتلأت الأرض من رحمه الرب "(٨)

لا يلحقه التغيير :-

"لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا " (٩).

وعلى الجانب الآخر فقد جاءت التوراة بنصوص تتحدث عن الإله بصوره تتعارض مع عقل الإنسان حيث تصوره كأنه فرد من البشر يتعب و ينسى ويجهل ما يحدث وكيف يعقل الإنسان أن يكون خالق السماوات والأرض على هذه الصورة ؟

فقد ورد في التوراة أن الله بعدما خلق السماوات والأرض وقد فرغ منهما في اليوم السابع فإنه قد استراح فيه كأنه سبحانه يلحقه ما يلحق الخلق من التعب فتقول: "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا "(١٠).

وورد فى التوراة أيضا أن الله سبحانه ندم على خلق الإنسان لما ظهر على يديه من الشر كأنه - سبحانه - لم يكن عالما بما سيحدث من الإنسان بعد خلقه تقول :-

"ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم " (١١).

وتصور التوراة الإله أيضا فى صورة رجل يأكل الطعام مثله مثل الإنسان فتقول فى قصة إبراهيم (عليه السلام)كما جاءت فى سفر التكوين " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجنى واصنعى خبز ملة ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا " (١٢).

إنها صورة بشرية محضة للإله تصورها التوراة كما يقول صاحب كتاب قصة الحضارة :-

"ترسم أسفار التوراة صورة بشرية محضة للإله . (١٣)

كما تصور التوراة الإله فى صورة بشر لا يعلم شيئا فهو يطلب من بنى إسرائيل أن يميزوا بيوتهم بعلامة مميزة حتى يتعرف عليها كما جاء فى سفر الخروج : "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر " (١٤).

وذكرت التوراة أن الله قد صارع يعقوب كما يصارع الرجل الرجل وأن يعقوب : قد "لقى الله ذات ليله وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر بدون أن يستطيع الله سبيلا إلى التغلب على يعقوب وحينئذ ضرب حق فخذ يعقوب فانخلع ، ولما بلغ الوهن من الله مبلغة طلب إلى يعقوب أن يخلى سبيله لأنة قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ، ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه إلا إذا باركه فقبل الله تعالى شرطه وباركه "(١٥).

كما جاء في سفر التكوين عن هذه القصة تقول التوراة :- " فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال له : ما اسمك فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي "(١٦).

وقد رأى أحد المؤمنين بالتوراة أن هذا يتعارض مع العقل فتسائل متعجبا ، ((فهل يمكن أن يصارع يعقوب ملاكا فلا يقدر الملاك عليه ؟ وهل يمكن أن يتخيل أحد أن يكون صراع يعقوب مع الله فيغلب الله ؟))(١٧).

فحاول أن يصرفها عن حقيقتها بالتأويل فأورد آراء المفسرين الذين أولوها على وجهين :

الوجه الأول :-أن هذه القصة كانت في الحلم ولم تكن حقيقة .

الوجه الثاني :-أنها كانت في الحقيقة إلا أن المتصارع مع يعقوب كان ملاكا ولم يكن هو الله .))(١٨).

غير أن ظاهر النص يمنع كلا التأويلين .

إذ لو كان حلما فلم ظل على تأوهه من أثر الضربة على فخذه حتى شروق الشمس[١٩]. ولا يقال إنها من أثر الحلم إذ أن أثر الحلم سرعان ما يزول بعد تيقظ النائم سريعا .

ويؤكد هذا ما ذكره صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابى قائلا : ((لابد أنه كانت هناك صورة جسدية فى مجال ذلك الصراع حيث إن علامة مادية تركت أثرها فى جسم يعقوب)) [٢٠].

ولو كان المصارع ملاكا فلم ذكر اسم الله قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه .وتصور التوراة الإله فى صورة بشر يتلذذ برائحة الطعام ويسر بها .فتقول فى معرض الحديث عن طقوس تقديم القرابين والذبائح : "وتوقد كل الكبش على المذبح هو محرقة للرب رائحة سرور وقود هو للرب"[٢١] . وهذا مما يتعارض مع جلال الله وتنزهه عن مماثلة الخلق ومن عجب أن يكون هذا التصور عن الله عقيدة لقوم . حيث يقول أحد المؤمنين بالتوراة معلقا على هذا النص ((أما وضع الذبيحة على المذبح فهو أمر له معناه العميق إنه يعنى قبول يهوه للذبيحة واستهلاكه المباشر لها لأن يهوه يسكن فى المذبح)) [٢٢]

فهل يا ترى كان هذا الكلام هو الذى جعل رجلا[٢٣] من المنتمين إلى دين التوراة يصدر هذا الحكم القاسى على التوراة قائلا :-((إن من يعتقدون أن التوراة على ما هى عليه الآن رسالة من الله بعث بها من السماء إلى البشر لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين بأنى ارتكبت الخطيئة فى حق الروح القدس إذ لقد قلت فعلا : - إن كلام الله مزيف ومنقوص ومحرف وأننا لا نملك منه إلا شذرات ، وأن الميثاق الذى يشهد بعقد الله مع اليهود قد فقد. ومع ذلك فإنى لا أشك فى أنهــم لو وافقوا على فحص المسألة ، لكفوا عن الاحتجاج)) [٢٤].

و مما سبق يظهر أن التــوراة قد أوردت فى حديثهــا عــن العقيدة ما يتعارض مع العقل .

ثانيا : جانب الشريعة

أخذ الحديث عن الشريعة في التوراة مجالا كبيراً منها حيث تحدثت عن جميع الجوانب التي يتناولها التشريع فقد حوت " تنظيماً كاملاً لشئون الدين والدنيا معاً فلم تغادر أي ناحية من نواحي العبادات والمعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه وما إلى ذلك .

لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها إلا وضعت لها حدوداً وقواعد وبينت ما ينبغي أن تكون عليه وما يجب اتخاذه في حالة الخروج عليها حتى شئون الأكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام في الحرث " (٢٥).

وقد كان حديث التوراة عن الشريعة مشابها لحديثها عن العقيدة فقد جاءت بأمور معقولة يقبلها العقل السليم وأخرى غير معقولة تتناقض مع العقل وجاءت بأحكام يناقض بعضها البعض.

فمن الأمور التي جاءت في شريعة التوراة ويقبلها العقل ما جاء في الأمر بالعدل بين الناس وبيان فضله كما جاء في سفر التثنية " العدل العدل تتبع لكي تحيي وتمتلك الأرض التي يعطيك الرب إلهك " (٢٦).

وقد جاء الأمر بالعدل مكرراً على سبيل الإغراء بعد الأمر بعدم تحريف القضاء والنهي عن الرشوة فقالت " لا تحرف القضاء ولا تنظر إلى الوجوه ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي أعين الحكماء وتعوج كلام الصديقين "(٢٧).

كما جاء تحريم الرشوة في عدة مواضع من التوراة . منها ما جاء في سفر التثنية تقول التوراة :- " ملعون من يأخذ الرشوة لكي يقتل نفس دم امرئ برئ . ويقول الشعب آمين " (٢٨).

وجاء النهي عن السرقة في سفر الخروج فقالت : " لا تسرق "(٢٩).

وفى سفر اللاويين فقالت :- " لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه(٣٠) .

وجاء النهى عن الزنا مثلما جاء فى سفر الخروج تقول التوراة : "لا تزن"(٣١) .

و جاء أيضا فى التثنية بنفس النص (٣٢) .

وتحرم التوراة تعريض البنات للزنا حتى لا تمتلئ الأرض بالرذيلة فتقول :-"لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنا لئلا تزنى الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة " (٣٣) .

إضافة إلى هذه الأوامر فقد أمرت التوراة بتعاليم سامية يرتاح لها كل ذى عقل وفهم .كما تقول التوراة :-

"لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة . لايكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة . وزن صحيح وحق يكون لك . ومكيال صحيح وحق يكون لك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك " (٣٤) .

وتقول :" إذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمة فى الحقل فلا ترجع لتأخذها للغريب واليتيم والأرملة تكون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يديك"(٣٥) .

مع وجود هذه التعاليم السامية التى يقبلها العقل السليم ويفهمها تأتى التوراة بأمور يحار العقل فيها ولا يفهمها .

من الأمور التى يقف أمامها العقل متحيراً لايجد لها تفسيراً :

ما جاء فى شريعة التوراة فيما يسمى (شريعة الغيرة) حينما يشك الرجل فى سلوك زوجته ويشعر أنها خانته مع غيره سواء وقع منها الزنا أم لم يقع . ماذا يفعل إزاء هذا الشك وهذه الغيرة تقول التوراة :-" كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة واضطجع معها رجل اضطجاع زرع وأخفى ذلك عن عين رجلها واستترت وهى نجسة وليس شاهد عليها وهى لم تؤخذ فاعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى

نجسة أو اعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى ليست نجسه يأتى الرجل بامرأته إلى الكاهن ويأتى بقربانها معها عشر (الإيفة) من طحين شعير لا يصب عليه زيتاً ولايجعل عليه لباناً لأنه تقدمة غيرة تقدمة تذكار تذكر ذنباً . فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ويأخذ الكاهن ماءا مقدسا فى إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذى فى أرض المسكن ويجعل فى الماء ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويكشف رأس المرأة ويجعل فى يديها تقدمة التذكار التى هى تقدمة الغيرة وفى يد الكاهن يكون ماء اللعنة المر ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغى إلى نجاسة من تحت رجلك فكونى بريئة من ماء اللعنة هذا المر ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست وجعل معك رجل غير رجلك مضجعه . يستحلف الكاهن المرأة . بحلف اللعنة ويقول الكاهن للمرأة يجعلك الرب لعنة وحلفاً بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارماً ويدخل ماء اللعنة هذا فى أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ فتقول المرأة آمين آمين . ويكتب الكاهن هذه اللعنات فى الكتاب ثم يمحوها فى الماء المر ويسقى المرأة ماء اللعنة المر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة ويأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمة الغيرة ويردد التقدمة أمام الرب ويقدمها إلى المذبح ويقبض الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقده على المذبح وبعد ذلك يسقى المرأة الماء ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة فى وسط شعبها وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تبترأ وتحبل بزرع . هذه شريعة الغيرة إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست أو إذا اعترى رجلاً روح غيرة فغار على امرأته يوقف المرأة أمام الرب ويعملُ لها الكاهن كل هذه الشريعة فيتبرأ الرجل من الذنب وتلك المرأة تحمل ذنبها"(٣٦).

أمام هذا النص الذى ورد ذكره يقف العقل متحيرا إذ ما العلاقة بين العفة وبين الماء المخلوط بالغبار الذى تقضى التوراة بأن تسقى منه المرأة التى يشك زوجها فى سلوكها ؟!! وما علاقة هذا كله بالمرارة التى تبين التوراة أن المرأة إن كانت قد اقترفت الفحشاء فإن بطنها تتورم وتسقط فخذها ؟!! ....

لقد وقف النقاد أمام مثل هذه التشريعات متسائلين أيمكن أن تكون وحيا من عند الله؟! و قد استبعدوا ذلك مؤكدين أنه ليس وحيا بدليل مخالفته للعقل ومن قال بذلك الفيلسوف اليهودى(اسبينوزا) الذى انتقد بجرأة التوراة التى هو أصلا من المنتمين إليها حيث يقول : ((لا أستطيع أن أكتم دهشتى البالغة عندما أجد أحدا يريد إخضاع العقل هذه الهبة العليا ،وهذا النور الإلهى لحرف مائت استطاع الفساد الإنسانى تحريفه وعندما أجد أحدا يعتقد أنه لا يرتكب جرما حين يحط من شأن العقل وهو الوثيقة التى تشهد بحق على كلام الله ويتهمه بالفساد والعمى والسقوط على حين أنه يجعل من الحرف المائت ، وصورة كلام الله صنما معبودا))(٣٧).

بل إن هناك من المؤمنين بالتوراة من يرجع هذه التشريعات إلى ديانات وثنية سابقة مثل صاحب كتاب (أديان العالم)يقول --"على أن ثمة حقيقة أخرى ينبغى ألا نغفلها وهى انه مع التسليم بأن اليهودية قد استمدت من دين الفرس بعض أحكامها وشرائعها فان اليهودية كانت فى خواصها الجوهرية تطورا قوميا نسب فى أصله إلى موسى"(٣٨).

ويقول مؤيدا من رأى ذلك ((ولا ننكر أيضا أن القديس يوحنا فم الذهب كان مصيبا حين قال إن الطقوس اليهودية المادية مثل الذبائح وأساليب التطهير ورؤوس الشهور القمرية والتابوت والهيكل ذاته قد استمدها المشرعون من عبادات وثنية سابقة))(٣٩).

ومن الأحكام المتناقضة فى التوراة ما جاء فى حكم الخمر كيف دار الحكم فى التوراة على طولها بين الحل والحرمة . فبدأت بالحل كما جاء فى قصة : نوح . فى سفر التكوين وكيف أنه وهو رسول من عند الله . "شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه" (٤٠).

وكيف أن لوطاً (وهو رسول الله) يشرب خمراً من يد ابنتيه ويضطجع معهما وهو فى حالة سكره حتى أنجبتا منه موآب وبن عمى . فقالت التوراة : ((وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة))(٤١).

ثم جاء الحكم بعد ذلك بتحريم الخمر عند الدخول إلى خيمة الاجتماع كما جاء في سفر اللاويين " خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا فرضاً دهرياً في أجيالكم " (٤٢).

ثم يأتى الحكم بعد ذلك بحل شرب الخمر داخل خيمة الاجتماع بل يعد شعيرة من شعائر تقديم النذر تقول التوراة في سفر العدد : ((وعلق النذر لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ويجعله على النار التى تحت ذبيحة السلامة ويأخذ الكاهن الساعد مسلوقاً من الكبش وقرص فطير واحدا من السل ورقاقة فطير واحدة ويجعلها فى يدى النذير بعد حلقه شعر انتذاره . ويرددها الكاهن ترديداً أمام الرب إنه قدس للكاهن مع صدر الترديد وساق الرفيعة وبعد ذلك يشرب النذير خمراً هذه شريعة النذير الذى ينذر)) (٤٣).

ثم يأتى تحريم الخمر تحريماً قاطعاً بعد ذلك فى سفر التثنية فتقول : " كروماً تغرس وتشتغل، خمراً وتشرب ولا تجنى لأن الدود يأكلها "(٤٤).

بل يبين هذا السفرأن ((من يشرب الخمر ويسكر فإن عقابه يكون بالرجم بالحجارة))(٤٥).

فيقول : " إن كان لرجل ابن معاند مارد لايسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون " (٤٦).

ثم يأتى نبى الله أيوب بعد ذلك ويشرب الخمر-حسب كلام التوراة- دليلاً على حل شرابها فتقول التوراة :((وكان ذات يوم وأبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمراً فى بيت أخيهم الأكبر))(٤٧).

ثم يأتى التحريم بعد ذلك على الملوك والعظماء فتقول التوراة . "ليس للملوك يالموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر " (٤٨).

ثم يأتى الحل بعد ذلك ويظل يتردد بين التحريم والتحليل ولا يخرج المرء بصورة واضحة عن حكم التوراة فى الخمر .

ثالثا : - جانب الأخلاق :

لابد للوقوف على موقف التوراة من العقل من النظر إلى التعاليم الخلقية التى أمرت بها حيث يعتبر تلاؤمها مع العقل الإنسانى السليم دليلا على صحة موقفها من العقل وفى هذا الصدد يأتى الفيلسوف اليهودى (اسبينوزا) مبينا أهمية اتفاق التعاليم الخلقية التى يأمر بها النبى للاقتناع بدعوته فيقول ((بما أننا نرى أن الأنبياء قد أوصوا حقيقة بالعدل والإحسان وفضلوهما على كل شىء آخر يحق لنا أن نؤمن بأنهم لم يريدوا خداعنا عمدا بل كانوا يتحدثون بإخلاص عندما دعوا إلى أن السعادة الروحية للبشر إنما تكون فى الطاعة والإيمان ولما كانوا قد أيدوا دعوتهم هذه بالآيات أيضا فإن هذا كفيل بإقناعنا بأنهم كانوا جادين فى حديثهم وأنهم لم يكونوا يهذون عندما (يتنبؤون) ويزداد اقتناعنا قوة عندما نرى أن كل تعاليمهم الخلقية متفقة مع العقل إذ أن الاتفاق التام بين كلام الله الذى أعطاه الأنبياء وكلام الله الذى يوجد فى أعماق سرائرنا أمر له أهميته القصوى)) (٤٩) .

والناظر إلى الأخلاق فى التوراة يجد أن لها منزلة عظيمة فقد تحدثت التوراة عن الأخلاق واهتمت بتقويمها . وأمرت بالتزام الأخلاق الفاضلة ونهت عن الأخلاق السيئة . غير أن هذا الحديث عن الأخلاق قد شابته بعض الشوائب التى يقف أمامها العقل متحيراً .

كما يظهر فيما يلى :

فعن أمر التوراة بالتزام الخلق الفاضل ما جاء من نصوص كثيرة تحث على هذه الأخلاق .

من أمر بالعفة والطهارة كما جاء فى سفر الخروج : " ولا تشته بيت قريبك لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك "(٥٠) .

ففيه أمر بالعفة والقناعة . وتأمر ببر الوالدين فتقول :-" أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك " (٥١).

وتأمر بتقوى الله فتقول : " فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله " (٥٢).

وتنهى عن سيئ الأخلاق فتقول : " ملعون من يستخف بأبيه وأمه ويقول جميع الشعب آمين . وملعون من ينقل تخم صاحبه يقول جميع الشعب آمين . ملعون من يضل الأعمى عن الطريق ويقول جميع الشعب آمين . ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة و قول جميع الشعب آمين ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه ويقول جميع الشعب آمين . ملعون من يضطجع مع بهيمة ما ويقول جميع الشعب آمين" (٥٣). مع أن التوراة أمرت بهذه الأخلاق الفاضلة يعجب العقل حينما تأتي التوراة فتأمر بالأخلاق القبيحة من كذب وغش وغدر .

كما جاء في سفر الخروج لما أمر الله موسى بالخروج أمره أن يسلب الإسرائيليون المصريين أمتعتهم بالكذب وبالحيلة فقال : -" تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب"(٥٤).

وذلك لكي يأخذوها ويهربوا في الصباح . وبالفعل فقد نفذ بنو إسرائيل أمر موسى . "وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين "(٥٥). وتبين التوراة أن الله قد أمر هوشع أن يتخذ لنفسه امرأة زنى وأولاد زنى فقالت : " أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب " (٥٦). يأتي هذا الأمر مع أمر التوراة في آيات أخرى بالعفة والحياء . وكيف يتصور عقل بشرى أن الله يأمر بهذا ؟!!!

هوامش المبحث الرابع

(١) باروخ اسبينوزا فيلسوف هولندى من اليهود ولد عام ١٦٣٢ م وتوفى عام ١٦٧٧ م

(٢) اسبينوزا رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢١٤ ترجمة حسن حنفى

(٣) أ / عباس محمود العقاد- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٨ والنص سبق الاستشهاد به فى فصل موقف القران والإنجيل لنفاسته - فى ظنى.

(٤) تثنيه ٦ : ٤٠

(٥) [تكوين ١٧ : ١]

(٦) [مزامير ٩ : ٧،٨]

(٧) [أمثال ٣ : ١٩]

(٨) [مزامير ٣٣ : ٥]

(٩) [ملاخى ٣ : ٦]

(١٠) [تكوين ٢ : ٢، ٣]

(١١) [تكوين ٦ : ٥-٧]

(١٢) [تكوين ١٨ : ١-٨]

(١٣) ول ديورانت قصة الحضارة ج٢ ص٢٧

(١٤) خروج ١٢ : ١٣

(١٥) د/ على عبد الواحد وافى-الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص٢٩ دار نهضة مصر بدون تاريخ

(١٦) تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٠

(١٧)، (١٨) د.القس منيس عبد النور _ شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ص٧١ .وممن قال بالوجه الثانى. وليم مارش صاحب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج١ ص٢١٠

(١٩) تكوين ٣٢ : ٣١

(٢٠) جرهاردوش فوس علم اللاهوت الكتابى ترجمة د. عزت زكى ص ١٥٩

(٢١) خروج ٢٩ : ١٨

(٢٢) جرهاردوش فوس علم اللاهوت الكتابى ص٢٤٨

(٢٣) هو الفيلسوف اليهودى (اسبينوزا) السابقة ترجمته

(٢٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة اسبينوزا ص ٣٣٧

(٢٥) د. على عبد الواحد وافى الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٤٠

(٢٦) تثنية ١٦ : ٢٠ (٢٧) تثنية ١٦ : ١٩

(٢٨) تثنية ٢٧ : ٢٥ (٢٩) خروج ٢٠ : ١٥

(٣٠) لاويين ١٩ : ١١ (٣١) خروج ٢٠ : ١٤

(٣٢) تثنية ٥ : ١٨ (٣٣) لاويين ١٩ : ٢٩

(٣٤) تثنية ٢٥ : ١٣-١٥ (٣٥) تثنية ٢٤ : ١٩

(٣٦) عدد / ٥ : ١١ : ٣١

(٣٧) اسبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٦٧

(٣٨) حبيب سعيد أديان العالم ص١٧٥

(٣٩) حبيب سعيد _ أديان العالم ص ١٧٤

(٤٠) تكوين ٩ : ٢١ (٤١) تكوين / ١٩ : ٣١:٣٢

(٤٢) لاويين / ١٠ : ٩ (٤٣) عدد ٦ : ١٨-٢٠،من٢١

(٤٤) تثنية / ٢٨ : ٣٩

(٤٥) د. صابر أحمد طه .- الأسفار التاريخية في العهد القديم عرض ونقد -رسالة دكتوراه- ص٦٦٨

(٤٦) تثنية ٢١ : ١٨ ، ٢١ (٤٧) أيوب ١ : ١٣

(٤٨) أمثال ٣١ : ٤١

(٤٩) اسبينوزا - رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٧٣

(٥٠) خروج ٢٠ : ١٧ (٥١) خروج ٢٠ : ١٢

(٥٢) جامعه ١٢ : ١٣ (٥٣) تثنية ٢٧ : ١٥ : ٢١

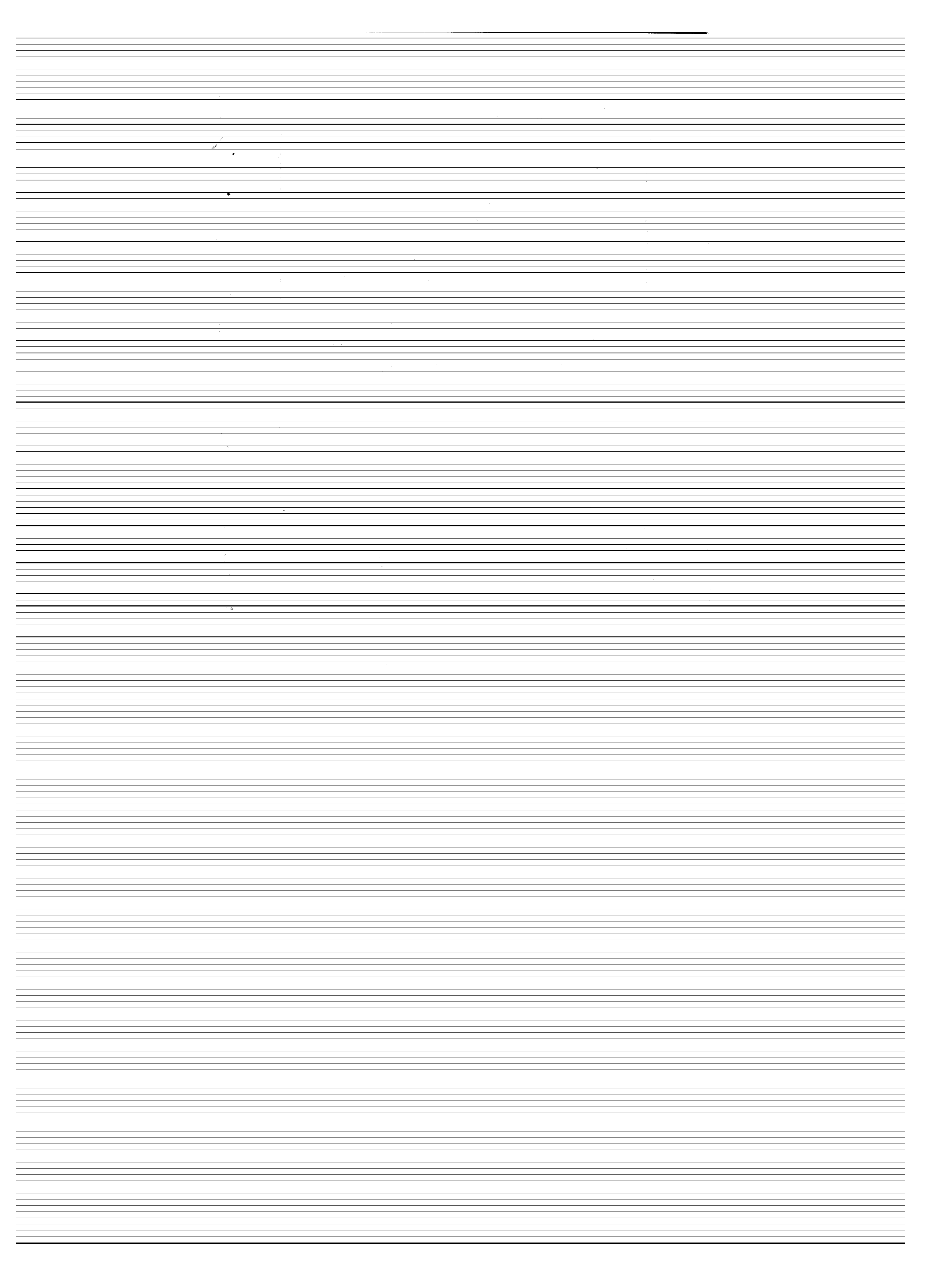
(٥٤) خروج ١١ : ٢ (٥٥) خروج ١٢ : ٣٥ : ٣٦

(٥٦) هو شع ١ : ٢

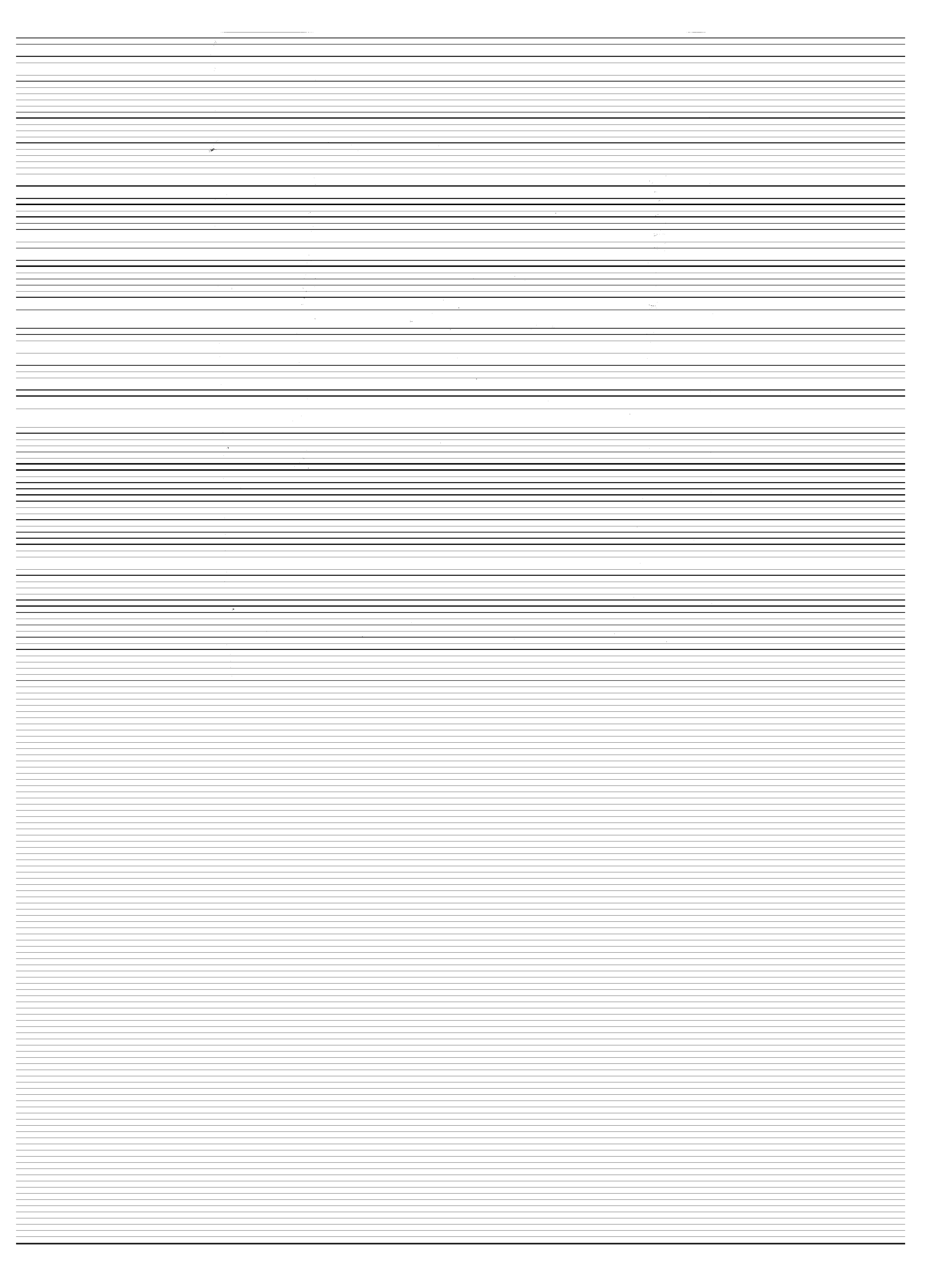


الباب الثانى

أوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والإنجيل والتوراة فى موقفها من العقل



الفصل الأول
أوجه الاتفاق بين
القرآن والإنجيل والتوراة
في موقفها من العقل



بالمقارنة بين القرآن والإنجيل والتوراة . ظهر أن هناك مواضع تتفق فيها هذه الكتب فى موقفها من العقل حيث اتفقت هذه الكتب فى تعظيمها لدور العقل مع تفاوت بينها فى درجة هذا التعظيم كما اتفقت فى مدح أصحاب العقول السليمة وذم معطليها واتفقت كذلك فى العمل على الحفاظ على هذا العقل حيث حرمت ما يؤدى لتعطيله مثل الخمر مع تفاوت بينها كذلك فى درجة وضوح هذا التحريم ويظهر هذا فيما يلى :-

١- الاتفاق فى تعظيم دور العقل وتكريمه

اتفقت الكتب الثلاثة فى تعظيم دور العقل واحترامه وتكريمه مع تفاوت بينها فى درجة هذا الاحترام والتقدير فعلى حين جعل القرآن إعمال العقل عبادة دينية فقال :-

((إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب – الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض .....)) (١) .

يأتى الإنجيل فيعد أعمال العقل عبادة كذلك فقد أمر بإعمال العقل فقال :-

" وإنما نهاية كل شىء قد اقتربت فتعقلوا واصحوا للصلوات "(٢) .

ويجعل هذا الأمر عبادة فقال :- " فاطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية "(٣) .

وتأتى التوراة فتبين أن للعقل أهمية عظيمة فتأمر بإعماله فتقول " افهموا أيها البلداء ويا جهلاء متى تعقلون "(٤) .

وهذا لأنه يحفظ الإنسان " فالعقل يحفظك والفهم ينصرك "(٥) .

غير أن هناك تفاوتاً ملحوظاً فى درجة هذا الاحترام والتعظيم .

حيث يمتاز القرآن بأن اهتمامه بالعقل والتعويل عليه كان أعظم من التوراة والإنجيل حيث وجد أن ((القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية بل

هى تأتى فى كل موضوع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله ووجوب الحجر عليه ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنىً واحدٍ من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها)) (٦) .

هذا بخلاف الإنجيل والتوراة فمع ذكر هذين الكتابين للعقل ومدحه واحترامه حيث أشارت إلى العقل ((إشارات صحيحة أو مضمونة إلا أنها كانت تأتى عرضاً غير مقصودة))(٧).

وامتاز القرآن كذلك بخلوه من أية إشارة إلى ذم العقل أو الزراية به أو الانتقاص من شأنه صريحة كانت أو غير صريحة .

بخلاف الإنجيل والتوراة :-

حيث جاءت فى الإنجيل بعض النصوص التى تنقص من قيمة العقل كما جاء فى (رسالة بولس) الأولى إلى أهل كورنثوس تقول الرسالة : " لأن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لئلا يتعطل صليب المسيح . فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله . لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث الدهر ألم يجهل الله حكمة هذا العالم "(٨).

ويوافق واحد من مفسرى الإنجيل على أن المراد من هذا النص هو الانتقاص من قيمة العقل البشرى فيقول ((فى هذه الآية برهان على أن الله جهل حكمة العالم)) (٩) .

ويقول معلقا على قول بولس مستنكرا طلب اليهود للأدلة العقلية على ما يدعوا إليه الناس " واليونانيين يطلبون حكمة " (١٠) : ((أى براهين مرتبة على نسق مدارسهم المنطقية مقنعة كالبراهين الهندسية يفهمها كل واحد ويرفضون الإيمان بما أعلنه يسوع))(١١).

كأن طلب الأدلة لإقناع العقل ينافى الإيمان

كما تبين هذه الرسالة أن العقل بلا ثمر فتقول : " وأما ذهنى فهو بلا ثمر "(١٢) .

وجاءت فى التوراة كذلك بعض النصوص التى تنقص من قيمة العقل الإنسانى كما جاء فى سفر الجامعة على لسان سليمان (١٣) ((وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علماً يزيد حزناً "(١٤) .

١- الاتفاق فى مدح أهل العقول السليمة وذم معطليها

فقد اتفقت كلمة القرآن والإنجيل والتوراة على مدح الرجل العاقل الذى أعمل عقله ولم يعطله وعلى ذم من عطل عقله وفهمه عن الوظيفة التى خلق من أجلها .

فقد جاء القرآن بمدح أهل العقول السليمة فى كثير من الآيات كما عبر عنهم القرآن بأنهم " أولوا الألباب " فقال القرآن فى مدحهم :- ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾(١٥) .

وذم معطلى عقولهم أبشع ذم حيث شبههم بالأنعام بل وجعلهم أقل منها درجة فقال :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (١٦) .

كذلك جاء الإنجيل بمدح العقلاء الفاهمين . كما جاء فى إنجيل مرقس حيث وعد المسيح الرجل العاقل بالجنة لأنه أعمل عقله وفهمه يقول الإنجيل :

"فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه . ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى

أفضل من جميع المحرقات والذبائح فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله ...)) (١٧).

وذم الإنجيل معطلى عقولهم فقال . " ولكن هذا الشعب الذى لا يفهم الناموس هو ملعون " (١٨).

ومثل الآية التى جاءت فى القرآن تذم معطلى عقولهم التى سبق الاستشهاد بها آنفاً ورد نص فى الإنجيل بمثل ألفاظها تقريباً . كما جاء فى إنجيل مرقس يقول : " فعلم يسوع وقال لهم لماذا تفكرون أن ليس عندكم خبز ألا تشعرون بعد ولا تفهمون أحتى الآن قلوبكم غليظة ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون " (١٩).

كذلك جاءت التوراة بمدح الرجل العاقل وتبين أن له الحق فى الافتخار بعقله فقالت : " هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى " (٢٠).

وتقول : " ... ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى ... " (٢١).

وذمت معطلى العقل فقالت : " إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم لو عقلوا بهذا وتأملوا آخرتهم " (٢٢).

وتسب غير العاقل وتصفه بالغباء فتقول: " الرَّب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم "(٢٣).

وتعد الأغبياء بالهلاك القريب فتقول : " الحكماء يذخرون معرفة أما فم الغبى فهلاك قريب " (٢٤)

٣- الاتفاق فى العمل على الحفاظ على العقل والنهى عن ما يعطله

وقد اتفقت الكتب الثلاثة على العمل على الحفاظ على العقل وعملت على تهيئته للعمل فى المهمة التى خلق من أجلها فأمرت بإعماله ونهت عن إهماله ونهت عن الأشياء التى تؤدى إلى تعطيله عن مهمته مثل الخمر التى حرمتها الكتب مع تفاوت فى وضوح درجة هذا التحريم .

فقد حرم القرآن الخمر بقوله : " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون "(٢٥).

ومما يؤكد حرمة الخمر فى القرآن حرمة قطعية ما جاء فى حديث النبى محمد ﷺ فقد قال مؤكداً حرمة الخمر فيما روى عن ابن عمر ذ رضى الله عنهما ذ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ كل مسكر خمر وكل مسكر حرام فمن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها فى الآخرة ﴾ (٢٦).

ونهى الإنجيل عن الخمر كذلك فى عدد من النصوص مبيناً أثرها على قلب الإنسان وتعطيلها لعقله فقال : " فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة "(٢٧).

ووصف الإنجيل يوحنا (يحيى) مادحاً إياه بعدم شرب الخمر فقال مبشراً بولادة يوحنا أباه زكريا : "ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه سيكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب " (٢٨).

كذلك نهت التوراة عن شرب الخمر فقالت : " من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل وخمراً ومسكراً لا تشرب وكل نجس لا تأكل " (٢٩).

وأوضحت التوراة أثر الخمر فى تعطيل عقل الإنسان فقالت : " وهؤلاء أيضاً قد ضلوا بسبب الخمر وتاهوا بالمسكر . الكاهن والنبى (!!!!) ترنحوا بالمسكر (٣٠) ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضلا فى الرؤيا قلقا فى القضاء " (٣١).

غير أن هناك تفاوتاً ملحوظاً فى درجة وضوح هذا النهى عن شرب الخمر فى الكتب الثلاثة .

فقد انتهى القرآن إلى تحريم الخمر تحريماً باتاً بعد تدرج فى تحريمها فى الآيات التى ذكرت الخمر فقد ابتدأت الآيات تبين أن الرزق المتخذ من الخمر يغاير الرزق الحسن فى

قول القرآن : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ (٣٢).

ثم بينت أن فى الخمر والميسر إثماً كبيراً وفيهما كذلك منافع للناس فى قول القرآن :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما . ﴾(٣٣).

كل ذلك ولم يأت نهى صريح عنها بعد ثم جاء بعد ذلك الحكم بالنهى عن شرب الخمر عند الاستعداد لأداء الصلاة فقال القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .... ﴾(٣٤).

ثم جاء النهى الصريح القاطع بتحريم الخمر تحريماً مطلقاً فى الآية التى سبق الاستشهاد بها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ... ﴾ (٣٥).

ولم تأت فى القرآن إشارة من قريب ولا من بعيد تفيد حل الخمر أو جوازها .

بخلاف الإنجيل والتوراة .

ففى الوقت الذى جاءت فى الإنجيل نصوص تنهى عن شرب الخمر جاءت نصوص أخرى تفيد جواز شربها كما جاء فى قصة العرس الذى حضره المسيح وحول فيه الماء خمراً(٣٦) .

كذلك تارجح الحكم فى التوراة بين الحرمة والحل ولا يخرج القارئ للتوراة بصورة واضحة عن حكم التوراة فى الخمر .(٣٧)

وهذا التناقض والاختلاف بين نصوص الكتاب الواحد يعد دليلا على أن هذه الكتب قد لحقها التغيير والتبديل من قبل البشر حيث يستحيل أن ينزل الله – سبحانه وتعالى-كتابا متناقضا أو أن يترك الناس فى حيرة أمام الكتاب الذى نزل أصلا ليخرجهم من هذه الحيرة .

٤- الاتفاق فى النظر إلى العقل كوسيلة للمنع من ارتكاب المحرمات

اتفقت الكتب الثلاثة فى النظر إلى العقل كوسيلة هامة تمنع الإنسان من ارتكاب ما حرم عليه فالعقل سمى عقلاً لأنه يمنع الرجل من ارتكاب ما حرم عليه ويورده المهالك كما سبق فى التعريف .

فقد تحدث القرآن عن المحرمات مثل القتل وبين أهمية العقل فى منع الإنسان من ارتكابه فقال عن معرض حديثه عن تشريع القصاص ممن يقتل نفساً بغير حق :

﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ﴾ (٣٨) .

فقد عبر بنداء أولى الألباب الذين يفهمون هذا الحكم ويفكرون بعقولهم فلا يقدموا على ارتكاب هذه الجريمة ((فهم الذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف فإذا أرادوا الإقدام على قتل أعدائهم وعلموا أنهم يُطالبون بالقود [القصاص] صار ذلك رادعاً لهم)) (٣٩) .

كذلك عبر الإنجيل عن دور العقل فى المنع من ارتكاب المحرمات حيث بين أن العقل الفاسد يقود الإنسان إلى إهلاك نفسه بارتكابه للمعاصى فقال كما جاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية : ((وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعى اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق وكما لم يستحسنوا أن يبتغوا الله أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق مملوءين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشغوفين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً "(٤٠) .

فقد بين أن العقل الفاسد يقود الإنسان إلى فعل ما لا يليق من المحرمات والمعاصى . ولو كان العقل صالحاً لما ارتكب الإنسان هذه المحرمات .

كذلك عبرت التوراة عن هذا الأمر مبينة أثر العقل فى المنع عن المعاصى .

كما جاء فى سفر الأمثال : " أما الزانى بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله . ضرباً وخزياً يجد وعاره لا يمحى "(٤١) .

حيث بينت أن معطل عقله يهلك نفسه بالوقوع فى المحرمات بما يؤدى إلى العقوبة والعار .

هوامش الفصل الأول

(١) [سورة آل عمران آية ١٩٠ ومن ١٩١] . (٢) [١ بطرس ٤ : ٧]
(٣) [رومية ١٢ : ١] (٤) [مزامير / ٩٤ : ٨] .
(٥) [أمثال ٢ : ١١] .
(٦) أ . عباس محمود العقاد التفكير فريضة إسلامية ص٣
(٧) نفس المرجع ص٣ (٨) [كورنثوس ١ : ١٧ - ٢٠]
(٩) وليم إدى - الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ٦ ص١٤
(١٠) ١كورنثوس ١ :من ٢٢
(١١) وليم إدى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ٦ ص ١٤
(١٢) كما تزعم التوراة (١٣) [١ كورنثوس ١٤ : من ١٤] .
(١٤) [جامعة ١ : من ١٦ - ١٨] (١٥) [سورة الزمر آية ١٧ ، ١٨] .
(١٦) [سورة الأعراف آية ١٧٩] . (١٧) [مرقس ١٢ : ٣٢ ، ٣٣ ، من ٣٤]
(١٨) [يوحنا ٧ : ٤٩] . (١٩) [مرقس ٨ : ١٧ ، ١٨]
(٢٠) [إشعياء ٥٢ : ١٣] . (٢١) [إرميا٩ : من ٢٤]
(٢٢) [تثنية ٣٢ : ٢٨ ، ٢٩] . (٢٣) [تثنية ٣٢ : من ٦] .
(٢٤) [أمثال ١٠ : ١٤] . (٢٥) [سورة المائدة آية ٨٩ ، ٩٠] .
(٢٦) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة بسنده كتاب الاشربة باب ببيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام .ج٣ ص١٥٨٧ حديث رقم ٢٠٠٣ والأئمة : أبو داود كتاب الأشربة باب ما جاء فى السكر . ج٣ ص٨٥ برقم ٣٦٧٩ وابن ماجة كتاب الأشربة باب كل مسكر حرام ج٢ ص١١٢٤ والنسائى كتاب الأشربة إثبات اسم الخمر لكل مسكر من الأشربة . ج٨ ص٢٩٦ والترمذى . باب ما

جاء في شارب الخمر . ج٤ ص٢٩٠ برقم ١٨٦١ والبخارى بلفظ (كل شراب ا
سكر نهو حرام) كتاب الوضوء باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا .بالمسكر-ج ١
ص ١٧٦

(٢٧) [لوقا ٢١ : ٣٤] . (٢٨) [لوقا ١ : ١٤ ، من ١٦] .

(٢٩) [قضاة ١٣ : ١٤] (٣٠) كما تزعم التوراة

(٣١) [إشعياء ٢٨ : ٧] . (٣٢) [سورة النحل من آية ٦٧] .

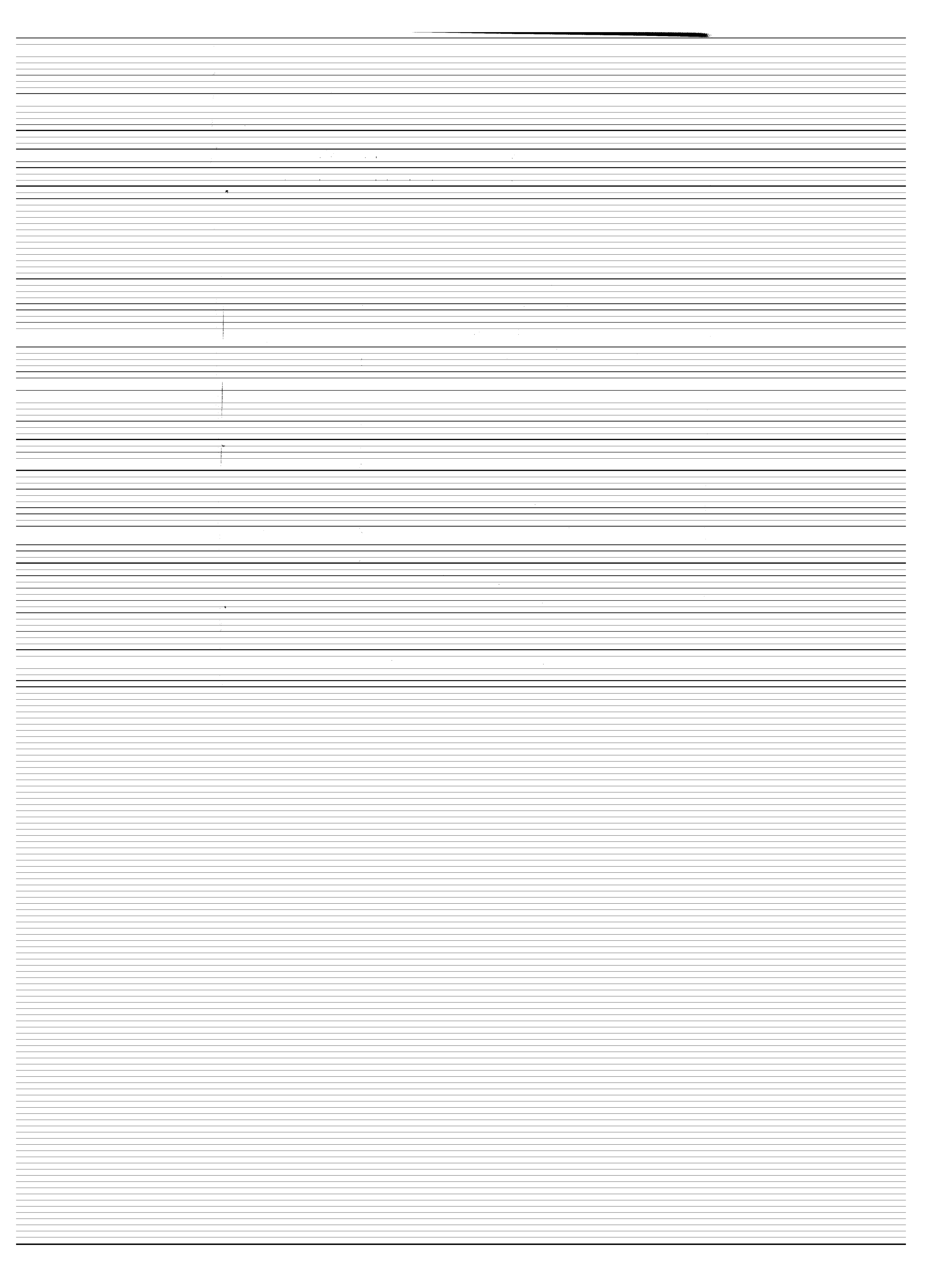
(٣٣) [سورة البقرة من آية ٢١٩] (٣٤) [سورة النساء من آية ٤٣] .

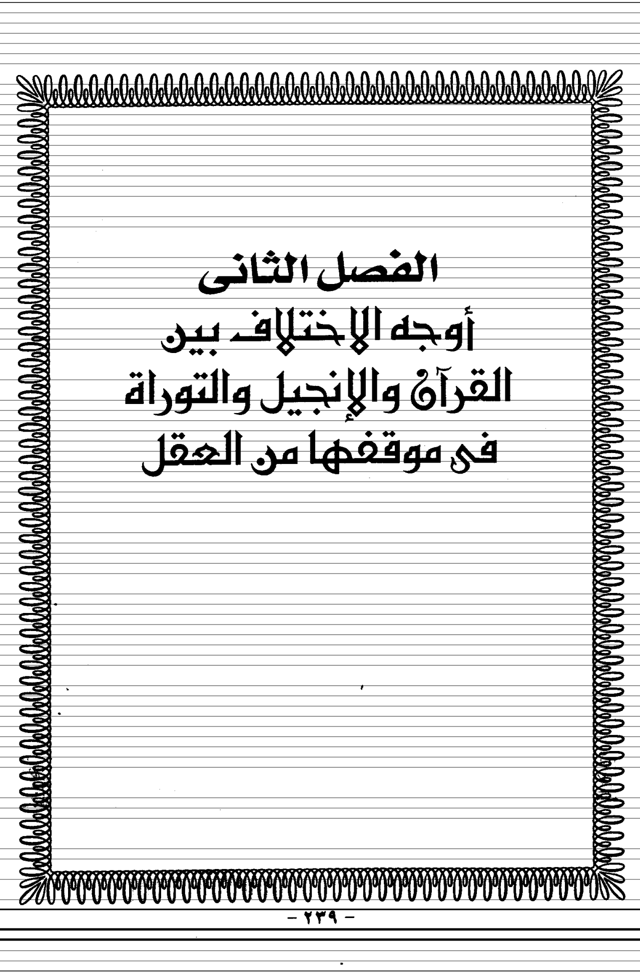
(٣٥) [سورة المائدة من آية ٨٩] . (٣٦) انظر ص ١٠٤

(٣٧) انظر ص ١٦١ ، ١٦٢ (٣٨) [سورة البقرة آية ١٧٩]

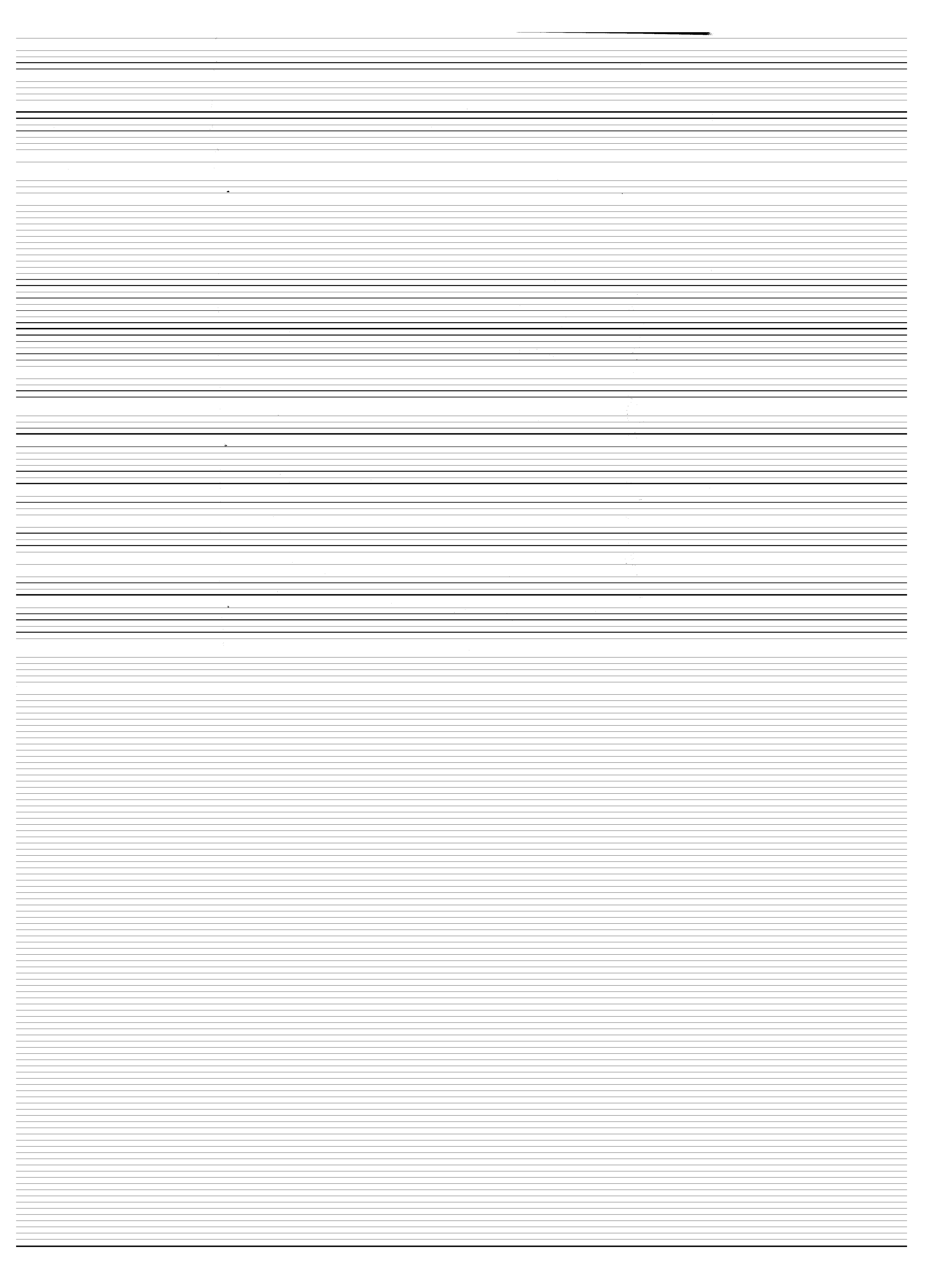
(٣٩) الإمام الفخر الرازى . مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١٢ مرجع سابق .

(٤٠) [رومية ١ : ٢٧-٢٩] (٤١) [أمثال ٦ : ٣٢ ، ٣٣] .





الفصل الثانى
أوجه الاختلاف بين القرآن والإنجيل والتوراة في موقفها من العقل



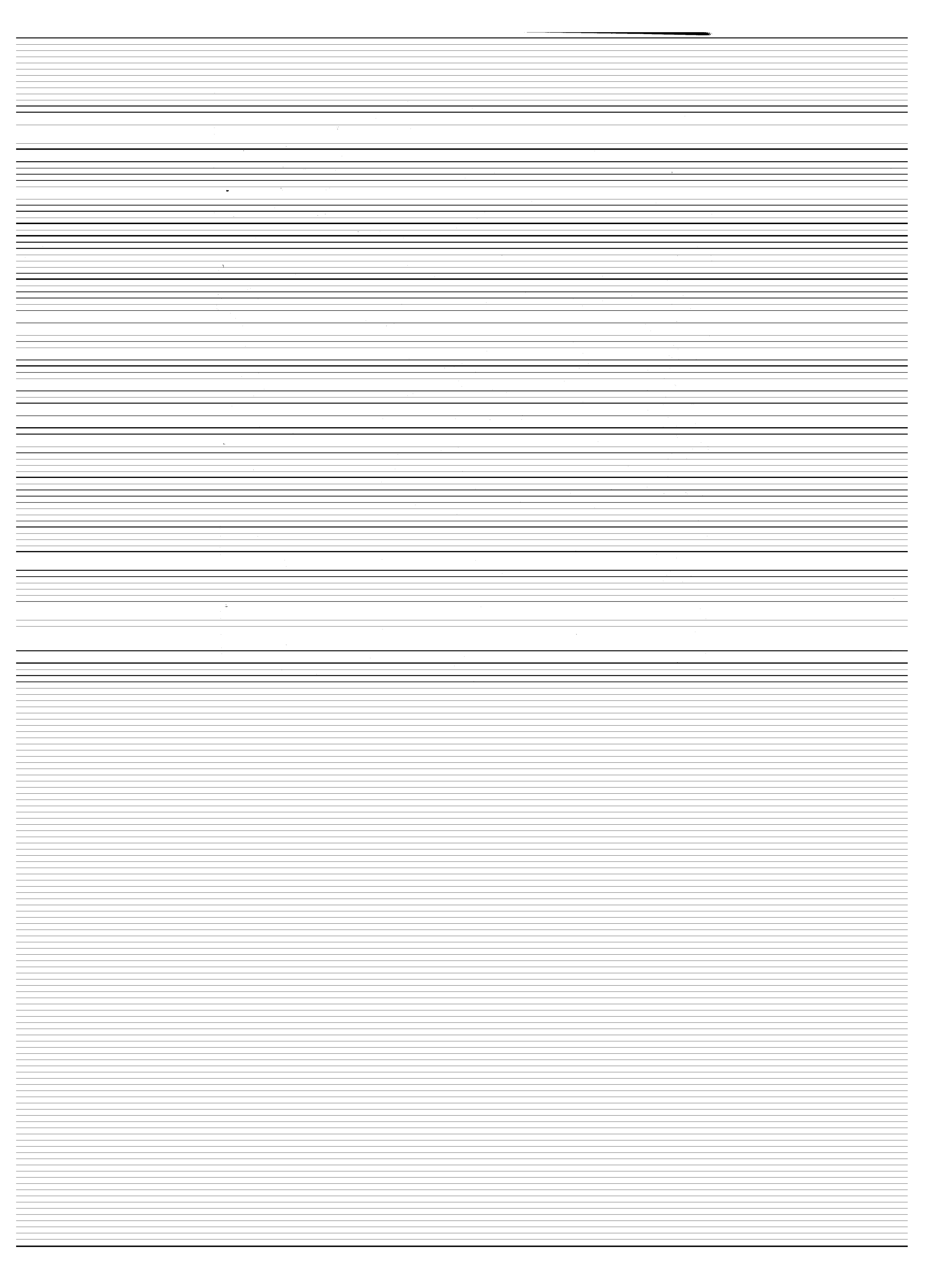
كما ظهر أن هناك وجوهاً اتفقت فيها الكتب الثلاثة فى موقفها من العقل وكرامته وأنزلته منزلة عظيمة ومدحت العقلاء وذمت الأغبياء معطلى عقولهم ونهت عن الخمر التى تغيب العقل وتعطله وإن تفاوتت فى هذه الوجوه فإن هناك وجوهاً أخرى اختلفت فيها هذه الكتب :

حيث لم تستمر بعض هذه الكتب فى احترامها للعقل كما كان فى جانبها النظرى من حيث ذكر العقل والاعتراف بفضله وحقه فى فهم الكتب .

فاختلفت فى مطابقة تعاليمها من عقيدة وشريعة وأخلاق للعقل السوى الذى اعترفت بحقه فى فهم ما يؤمر به كما سبق .

فقد جاءت تعاليم بعض هذه الكتب مطابقة للعقل السليم وناقضت تعاليم بعض هذه الكتب العقل السليم كما سيأتى -إن شاء الله- .

كما اختلفت فى اتفاقها مع العلم الإنسانى خاصةً العلم التجريبى الذى وصل فيه الإنسان إلى درجة اليقين فى بعض مجالاته حيث جاءت بعض الكتب متفقة تماماً مع معطيات العلوم ومقرراتها وحقائقها وتعارضت بعضها مع هذه العلوم التى هى نتاج لتفكير الإنسان وعقله الذى خاطبته هذه الكتب وكلفته بفهمها كما سبق . ويظهر هذا فيما يلى من المباحث :-



المبحث الأول

مطابقة تعاليم بعض الكتب للعقل السليم وتناقض بعضها معه

اختلفت الكتب الثلاثة القرآن والإنجيل والتوراة فى مطابقة تعاليمها للعقل البشرى السليم .حيث جاءت تعاليم بعض هذه الكتب مطابقة للعقل مطابقة تامة لا يعترض العقل على شيء فيها ويقبلها ويقتنع بها ويرضى أن يتدين بها لأنه يفهمها فهماً واضحاً لاغموض فيه ولا لبس كما جاء فى القرآن .

وجاءت تعاليم بعض هذه الكتب غير مطابقة للعقل حيث اعترض على بعضها وعَسرَ عليه فهمها والاقتناع بها كما جاء فى الإنجيل والتوراة ويظهر هذا من خلال المطالب الآتية :

أولاً : جانب العقيدة

فقد ظهر أن العقيدة التى ذكرها القرآن مطالباً المؤمنين به أن يعتقدوا بها ويعتنقوها قد جاءت مطابقة للعقل خاصة العقيدة فى الإله التى تحدث عنها القرآن عن الإله بأرقى صورة يتصورها أرقى عقل بشرى. يفهمها العامة والخاصة ولم يأت بصفات يحار العقل فيها أو يقهر على قبولها بل ذكر القرآن للإله كل صفة تليق بخالق السماوات والأرض ومنشئ الخلق من العدم ونفى عنه كل نقص تنزه عنه ذاته المقدسة .

وقد شهد لهذا الأمر كثير من غير المسلمين مثل صاحب كتاب [حضارة العرب]

حيث قال : ((تشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض وفى هذه السهولة سر قوة الإسلام ، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه فى الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالباً من المتناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله.، وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها ويدخل النار من يعرض عنها وإنك إذا ما اجتمعت بأى مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام فى بضع كلمات بسهولة .وهو بذلك على عكس النصرانى الذى لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة (١) وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل(٢).

فقد قارن بين العقيدة التى جاء بها القرآن وأقر بسهولتها ووضوحها وبين العقيدة التى جاء بها الإنجيل واعترف بتناقضها وغموضها .

وعن هذه المقارنة بين العقيدة التى ذكرها القرآن عن الإله والتى ذكرها الإنجيل يقول أحد المهتدين(٣) إلى الإسلام ((لم يكن لى خيار من المقارنة بين مبدأ توحيد الله فى التصوير القرآنى وبين اعتقادى فى الثالوث كمسيحى فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامى ومن تلك البقعة بالذات بدأت أفقد الثقة فى الديانة المسيحية . وعلى سبيل المثال إن الإيمان بالله هو أول وأهم مبدأ فى أى دين من الأديان فإذا كان الإيمان بالله خطئاً بالمفهوم الدينى الصحيح فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثاً لاجدوى له ولا معنى له ... إنى على يقين تام من أن الإسلام يعزز مبادئه وتعاليمه بالحجج المنطقية على النقيض من الأديان الأخرى وهكذا فعلى الرغم من الجهود الضخمة التى تبذلها الأديان المختلفة الأخرى فقد عجزت تماماً عن منافسة الإسلام ناهيك عن سبقه إلى قلوب الناس..)) (٤).

ويقول آخر :- ((الاعتقاد الإسلامى بوحدانية الله وهو حجر الزاوية بالنسبة للإسلام أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً إذ أن فطرتى استساغت الإيمان بالله الواحد)) (٥).

أما التوراة فقد أوردت فى بعض حديثها عن الإله ما يناقض العقل حيث ذكرت صفات الإله لا تليق بذاته المقدسة من أنه يأكل ويشرب ويتعب ويندم على ما فعل وأنه قد يجهل ما يحدث فى العالم الذى خلقه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) والعقل البشرى السليم يعترض على ذلك ولا يقبله(٦).

ومع ذلك فقد تحدثت التوراة عن الإله حديثا يتفق مع العقل وينسجم معه حيث أثبتت له صفات يقبلها العقل البشرى السليم .

مثل إثباتها أن لله-تعالى-واحد لا شريك له فقالت "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد " (٧).

وأنه -سبحانه- قادر على كل شيء" ولما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنه ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا" (٨).

ثانياً: جانب الشريعة

كذلك فقد اختلفت الكتب الثلاثة فى مطابقة شريعتها للعقل السليم حيث تميز القرآن بتطابق شريعته مع العقل واتفاقها معه . حيث لم يظهر من مبادئها ما يعارض العقل البشرى أو يصعب عليه فهمه.وقد شهد بذلك كثير من غير المسلمين مثل صاحب كتاب (تراث الإسلام) الذى قال عن التشريع الإسلامى :- ((وبالرغم من أن التشريع الإسلامى قانون دينى فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأى وجه من الوجوه فهو لم ينشأ من عملية وحى متواصل فوق العقل وإنما نشأ التشريع الإسلامى من منهج عقلانى فى فهم النصوص وتفسيرها ومن هنا اكتسب مظهراً عقلياً مدرسياً))(٩).

وتظهر موافقة شريعة القرآن للعقل فى جميع تعاليمها . ومن هذه التعاليم حكم القرآن بتحريم الخمر تحريما قاطعا وهذا يتلاقى مع العقل السليم والفطرة السوية يدل على هذا ما قاله رجل من المهتدين (١٠) إلى الإسلام حيث يقول: ((قبل إسلامى كنت أنفر من الخمور والرقص وما شابه ذلك من الأمور التى عرفت فيما بعد أنها محرمة فى الإسلام . وهكذا كان الإسلام بالنسبة لى كعملية اكتشاف لفطرتى)) (١١).

ويقول أحد المهتدين(١٢) للإسلام :- ((مهما ارتقى العقل فى درجات الكمال فليرتق فإنه لا يخرج عن حد تلك الأحكام الجليلة أعنى . الأحكام التى انطوت عليها الشريعة الإسلامية فاتباعها فى كل زمان ضرورى لا محيص للعقل عنه)) (١٣).

بخلاف الإنجيل والتوراة الذين احتويا على شريعة تخالف العقل فى مواضيعها . كما سيق بيانه فى الشريعة التى وردت فى الإنجيل مثل فريضة العشاء الربانى (١٤) التى تفرض على النصارى تناول الخبز وشرب الخمر فى وقت مخصوص وتبين أن الخبز يستحيل إلى جسد المسيح والخمر يستحيل إلى دمه .

والشريعة التى وردت فى التوراة مثل شريعة الغيرة (١٥) التى جاءت بطقوس هى أقرب إلى طقوس الوثنيين يلجأ إليها الرجل إذا شك فى سلوك زوجته ويقوم كاهن من اليهود بسقى المرأة من ماء ممزوج بالغبار وتحلف المرأة على أنها لم ترتكب الفاحشة فإن كانت بريئة لم يضرها الماء وإلا فإن ضرها الماء. وهى شرائع تتناقض مع العقل الإنسانى ولا تتوافق معه .

ثالثاً : جانب الأخلاق

وقد اختلفت الكتب فى مطابقة أخلاقها التى أمرت بها للعقل بين كتاب تميز بتعاليمه الأخلاقية المتزنة المطابقة للعقل التى لا تتناقض مع بعضها ولا تختلف وبين كتاب يأمر بأخلاق يأباها الذوق السليم والعقل السوى وقد تتعارض أخلاقه مع بعضها .

حيث ظهر تميز القرآن فى أوامره الأخلاقية بالاتزان ومراعاة الفطرة البشرية والاتفاق مع العقل البشرى السليم حيث أمر بالفضائل ونهى عن الرذائل ولم يظهر فى تعاليمه الأخلاقية أى تناقض أو اختلاف .

فقد أمر بمكارم الأخلاق وحث عليها ورغب فيها من أمر بالصدق والعفاف والفضيلة والبر والإحسان بما يقبله كل ذى عقل سليم ولا يعترض عليه .

كما سبق من قول محيط العارف الإنجليزى ((إن القرآن قد بلغ أقصى مراتب التأثير والقبول إنه قبح الكذب والحرص والزنا والإسراف والخيانة والغيبة والظلم وغيرها من الأخلاق المخزية للمجتمعات وقد أمر القرآن بامتثال الصدق وحسن النية والعفة والحياء والتسامح والصبر والتحمل والاقتصاد والمسالمة واتباع الحق والتوكل على الله))(١٦) .

ويقول أحد المهتدين إلى الإسلام من النصارى (١٧) : ((إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجاً تاماً بين المثالية والواقعية فيستطيع الإنسان بفضلها أن يتعرف إلى الله ويصبح ربانياً بينما يكون منهمكاً فى شئون حياته اليومية وليس فى الإسلام أى فصل بين الدين والسياسة فمن واجب الدولة المسلمة أن تراعى معاملتها نفس المبادئ الخلقية المفروضة على الأفراد فالسياسة فى الإسلام أخلاق أولاً وقبل كل شىء وهذا ينعكس

بالطبع على موقف الدولة المسلمة الحقة من الناس جميعاً ومن الدول الأخرى من حولها وهكذا فليس في الإسلام أى مجال للظلم أو الاستغلال من أى نوع)) (١٨).

أما الإنجيل فقد جاء فيه جانب الأخلاق متعارضا مع العقل البشرى فهو حينا يأمر بأخلاق فاضلة يقبلها العقل والذوق وحينا يناقض هذه الأوامر حين يأمر بما يناقضها .

ففى الوقت الذى يأمر الإنجيل فيه بالسلام ويرغب فيه قائلا " طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون " (١٩).

يأتى بما يناقض هذا فيبين أنه ما جاء من أجل السلام بل جاء بالحرب فيقول :-

"لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفا"(٢٠).

هذا فضلا عن الأوامر المثالية التى يستحيل تطبيقها فى عالم الواقع من أمره بحب الأعداء ومباركة اللاعنين (كما سبق)(٢١).

كذلك التوراة فقد وردت فيها أوامر أخلاقية لا يقبل العقل نسبتها إلى الله من أمر بالكذب والسرقة والغش (٢٢) وهذا مما يعد تناقضا مع العقل .

ومع هذا فقد أمرت التوراة بمبادئ سامية لا يجد العقل مجالا للاعتراض عليها ويقبلها (٢٣).

من أمر بالعفة والطهارة والقناعة كما جاء فى سفر الخروج : " ولا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك"(٢٤).

كما أمرت ببر الوالدين فقالت :- " أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك " (٢٥).

هوامش المبحث الأول

(١) يقصد استحالة الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه كما في عبادة العشاء الرباني في النصرانية

(٢) غوستاف لوبون . حضارة العرب ص ١٢٥ .

(٣) هو (تاجيمو رامونى) من غانا بأفريقيا الغربية ولد لأبوين مسيحيين عمل مبشراً وأسلم عام ١٩٦٣ م

(٤) رجال ونساء أسلموا ٩ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ بتصرف نقلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص١٨١ .

(٥) رجال ونساء أسلموا ٦ / ١١٢ نقلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص ١٨٣ . والقائل هو : (بيجي رودريك) وهو شاب هندى كان نصرانيا فأسلم في منتصف الأربعينات .

(٦) ينظر ص ١٥١ حتى ١٥٤ (٧) تثنيه ٦ : ٤٠

(٨) تكوين ١٧ : ١ .

(٩) شاخت – تراث الإسلام ص ١٦ ، ١٧ . ط. سلسلة عالم المعرفة بالكويت . ديسمبر ١٩٧٨م

(١٠) هو محمد صديق . سبقت ترجمته في صفحة ٨٧

(١١) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص٢٠٥

(١٢) هو عبد الله كويليام مفكر إنجليزى ولد سنة ١٨٥٦م أسلم عام ١٨٨٧م تلقب باسم الشيخ عبد الله كويليام

(١٣) نفس المرجع ص ٢٢٧ (١٤) انظر (ص) :١٢٩، ١٣٠

(١٥) انظر (ص) : ١٥٩، ١٦٠

(١٦) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز بديع الزمان النورسى ص ١٣٠ نقلاً عن حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن د. على البدرى ص١٨٣ .

(١٧) هو (بيجى رودريك) شاب هندى كان نصرانياً فأسلم فى منتصف الأربعينيات نشأ فى ظل الاستعمار البريطانى للهند

(١٨) رجـال ونساء أسلموا ٦ / ١١٤ نقـلاً عن قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص ,١٨٤

(١٩) متى ٥ : ٩

(٢٠) متى ١٠ : ٣٤

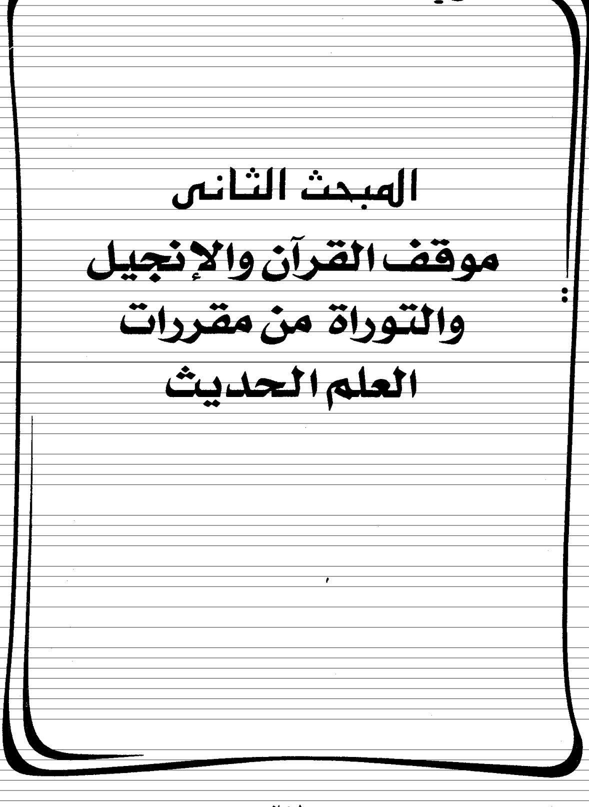
(٢١) انظر ص : ١٣١ ، ١٣٢

(٢٢) انظر ص : ١٦٤

(٢٣) انظر ص : ١٦٣

(٢٤) خروج ٢٠ : ١٧

(٢٥) خروج ٢٠ : ١٢



المبحث الثاني

موقف القرآن والإنجيل والتوراة من مقررات العلم الحديث

لاتفاق الكتب المقدسة مع مقررات العلم وحقائقه أهمية عظيمة :-

- للحكم باحترام الكتاب الذى يتفق مع حقائق العلم التجريبى خاصةً للعقل البشرى السليم الذى من خصائصه التفكير والاستنتاج والنظر فى القوانين الذى يسير بمقتضاها الكون المادى .

- وللحكم على الكتاب الذى تتعارض آياته أو حتى آية واحدة منه مع حقائق العلم التجريبى الذى لا يقبل الشك . بعدم احترام العقل البشرى السليم .

وبمقارنة الكتب الثلاثة القرآن والإنجيل والتوراة ظهر أن كتاباً واحداً هو الذى ظل على احترامه للعقل البشرى السليم حينما تحدث عن معطيات الأمور الحديثة وحقائقها ومقرراتها هذا الكتاب هو القرآن الكريم الذى قال عنه العالم والطبيب الفرنسى (موريس بوكاى (١) الذى كان نصرانياً وأسلم : ((لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتى كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث)) (٢).

ولا غرابة فى مطابقة القرآن للعلوم الحديثة واتفاقه معها إذ ((لا غرابة فى أن يتصل القرآن بالعلوم جميعاً فما العلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرار الفطرة والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة وتتجاوب كلماتها وكلماته)) (٣).

بل إن القرآن لم يتوافق مع العلم وفقط بل إنه حض عليه ورغب فيه رغبة منه فى هداية العقل البشرى وتوجيهه إلى ما ينفعه ((فإن الآيات القرآنية الكثيرة الواردة فى الحض على تطلب آيات الله فى الكون وتعرف أسرار الخلق هى فى الواقع توجيه للعقل إلى مجالات العلم الذى يسميه الناس العلم الطبيعى . بل هى أوامر من الله بطلبه لأن آيات الله

فى الكون التى ندبت تلك الآيات القرآنية الكريمة إلى طلبها ليست بأكثر ولا أقل من أسرار الفطرة التى هى مطمع العلم ومرماه فأنت إذا قرأت مثل قوله تعالى : ﴿ وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾(٤).

وقوله : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾(٥).

إذا قرأت هذا وأمثاله فى القرآن لم تشك فى أن العلم الحديث قرآنى فى موضوعه إذ أن هذه العلوم الطبيعية إنما تبحث عن أسرار هذه الظواهر الكونية التى نبه إليها وأمر فيها القرآن (٦).

وقد عقد صاحب كتاب (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) مقارنة بين القرآن والإنجيل والتوراة من جهة موقفها من العلم الحديث . وبعد أن نظر إلى القرآن وانتهى إلى نتيجة مؤداها ((أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظراً العلم فى العصر الحديث)) (٧) .

قال : ((وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل . أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أى(سفر التكوين) فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينهما وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً فى عصرنا وأما بالنسبة للأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة فى مواجهة مشكلة خطيرة أعنى بها شجرة أنساب المسيح وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لايتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)) (٨) .

وبين أن وجود تعارض بين الكتاب المقدس وبين العلم اليقينى دليل على عدم صحة هذا النص فقال :- ((لا يمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين وهى عدم صحة المقطع الذى يقول فى التوراة بأمر غير مقبول علميا ...وإن الإسلام قد اعتبر دائماً ... أن هناك اتفاقاً بين معطيات الكتاب المقدس والواقع العلمى وأن دراسة نص القرآن فى العصر الحديث لم تكشف عن الحاجة إلى إعادة النظر فى هذا وسوف نرى فيما بعد أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية وهى وقائع كثيرة جداً خلافاً لقلتها فى التوراة إذ ليس هناك أى وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات السمة العلمية فى القرآن وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية من وجهة النظر العلمية)) (٩) . والمجال يحتاج لضرب أمثلة على هذا .

* فمن أمثلة موافقة القرآن لما أثبته العلم الحديث-وهى كثيرة ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (١٠). فقد عبرت الآية عن حركة الشمس فى الفضاء بالفعل)يجرى) ((وهو فى حرفيته يعبر عن حركة حقيقية أثبتها العلم الحديث للشمس بسرعة مخصوصة قدروها بنحو اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه مخصوص فى فضاء الله ... والفعل يدل ليس فقط على حركة انتقالية للشمس ولكن يدل أيضا على عظم تلك الحركة إذ الجرى طبعا أدل على السرعة من المشى أو السير)) (١١).

* ومن أمثلة تناقض الإنجيل مع مقررات العلم الحديث ما سبق بيانه من تعارض سلسلة النسب التى وردت فى إنجيل متى وإنجيل لوقا مع مقررات العلم الحديث(١٢) .

* ومن أمثلة تناقض التوراة مع مقررات العلم ما أوردته التوراة فى قصة الطوفان فى سفر التكوين إصحاح ٦، ٧ ، ٨ حيث تبين هذه الرواية ((أن الطوفان يخص كل الجنس البشرى وكل الكائنات الحية التى خلقها الله قد أعدمت على الأرض

حسب هذه الرواية والمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة إذ كيف يمكن للبشرية أن تعيد بناء نفسها ابتداءا من أولاد نوح _ عليه السلام _ وزوجاتهم _ كما تبين التوراة نفسها _ بحيث إنه عندما يولد إبراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا فإنه يجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية)) (١٣) .

وعلى ذلك يظهر تميز القرآن على غيره من الكتب فى حديثه عن العلم الحديث ومقرراته .

هوامش المبحث الثانى

(١) سبقت الترجمة له فى ص :٧٤

(٢) د. موريس بوكاى ص ١٣ .

(٣) د. محمد أحمد الغمراوى . الإسلام فى عصر العلم ص ٢١٢ ط. دار الإنسان طبعة ٤ ١٤١١ هـ ، ١٩٩١م .

(٤) [الرعد آية ٣ ، ٤] .

(٥) [النحل آية ١٢] .

(٦) د. محمد أحمد الغمراوى-الإسلام فى عصر العلم ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٧) ص ١٣ .

(٨) موريس بوكاى - دراسة الكتب المقدسة . ص١٣ .

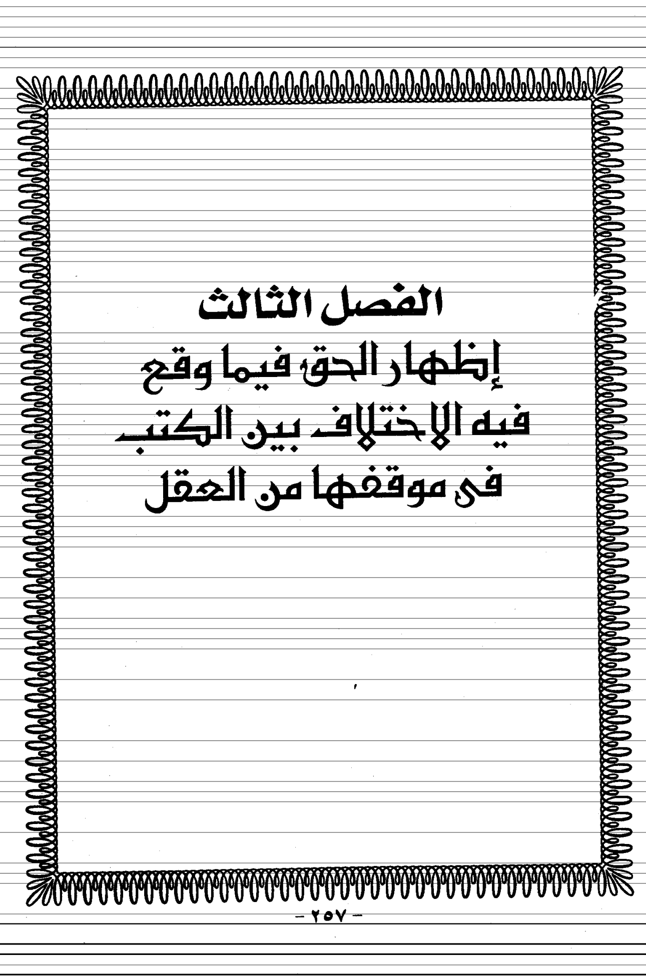
(٩) موريس بوكاى-نفس المرجع ص ١١ ، ١٢ .

(١٠) سورة يس آية ٣٨

(١١) أ . محمد أحمد الغمراوى _ الإسلام فى عصر العلم ص ٢١٩

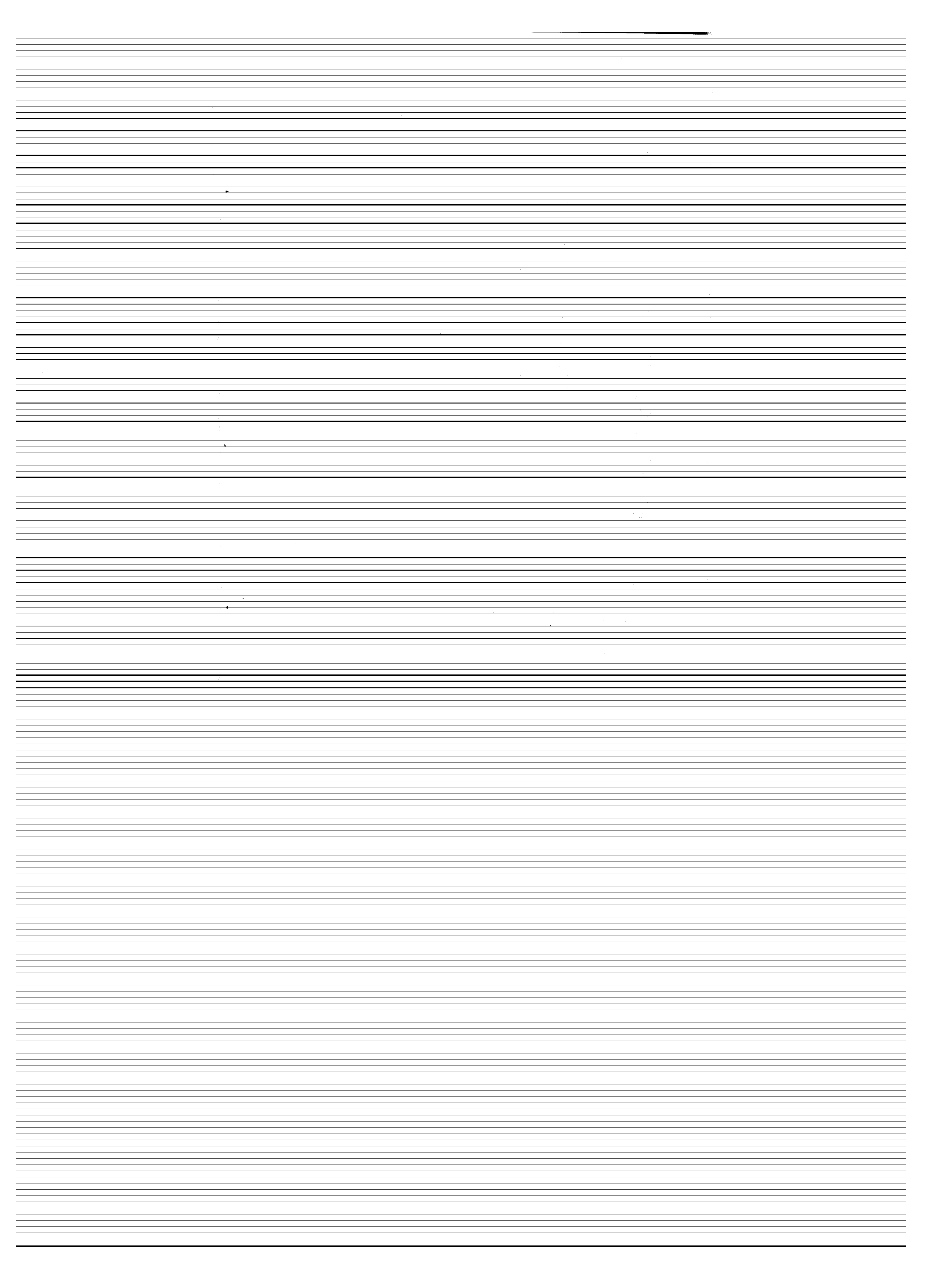
(١٢) فى صفحة ١١٤حتى١١٨

(١٣) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٥٣ بتصرف



الفصل الثالث

إظهار الحق فيما وقع فيه الاختلاف بين الكتب في موقفها من العقل



تحليل ونقد ..

ظهر فيما سبق أن هناك اختلافا وقع بين القرآن والإنجيل والتوراة فى موقفها من العقل حيث لم تقف الكتب موقفاً واحداً من العقل فى كل الأمور بل اتفقت فى بعضها واختلفت فى البعض الآخر ولابد أن الحق قد حالف بعض هذه الكتب وخالف بعضها ...

وقبل الحديث عن هذا المطلب يحسن _فى ظنى- ذكر .

★ تلخيص لموقف الكتب الثلاثة من العقل

أولاً : موقف القرآن من العقل :

وقف القرآن من العقل موقفاً كله تشريف وتكريم له حيث احتل العقل فى القرآن منزلة عظيمة فقداً احتفى به القرآن وتحاكم إلية فى أهم الأمور من عقيدة وشريعة ولم يذكره إلا فى مقام التعظيم والتكريم .

حتى وصل إعمال العقل إلى درجة العبادة وجعل القرآن العقل وسيلة هامة لزيادة الإيمان وأشاد القرآن بأولى الألباب وهم أهل العقول السليمة أيما أشادة وذم معطلى عقولهم ونبدد بهم . ولم يقف احترام القرآن للعقل وتكريمه له عند الجانب النظرى فقط بل إنه عليما فى تشريعاته وعقائده وأخلاقه . قد ظل على موقفه المكرم للعقل فقد عمد القرآن إلى الموانع التى تحجب العقل عن القيام بمهمته التى خلقه الله تعالى من أجلها فأزالها من طريقه من تقليد المكلف للسابقين تقليداً أعمى بلا بينة وبرهان ومن تبعية عمياء للسادة والكبراء حتى ولو كانوا رجال دين وهاجم القرآن اتباع الهوى واتباع الظن باعتبار أنهما يعطلان عمل العقل فالهوى يجعل الإنسان يتحيز لما تمليه عليه نفسه لاما يرشده إليه عقله وكذلك الظن التى لا يغنى عن الحق شيئاً .

ولم ترد فى القرآن آية واحدة تزرى بعقل الإنسان أو تنقص من شانه بل فى المقابل تحاكم القرآن إلى عقل الإنسان ولو كان كافراً وارتضى حكمه ، للثقة الكاملة التى أطلقها القرآن للعقل فكثرت فى القرآن الآيات التى تخاطب الكافرين متسائلة ((أفلا تعقلون)) ،، ((أفلا تتفكرون)) .

مثل نداء إبراهيم- عليه السلام - لعبده الأصنام ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ (١).

ومثل توجيه القرآن للنبى محمد ﷺ أن يقول للكافرين :

﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (٢).

وعند حديث القرآن عن القضايا العلمية التى توصل إليها عقل الإنسان ووصل فيها إلى درجة اليقين لم يتناقض معها بل كان هناك توافق وانسجام كاملان بين القرآن وحقائق العلم التى هى نتاج لعقل الإنسان ولم يثبت أن هناك تعارضاً بينهما .

وقد حافظ القرآن على عقل الإنسان وأحاطه بسياج من الحماية حيث حرم كل ما يغيبه ويعطله من المسكرات التى تغطى عقل الإنسان وتجعله فاقدا لوظيفته التى خلق من أجلها فحرم القرآن الخمر والمسكرات تحريماً قاطعاً .

وعملياً أيضاً فقد جاءت تعاليم القرآن من عقيدة و شريعة وأخلاق متوافقة مع عقل الإنسان المكلف بهذه التعاليم ولم يرد فى عقيدة القرآن وشريعته وأخلاقه ما يتعارض مع عقل الإنسان وهذا بشهادة علماء من غير المسلمين من الذين درسوا الإسلام والقرآن .

فلم يكلف القرآن العقل بما يتناقض معه ويتعارض . ولم يقهره على شيء . حتى قال أحد المهتدين إلى الإسلام (٣) مبيناً سبب إسلامه ((لقد جذبنى إلى الإسلام عوامل كثيرة لا أستطيع حصرها أو الوقوف إليها جميعاً لأن منها الظاهر الجلى الذى لا يمارى فيه إنسان ومنها الباطن الخفى الذى يغوص فى أعمال الروح ويكمن فى خفايا الضمير لقد قرأت عن الإسلام وقرأت عن القرآن وشيئاً من سيرة محمد ابن عبد الله ذ عليه الصلاة والسلام ذ فلفت نظرى الشيء الكثير . لفت نظرى بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها بل مرد الإيمان إلى العقل والنظر فى ملكوت الله . (٤)

ثانياً : موقف الإنجيل من العقل

وقف الإنجيل من العقل موقفاً متناقضاً بين احترامه للعقل فى آيات كثيرة وبين الزراية به والانتقاص من شأنه فى بعض الآيات وتخالف الجانب النظرى عن الحديث عند العقل الإنسانى حديثاً مجرداً مع الجانب العملى حينما عرضت تعاليم الإنجيل على العقل البشرى عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

فقد وردت فى الإنجيل نصوص كثيرة تجعل العقل فى منزلة سامية وتجعله فى مكانة عالية وتبين أن له منزلة عظيمة ومدحت الرجل العاقل وبينت أن له فضلاً على غيره . وذه ت غير العاقل ونددت به وبينت أن من الضرورة أن يكون الإنسان ذا فكر صحيح وعقل سليم . لأن الفكر المريض يورد صاحبه المهالك ووصل إعمال العقل إلى درجة العبادة .

وبينت نصوص الإنجيل أن العقل وسيلة لمعرفة الله والإيمان به وأمرت بإعمال العقل وحذرت من إهماله .

وردت فى الإنجيل بعض النصوص التى تنهى عن تناول المسكرات التى تغيب عقل الإنسان عن العمل .

غير أنه مع ذلك فقد وردت نصوص أخرى تزرى بالعقل وتنقص من قيمته وتمدح الجهالة وتبين أن العقل لا ثمر له .

وعن الجانب العملى فقد جاء الإنجيل بعقيدة يقبل العقل البشرى السليم بعضها ويقر بها ويرفض بعضها ويجد نفسه مقهوراً على قبولها إن قبلها .

حيث لم يظل الإنجيل على حاله فى احترام العقل حينما ألقى إليه بعقيدة يقهره بها وتتناقض معه .

وكذلك حينما أمره بفرائض من الشريعة لا يفهم لها وجهاً مثل فريضة العشاء الربانى التى سبق الحديث عنها .

وكذلك حينما أمره بالتخلق بأخلاق لا تعترف بواقعه ولا يستطيع تحقيقها فى عالم الواقع . مثل الأمر بحب العدو ومباركة اللاعنين ... .

وحينما تحدث الإنجيل عن القضايا العلمية التى وصل العقل البشرى فيها إلى درجة اليقين فقد وافق الإنجيل العقل فى بعضها وناقضه فى بعضها الآخر .

وجاءت أخطاء فادحة فى الإنجيل من وجهة النظر العلمية . مما ينبئ عن أن الإنجيل لم يحترم العقل حينما جاء بأمور لا يوافق عليها العلم البشرى فى صورة وقائع يقينية مُسَلَّمة .

ثالثاً : موقف التوراة من العقل

وقفت التوراة مثل الإنجيل من العقل موقفاً متناقضاً فإنها نظرياً قد أنزلت العقل منزلة عظيمة وظهر احترامها للعقل فى كثير من النصوص . حيث أمرت التوراة بإعمال العقل وحثت على طلب الحكمة . وبينت ما للعقل من أهمية لحفظ الإنسان فى الدنيا ولمنعه من ارتكاب المعاصى . وجاء فيها المدح للإنسان العاقل الفاهم وكذلك ذمت معطلى عقولهم ونددت بهم .

وجاءت فيها نصوص كثيرة تنهى عن شرب الخمر التى تعطل العقل عن قيامه بوظيفته . غير أن هناك نصوصاً أخرى قد جاءت فى التوراة تنقص من قدر العقل وتزرى به وتبين أنه عديم القيمة .

وفى الوقت الذى أمرت التوراة فيه بإعمال العقل لمعرفة الله تعالى ولفهم الشريعة ولفهم كلام الله .

فإنها عملياً من جهة التعاليم التى أمرت بها التوراة من عقيدة وشريعة وأخلاق قد جاءت موافقة للعقل فى أمور ومناقضة له فى أمور أخرى .

فعلى حين تذكر التوراة صفات للإله تليق بذاته ويقبلها العقل تأتى فتذكر صفات أخرى لا يصدق العقل نسبتها إلى الله . ومع ذلك فالعقل مطالب بالإيمان بها قهراً له .

وكذلك فى أمور الشريعة والأخلاق جاءت التوراة فيها بأوامر لا يقتنع بها العقل ولا يفهم لها وجهة .

وفى مجال العوم الطبيعية التى أنتجها عقل الإنسان ووصل فى بعضها إلى درجة اليقين الذى لا يتطرق إليه الشك . فإن التوراة قد ذكرت أموراً تتناقض مع حقائق العلم ومقرراته مما يعنى عدم احترامها للعقل فى عرضها لهذه المتناقضات فى صورة أخبار واجبة التسليم .

و لى ذلك فإن التوراة لم تستمر على حال احترامها للعقل الإنسانى كما جاء فيها فى الجانب ، نظرى .

هوامش الفصل الثالث

(١) سورة الأنبياء آية ٦٧

(٢) سورة الأنعام من آية ٥٠

(٣) هو (دونالد كوين) : أو محمد عبد الله . من مواليد الولايات المتحدة الأمريكية وهو شاعر وناقد أدبى . وكاتب صحفى اعتنق الإسلام بعد أن لم تقنعه عقيدة النصرانية / قالوا عن الإسلام ص ١٨٢

(٤) رجال ونساء أسلموا . ج ٧ ص ٩ نقلاً عن قالوا عن الإسلام / د : عماد الدين خليل ص ١٨٢ .

ميزان الفصل والحكم

بعد هذه الجولة التى مرت والتى تم فيها وصف موقف الكتب الثلاثة فى موقفها من العقل وتمت المقارنة بينها فى هذه القضية. يأتى وقت الحكم، والفصل بين هذه الكتب لمعرفة أى الكتب قد أصاب الحق، ووقف على جادة الصواب، واتخذ من العقل موقفا يحترمه فيه ويعطيه التكريم اللائق به كأداة كرم الله -سبحانه و تعالى- بها الإنسان، وجعلها شرطا لتكليف العبد . لأنه أداة الفهم والإدراك والتفكير والاعتبار ، وهو المخاطب الأول بالكتب الإلهية التى نزلت إليه من عند الله قبل أن تلحقها يد البشر بالتغيير والتحريف إن لحقتها وللحكم لأى كتاب بأنه قد احترم عقل الإنسان وكرمه . لابد من توافر عدة شروط إذا توافرت فى كتاب حكم باحترامه له ، وإذا لم تتوافر حكم بعدم احترامه له

هذه الشروط تعتبر بمثابة موازين عقلية يتفق عليها الناس جميعاً أيا كان لونهم وثقافتهم خاصة أن هناك أموراً يتفق عليها البشر أجمعون مثل علم الجميع أن الجزء أصغر من الكل وأن الولد أصغر من أبيه .

وقد عبر عن ذلك الإمام ابن حزم(١) مبيناً أن هناك أموراً يتفق عليها الناس جميعاً ويجب التحاكم إليها عند الاختلاف لا يختلف عليها أحد حتى الأطفال الذين هم على عتبات التمييز فقال مستدلاً على هذه القواعد مثل : علم الجميع أن الجزء أقل من الكل وغيرها ((فإن الصبى الصغير فى أول تميزه إذا أعطيته تمرتين بكى وإذا زدته ثالثه سر وهذا علم منه بأن الكل أكثر من الجزء ... ومن ذلك علمه بأن لا يجتمع المتضادان فإنك إذا وقفته قسراً بكى ونزع إلى القعود علماً منه بأنه لا يكون قائماً قاعداً معاً ومن ذلك علمه بأن لا يكون جسم واحد فى مكانين فإنه إذا أراد الذهاب إلى مكان ما فأمسكته قسراً بكى وقال كلاماً معناه دعنى أذهب علماً منه بأن لا يكون فى المكان الذى يريد الذهاب إليه مادام فى مكان واحد ومن ذلك علمه بأنه لا يكون الجسمان فى مكان واحد فإنك تراه ينازع على المكان الذى يريد أن يقعد فيه علماً منه بأنه لا يسعه ذلك المكان مع

ما فيه فيدفع من فى ذلك المكان الذى يريد أن يقعد فيه إذ يعلم أنه فى المكان ما يشغله فإنه لا يسعه وهو فيه ... فهذه أوائل العقل التى لا يختلف فيه ذو عقل وهاهنا أشياء غير ما ذكرنا إذا فتشت وجدت و ميزها كل ذى عقل من نفسه ومن غيره وليس يدرى أحد كيف وقع العلم بهذه الأشياء كلها بوجه من الوجوه ولا يشك ذو تمييز صحيح أن هذه الأشياء كلها صحيحة لا افتراء فيها وإنما يشك فيها بعد صحة علمه بها من دخلت عقله آفة وفسد تمييزه أو مال إلى بعض الآراء الفاسدة فكان ذلك أيضاً آفة دخلت على تمييزه... وهذه المقدمات التى ذكرناها هى الصحيحة التى لا شك فيها ولا سبيل أن يطلب عليها دليلاً إلا مجنون أو جاهل لا يعلم حقائق الأشياء ومن الطفل أهدى منه وهذا أمر يستوى فى الإقرار به كبار جميع بنى آدم وصغارهم فى أقطار الأرض إلا من غالط حسه وكابر عقله)) (٢) .

إذن فهناك قواعد تتفق عليها عقول بنى البشر أجمعين وصلوا إليها بعقولهم لايختلف عليها إلا من لا ثقة بعقله من الذين عطلوا عقولهم عن العمل ومنع عقولهم أحد الموانع التى تعوق عمل العقل من تقليد للسابقين أو اتباع للهوى أو اتباع للظن وفيما يلى بيان لهذه القواعد التى تختص بموضوع البحث وهى عبارة عن شروط لا بد من توافرها للحكم على كتاب ما بأنه يحترم العقل .هذه الشروط هى :

(١) ألا يحوى الكتاب نصوصاً تنقص من قيمة العقل وتزرى به

وهذا من بديهيات العقول حيث لا يمكن الحكم على كتاب بأنه يحترم العقل إذا ورد فيه ما ينقص من قيمة العقل أو يذمه ولو فى موضع واحد حيث يستحيل أن يجتمع النقيضان فى وقت واحد فإذا ما حوى الكتاب نصوصاً تنقص من قيمة العقل ولم يمكن تأويل النص تأويلاً يصرفه عن حقيقته وتقتضيه اللغة فإما أن يحكم على الكتاب بعدم احترامه للعقل وإما أن يحكم بعدم ثبوت هذا النص الذى جاءت فيه الزراية بالعقل ولاثالث لهما .

(٢) ألا يأتى الكتاب بتكليف يتناقض مع عقل الإنسان

وذلك لأن العقل هو مناط التكليف فى الإنسان فى جميع الأديان والشرائع حتى فى عرف البشر أجمعين إذ أن المجنون شرعاً وعرفاً غير مسئول عن أفعاله باتفاق جميع البشر.

والعقل هو المخاطب بالنصوص التى ترد فى الكتب فكيف يكلف العقل بما يتناقض معه ويتعارض فإن ((العقل أسمى ما أودع الله فى الإنسان من ملكات وأعز ما يعتز به الناس من قدرات ويتباهون على سائر المخلوقات به اهتدى البشر إلى الخالق وإلى فهم الخير والشر وإلى التمييز بين الصواب والخطأ وإلى التفرقة بين الحق والباطل .. هذا العقل محور التفضيل وأساس المسؤولية من حقه أن يدرك ما يلقى إليه من ومعتقدات وأن يفهم ما يطلب منه اتباعه من قضايا ونظريات فيستطيع أن يسير عليها فى اقتناع ويقين ويمكن أن يحاسب عليها فى وضوح وتبيين فإذا لم يستطع العقل أن يفهم شيئاً مما يلقى إليه فإنه لا يمكنه أن يسير عليه ولا يمكن لأحد أن يسأله ويحاسبه فى ذلك وإلا جاز مساءلة البهائم والأحجار عن كافة شرائع الأرض والسماء وهذا ما لم يقل به أحد))(٣)

لذلك لا بد أن يكون تكليف الكتاب مفهوما للعقل عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً خاصة فى مجال الاعتقاد فإن ((الاعتقاد يتدنس إذا كانت مسائله غير مبحوثة وكانت غير مبرهن عليها وكان لا يهدف إلا نحو تهدئة نفس المعتقد وإدخال السرور عليه ... وإذا مااعتقد المرء اعتقاداً ناشئاً عن مالا يكفى من الأدلة فإن السرور الناشئ عنه يكون سروراً مغصوباً إنه خطيئة لأنه مسروق ومناقض لما يجب علينا نحن بنى الإنسان ذلك الواجب أن نحمى أنفسنا من أمثال هذه الاعتقادات كما يجب علينا أن نحفظ أنفسنا من الأمراض الخبيثة التى قد تسرى إذا تركت وشأنها فى الجسم كله ثم تنتقل فتنتشر فى أنحاء المدينة.. إنه من الخطأ فى كل زمان ومكان بالنسبة لكل فرد أن يعتقد من غير وجود براهين كافية))(٤).

فإذا ما كلف كتاب العقل الإنسانى بأن يؤمن بشىء يتناقض معه ولا يستسيغه حكم على الكتاب بعدم احترامه للعقل .

هذا مع وجوب التفرقة بين ما يتناقض مع العقل وبين ما يعلوا على إدراكه فهناك فرق بين ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع بيقين وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يحكم فيه بنفى ولا إثبات . وسيأتى بيـــان هذه التفرقة بتفصيل وتمثيل عند تطبيق هـــذا الميزان على الكتب (إن شاء الله) .

(٣) ألا تتعارض نصوص الكتاب مع حقائق العلم اليقينية

ومعنى حقائق العلم الأمور التى قد تثبت بشكل نهائى ، واستقر علم البشر بها .

فيشترط للحكم لكتاب ما باحترامه لعقل الإنسان ألا تتعارض نصوص هذا الكتاب مع هذه النتائج التى توصل إليها عقل الإنسان ووصل فيها إلى درجة اليقين . فإذا ما تعارض كتاب مع حقائق العلم قضى بعدم احترامه لعقل الإنسان بل قضى بعدم صحة هذا النص ذ هذا إذا لم يمكن تأويل النص بما يحيل المعنى الحقيقى ((إذ لا يمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية تنص على واقع غير صحيح بالمرة)) (٥)

(٤) ألا تتناقض نصوص الكتاب الواحد

فإنه من بديهيات العقول أن أى كتاب نزل قد جاء مخاطباً عقل الإنسان والإنسان مطالب أن يفكر فى هذا الكتاب ويتدبر آياته فإذا ما جاء هذا الكتاب متناقضاً بعضه مع بعض دل ذلك على استهانته بعقل الإنسان وعدم احترامه له حيث تساق إليه الأمور المتناقضة ومع ذلك يطلب منه أن يسلم بها ويصدقها .

من أجل ذلك وقفت العقول ترفض أى تعارض بين نصوص الكتب المدعاة قداستها كما يقول صاحب كتاب (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ((لا أوافق على التناقض الموجود بين أى نصين من الكتاب)) (٦).

لذلك جاء القرآن بهذه الآية داعياً العقول أن تتدبره وتفهمه وتنظر هل تجد فيه اختلافاً وتناقضاً ؟ فإن الأصل أن الكتاب الثابت الصحيح المنزل من عند الله حقيقة لا يختلف ولا يتناقض . يقول القرآن ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان عند من غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٧)

وبتطبيق هذه الشروط على الكتب فإننا نجد أن كتابا واحدا هو الذى استوفى هذه الشروط كلها وهو القرآن الكريم حيث ظهر تفرده من بين الكتب باحترامه الكامل لعقل الإنسان وتقديره له ويظهر هذا من خلال المبحث التالى .

هوامش ميزان الفصل والحكم

(١) هو الإمام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد بقرطبة من بلاد الأندلس عام ٣٨٤ من الهجرة وتوفى عام ٤٥٦ من أشهر مصنفاته كتاب (المحلى) فى الفقه وكتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل

(٢) الإمام ابن حزم - الفصل فى الملل و الأهواء والنحل ج ١ ص . ١١ ، ١٢ بتصرف

(٣) أ. محمد مجدى مرجان-الله واحد أم ثالوث ص ٦٥ ، ٦٦ باختصار . دار النهضة العربية .

(٤) مقولة ل (كليفورد) من كبار رجال اللاهوت فى إنجلترا ١٨٣٦ - ١٩٢٣م . نقلاً عن العقل والدين وليم جيمس ص ١٠ بتصرف .

(٥) د . موريس بوكاى -دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١١ .

(٦) اسبينوزا رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٦٩

(٧) سورة النساء آية ٨٢



حقيقة موقف الكتب من العقل فى ضوء هذا الميزان

عند عرض الكتب الثلاثة فى ضوء ميزان الفصل والحكم والذى تضمن شروطاً متفقاً عليها بين الجميع يتبين موقف هذه الكتب من العقل واضحاً جلياً لا غموض فيه .

وفيما يلى عرض للكتب الثلاثة فى ضوء هذا الميزان بشروطه شرطاً شرطاً للخروج بتصور واضح عن موقف الكتب من العقل .

أولاً : موقف القرآن من العقل فى ضوء هذا الميزان

تبين بعد عرض القرآن على الشروط السابق ذكرها أن العقل احتل فيه مكانة عظيمة حيث احترم القرآن العقل الإنسانى وأنزله منزلة رفيعة .

أولا : فمن ناحية النصوص التى تزرى بالعقل وتنقص من شأنه فقد خلا منها القرآن تماماً ولم يرد فيه (قطعاً) نص يزرى بعقل الإنسان ولو تلميحاً بل على العكس كانت النصوص التى تتحدث عن عقل الإنسان تأتى فى معرض تكريمه والتنويه بشأنه والاحتكام إليه حتى ولو كان هذا العقل ساكناً جسد رجل كافر بالله كما سبق يدل هذا على الثقة الكاملة والاحترام العظيم الذين أعطاهما القرآن لعقل الإنسان فكيف تأتى نصوص بعد ذلك تنقص من قدر عقل الإنسان ؟! ومن كان يرى غير ذلك فعليه بالدليل فالبينة على من ادعى .

وثانيا : ومن ناحية التكاليف التى أتى بها القرآن . فقد كانت موافقة لعقل الإنسان متسقة معه لم يرد فيها ما يقهر هذا العقل أو يكلفه شططاً (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) .

بل على العكس من ذلك قد اعتمد القرآن على العقل فى تقرير العقيدة والأمر بالشريعة ومن أبرز الأمثلة على ذلك خطاب القرآن لمن عدد الإله حيث ((نعى القرآن على من عدد الإله فاتخذ إلهين اثنين أو اتخذ التثليث أو عبد شيئا من الخلق مثل الشمس والقمر و الأصنام وحرك عقول المعددين للإله إلى النظر فيما يوجب وحدة المعبود وحدة تامة كاملة)) (1)

قال تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً ﴾(2).

وقال : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ (3).

وقال :- ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾. (4)

وحينما يأمر القرآن بشىء فى أمور الشريعة فإنه لا يهمل العقل بل يبين حقه فى فهم العلة من وراء هذا التكليف .

مثل الصلاة التى هى علاقة بين العبد وربه حينما أمر القرآن بإقامتها فإنه لم يهمل حق العقل فى معرفة حكمة من حكم تشريعها وقد بينه القرآن بأن من بين حكم تشريع الصلاة ما لها من أثر فى تهذيب الفرد والمجتمع وتطهيرهما من الفحشاء والمنكر فقال :

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ (5).

ثالثا : ومن ناحية موقف القرآن من حقائق العلم التجريبى اليقينية فقد جاء القرآن موافقاً تمام الموافقة لحقائق العلم الحديث وقد انتهى الباحثون والعلماء بعد بحث طويل فى موقف القرآن من حقائق العلوم إلى نتيجة ((أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث)) (6) .

ولا عجب في ذلك إذ ((لا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعاً . فما العلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرار الفطرة والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة وتتجاوب كلماتها وكلماته)) (٧) .

ولم يقف القرآن فى موقفه من العلم إلى درجة عدم التعارض بينهما وفقط بل إنه تعدى ذلك حيث دعا إلى طلب العلم وكرم العلماء ومدحهم فـ ((إن الناظر فى القرآن يجد أنه دعا إلى العلم بصيغة وصورة لم يسبقه إليها أى كتاب أو أى دين غير الإسلام فالله الخالق سبحانه يقسم بالقلم فى القرآن ذ ولا شك أن القلم يتبعه القراءة والكتابة والمداد والصحف ولا بد لكل هذا من عقل يفهم ليقرأ . أليست هذه أعظم دعوة لإخراج العقل من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعلم يرفع قيمة الإنسان إلى درجات عليا)) (٨).

رابعا : ومن ناحية اتفاق نصوص القرآن وعدم تعارضها . فقد جاءت نصوص القرآن متوافقة مع بعضها تماماً ولم يأت نص يتعارض مع نص آخر . وكل نص جاء موهماً للتناقض مع نص آخر فإن ذلك يكون راجعاً إلى قصر عقل من يظن هذا الظن يزول بشيء يسير من النظر وسؤال العلماء المختصين .

وربما كان المجال محتاجا لضرب مثل لهذه الآيات التى يوهم ظاهرها التناقض مع أنها فى الحقيقة غير متناقضة .

مثل الآيات التى وردت تتكلم عن خلق الإنسان يقول تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ (٩).

...ظاهر هذه الآية أن آدم خلق مِن صلصال : أى طين يابس .

وقد جاء فى آيات أخر ما يدل على خلاف ذلك كقوله تعالى ﴿ ....إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ (١٠)

وكقوله ﴿ ..... كمثل آدم خلقه من تراب ... ﴾(١١).

والجواب : أنه ذكر أطوار ذلك التراب فذكر طوره الأول بقوله ﴿ من تراب ﴾ ثم بُلَّ فصار طينا لازبا ، ثم خمر فصار حمأ مسنونا ثم يبس فصار صلصالا كالفخار)) (١٢).

وهكذا تمضى جميع آيات القرآن فلا تناقض فيها ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

وقد قال القرآن كلمته فى هذا الأمر حينما دعا بهذه الدعوة التى تعتبر من قبيل التحدى والتى يدعو فيها إلى تدبر آيات القرآن ويطمئن المتدربين إلى أنهم لن يجدوا فيه اختلافاً أو تناقضاً لأنه من عند الله وكل ما كان من عند الله فإنه يخلو حتما من الاختلاف والتناقض يقول القرآن ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاُ كثيرا ﴾ (١٣).

ثانيا : الإنجيل فى الميزان

وعند عرض الإنجيل على نفس الشروط تبين أن فى الإنجيل نصوصاً لم تحترم العقل حيث جاءت فى الإنجيل بعض النصوص التى تزرى بعقل الإنسان وتنقص من قيمته مع كثرة النصوص الأخرى التى جاءت مادحة للعقل وأثنت على العقلاء الفاهمين .

وجاءت بعض التكاليف الشرعية التى لا تتوافق مع عقل الإنسان وتتعارض معه عقيدة وشريعة وأخلاقاً كما سبق فى الباب الأول وجاءت فى الإنجيل بعض النصوص التى تتعارض مع حقائق العلم اليقينية والتى لا يمكن التوفيق بينها وبين مقررات العلم .

وتناقضت بعض نصوص الإنجيل مع بعضها .

ويظهر هذا بتفصيل فيما يلى :

أولا : فمن ناحية النصوص التى تزرى بعقل الإنسان فقد ثبت أن الإنجيل قد حوى بعض النصوص التى تذم عقل الإنسان وتبين أنه عديم الفائدة مع قلتها بجانب النصوص التى تمدح العقل وتأمر بإعماله . ومن أبرز الأدلة على ذلك ما سبق الاستشهاد به فيما جاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس وفيها هاجم عقل الإنسان ومدح الجهالة مبيناً

عدم جدوى العقل فى تفهم العقيدة وكأنه يعلم أن العقيدة التى سيرشد المخاطبين بها سوف تصادم العقول..

فقال: ((لأن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح . فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث الدهر ألم يجهل الله حكمة هذا العالم لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله الحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنون بجهالة الكرازة . لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء بل اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء)) (١٤)

تم نقل النص بطوله ليظهر موقف الإنجيل من العقل الإنسانى المخاطب بنصوص الإنجيل وتكاليفه ففى هذا النص يبين (بولس) عدم جدوى العقل والمنطق فى فهم عقيدة الصلب لأنه يعلم أنها ضد كل عقل ومنطق لذلك لما سأله اليونانيون أن يبرهن لهم على صحة هذه العقيدة عقلياً وهم الذين تشبعوا بروح المنطق فعجز عن ذلك لجأ إلى هذا الأمر مبيناً أن الجهالة في هذه الحالة أسلم وأفضل ونسب إلى الله أنه قد فضل جهال العالم على حكمائه وفضل الجهل على الحكمة .

ثانيا: ومن ناحية التكاليف التى أمر بها الإنجيل فقد ثبت أن الإنجيل قد أمر ببعض التكاليف التى تتناقض مع عقل الإنسان والتى يحيل العقل البشرى السليم صدورها عن الله . سواءً أكانت فى جانب العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق وقد سبق تفصيلها فى الباب الأول .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك من أمور العقيدة التى جاءت فى الإنجيل العقيدة فى الإله التى تعتبر حجر الزاوية فى أى دين فقد ثبت أنها جاءت فى الإنجيل متناقضة مع العقل البشرى باعتراف الكثير من علماء النصارى وقد حاول المدافعون عنها أن يجدوا لها مخرجاً بعد اعترافهم بأن العقل لا يقبلها فوجدوا أن الحل هو الادعاء بأن هذه العقيدة تسمو على إدراك العقل محتجين بقصور عقل الإنسان كما قال صاحب كتاب (الله ذاته ونوع وحدانيته) .

يقول : ((وقصارى القول أنه أمام الإعلان الإلهى أن وحدانية الله هى وحدانية جامعة مانعة لا يجد العقل مجالاً للاعتراض وإن اعترض بشىء فلا يمكن أن يقول سوى أن هذا الإعلان يسمو فوق إدراكه وهذا حق لا شك فيه لأن الله لا شبيه له أو نظير ولايمكن الإحاطة به على الإطلاق ومع كل فإن هذا الإعلان وإن كان يسمو فوق يسمو فوق إدراك العقل فإنه لا يتعارض معه)) [١٥].

ويقول آخر بعد أن عرض عقيدة الإله فى الإنجيل وحاول الدفاع عنها ... ((على أنه من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة)) [١٦].

وقد بين الإمام ابن تيمية[١٧] استحالة قبول العقل لهذه العقيدة لأنها تتعارض معه لا أنها تسمو فوق إدراكه فبعد أن هاجم مفهوم النصارى للعقيدة فى الإله واستحالتها عقلياً مفنداً كل حججهم مبيناً أن هناك فرقاً كبيراً بين ما يتعارض مع العقل وبين ما يسمو فوق إدراكه فقال فى كلام طويل : ((وبالجملة فأى مثل ضربوه للاتحاد ـ (أى اتحاد المسيح مع الله) - كان حجة عليهم وظهر به فساد قولهم وإن قالوا هذا أمر لا يعقل بل هو فوق العقول كان الجواب من وجهين .

أحدهما : أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته .

فالأول من محالات العقول والثانى من محارات العقول والرسل يخبرون بالثانى وأما الأول فلا يقوله إلا كاذب ولو جاز أن يقول هذا لجاز أن يقال إن الجسم الواحد يكون

أبيض أسود فى حال واحدة وأنه بعينه يكون فى مكانين وأن الشيء الواحد يكون موجوداً معدوماً في حال واحدة وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه وقول النصارى مما يعلم بصريح العقل أنه باطل ليس هو مما يعجز عن تصوره يوضح هذا أنه لو قال قائل فى مريم أم المسيح أنها امرأة الله وزوجته وأنه نكحها نكاحاً عقلياً كما يقولون إن المسيح ولده ولادة عقلية لم يكن هذا القول أفسد فى العقل من قولهم فى المسيح ... وهم يكفرون من يقول ذلك ويحتجون بالعقل على فساده وإذا قال هذا فوق العقل لم يقبلوه وكذلك كل طائفة من طوائفهم احتجت على الأخرى بالعقل وإن قالوا هذا فوق العقل لم يقبل منهم هذا الجواب فإن كان هذا جواباً صحيحاً فيجب ألا يبحث فى أى شيء من الإلهيات بالعقل بل يقول كل مبطل ما يشاء من الباطل ويقول كلامي فوق العقل .

الوجه الثانى : أن يقال ما يعجز العقل عن تصوره إذا أخبرت به الأنبياء عليهم السلام قبل منهم لأنهم يعلمون ما يعجز عنه غيرهم من معرفته وهذه الأقوال لم يقل الأنبياء شيئاً منها بل نفس فرق النصارى قالوها بآرائهم وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب فيقال لمن قالها منهم أنت تتصور ما تقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله

فإن قال لا أتصور ما أقول ولا أفقهه ولا أعقله قيل له فقد قلت على الله مالا تعلم وقفوت ما ليس لك به علم ومن أعظم القبائح المحرمة فى جميع الشرائع أن يقول الإنسان برأيه على الله قولاً لا يتصوره ولا يفهمه وجميع العقلاء يعلمون أن من قال قولاً وهو لايتصوره ولا يفقهه فإن قوله مردود عليه غير مقبول منه وان قوله من الباطل المذموم . وإن قال قائلهم إنى أفقه ما أقول وأتصوره وأعقله قيل له بينه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره ولا تقل هو فوق العقل بل هو قول قد عقلته وفقهته وهذا تقسيم لا محيد عنه)) (١٨)

ويقول الإمام ابن حزم(١٩) مبيناً استحالة قبول عقل الإنسان لعقيدة التثليث هذه التى جاءت فى الإنجيل : ((ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه إذ يقول تعالى :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ... ﴾.(٢٠)

وإذ يقول تعالى حاكياً عنهم قولهم ﴿... إن الله ثالث ثلاثة ...﴾(٢١) وإذ يقول تعالى :

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾(٢٢).

لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلاً يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان))(٢٣).

ويقول الإمام ابن القيم (٢٤) ((إن دين الأمة الصليبية بعد أن بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة مبنى على معاندة العقول والشرائع وتنقص إله العالمين ورميه بالعظائم . فكل نصرانى لا يأخذ بحظه من هذه البلية فليس بنصرانى على الحقيقة أفليس هو الدين الذى أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة وأن الثلاثة واحد ؟

فيا عجباً !! كيف رضى العاقل أن يكون هذا مبلغ عقله ومنتهى علمه ؟!)) (٢٥)

وتساءل منشداً شعراً يوقظ فيه العقل ليبحث ويفكر .

أعباد المسيح لنا سؤال ** نريد جوابه ممن وعاه

إذا مات الإله بصنع قوم ** أماتوه فما هذا الإله

وهل أرضاه ما نالوه منه ** فبشراهم إذا نالوا رضاه

وإن سخط الذى نعلوه فيه ** فقوتهم إذاً أوهنت قواه

وهل بقى الوجود بلا إله ** سميع يستجيب لمن دعاه

وهل خلت العوالم من إله ** يدبرها وقد سمرت يداه (٢٦).

إذن فقد جاء الإنجيل بتكاليف تتناقض مع العقل مما يدل على عدم تقديره للعقل المكلف بها .

ثالثاً : ومن ناحية تعارض بعض نصوص الإنجيل مع حقائق العلم فقد ثبت أن الإنجيل ذكر أموراً تتناقض مع الحقائق التى وصل إليها العلم البشرى والتى وصل فيها إلى درجة اليقين كما تقدم فى الباب الأول حيث أنه بمطالعتنا للإنجيل ((ما نكاد نفتح الصفحة الأولى منه حتى نجد أنفسنا دفعــة واحدة فى مشكلة خطيـــرة ونعنى بها شجرة أنساب المسيح وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا وأن ـــهذا الأخيـر يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)) (٢٧)،(٢٨) .

رابعاً : ومن ناحية تناقض نصوص الإنجيل مع بعضها . فقد جاءت فى الإنجيل نصوص يناقض بعضها بعضاً وهذا مما يدل على التقليل من شأن العقل المخاطب بهذا الإنجيل ومن العجب أن البعض يجعل من هذا التناقض دليلاً على نسبة هذا الكتاب إلى الله ففى الوقت الذى يبين القرآن أن عدم اختلاف آياته دليل على نسبته إلى الله يأتى البعض على العكس من ذلك فيجعل هذا التناقض فى الإنجيل دليلاً على نسبته إلى الله . كما قال القديس (يوحنا ذهبى الفم) ((إن ما يرى فى البشائر (الأناجيل) من الفرق هو أعظم البينات على صحتها لأنه لو كان اتفاق تام فى كل الأمور لكان أعداء الحق يقولون إن الكتبة قد تشاوروا أولاً واتفقوا على ما يكتبونه)) (٢٩)

فهو هنا يعترف بوجود بعض التناقض وعدم الاتفاق بين نصوص الكتاب المقدس . بخلاف من يجزم بعدم وجود أى اختلاف أو تناقض بين نصوص الكتاب وأسفاره ويحكم بالتناسق والتوافق بينها فيقول ((الكتاب المقدس من أصل إلهى لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس وهذا يوضح لنا السر العجيب فى التناسق الكامل والتوافق الشامل الذى نجده بين أسفاره)) (٣٠)

ومهما يكن من أمر فإن التناقض واقع فى الإنجيل اعترف أصحابه به أم لم يعترفوا . ومن ابرز الأمثلة على ذلك ما وقع فى إنجيل يوحنا حيث ناقض الإنجيل نفسه حيث ((يتحدث يوحنا عن شهادة المسيح ولكنه يسوق حديثاً متناقضاً فمرة يذكر على لسان المسيح أن شهادته حق ومقبولة ومرة أخرى يذكر أنها غير مقبولة والمراد فى الحالتين شهادته لنفسه .

يقول إنجيل يوحنا على لسان المسيح ((إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً الذى يشهد لى هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق)) (٣١)

لكنه ينقض هذا الكلام بقوله عن المسيح أيضاً ((أجاب يسوع وقال إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب وأما أنتم فلا تعلمون من أين أتيت ولا إلى أين أذهب)) (٣٢)،(٣٣)))

وكما هو ظاهر فقد جمع الإنجيل الواحد بين النقيضين وإلا فكيف ((تكون شهادته حقاً وباطلة ومقبولة وغير مقبولة وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب إلى الله تعالى)) (٣٤)

ثالثا : التوراة فى الميزان

وعندما عرضت التوراة على نفس الميزان أيضاً تبين أن التوراة أتت فى بعض المواضع لم تحترم العقل فيها فقد اختلت فيها الشروط التى وضعت ويحكم بمقتضى توافرها في كتاب باحترامه للعقل وتفصيل هذا فيما يلي :

أولا : فمن ناحية النصوص التي جاءت تنقص من قدر العقل فقد ثبت أن التوراة حوت نصوصاً تزرى بالعقل وتنقص من قيمته مع قلتها بجانب النصوص الأخرى التى جاءت مادحة للعقل فقد وردت التسوية بين الحكمة وبين الحماقة والجهل كما ورد فى سفر الجامعة

تقول : ((ثم التفت لأنظر الحكمة والحماقة والجهل فما الإنسان الذى يأتى وراء الملك الذى قد نصبوه منذ زمان فرأيت أن الحكمة منفعة أكثر من الجهل كما أن للتوراة منفعة أكثر من الظلمة . الحكيم عيناه فى رأسه أما الجاهل فيسلك فى الظلام وعرفت أنا أيضاً أن حادثة واحدة تحدث لكليهما . فقلت في نفسي كما يحدث للجاهل كذلك يحدث لى أيضاً وإذن فلماذا أوفر حكمة فقلت فى قلبى هذا أيضا باطل لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل إلى الأبد كما منذ زمان كذا الأيام الآتية الكل ينسى . وكيف يموت الحكيم كالجاهل فكرهت الحياة لأنه ردىء عندى العمل الذى عملت تحت الشمس حيث أتركه للإنسان الذى يكون بعدى)) (٣٥).

فالتوراة تسوى فى العاقبة بين الحكمة والحماقة بعد أن بينت أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل .

ثانيا : ومن ناحية التعاليم التى جاءت فى التوراة . فقد اشتملت التوراة على ما يتعارض مع العقل عقيدة وشريعة وأخلاقاً . وقد سبق الحديث عنها بتفصيل فى الباب الأول .

فمثلاً جاءت التوراة بعقيدة فى الإله تتعارض مع العقل الإنسانى . تشبه الأساطير حيث ترسم صورة للإله لا تليق بذاته المقدسة .

حيث تصور الإله فى صورة من يتعب ويندم ويصارع البشر ويصارعونه فلا يستطيع التغلب عليهم (٣٦) كما سبق .

وجاءت فى التوراة شرائع لا يقبلها العقل الإنسانى تشتمل على خرافات وأوهام مثل شريعة الغيرة (٣٧) .

وفيها تعاليم أخلاقية لا يصدق العقل أن يكون الآمر بها هو الله مثل الأمر بالسرقة والكذب والخيانة (٣٨) .

وقد كان هذا الاضطراب العقلى فى تعاليم التوراة والمقارنة بينهما وبين القرآن سبباً فى إسلام عدد من اليهود منهم الدكتور أحمد سوسة (٣٩) الذى يقول مقارناً بين الإسلام واليهودية والنصرانية : - ((جاء الإسلام بعد الديانتين التوحيديتين منقحا موضحا للحقيقة معترفا بجوهر الديانتين السابقتين مشيراً إلى التحوير والأخطاء التى طرأت عليهما مضيفاً كثيراً من الإرشادات والتعاليم الروحية التى أرادها الله لعبادة المؤمنين واضعاً شريعة تحتوى على كل ما يتعلق بالمجتمع من أمور اجتماعية دينية اقتصادية سياسة ومن ذلك يتضح أن الإسلام لم يُظهر لهداية القبائل الوثنية فحسب وإنما جاء أيضاً لتوحيد الأديان ورفع الشكوك والارتباكات التى انطوت عليهـــا الديانتين اليهوديـــة و(المسيحية) وإرشاد أتباعهما إلى الدين الجديد)) (٤٠) .

ويقول أيضاً مبيناً تميز التعاليم الإسلامية التى جاء بها القرآن : ((الواقع أنه ليس من دين من أديان العالم البشرى حافظ على جوهره وقاعدة تعاليمه كالدين الإسلامى وهذا ما يمتاز به الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية .))(٤١) .

ثالثا : ومن ناحية موقف التوراة من حقائق العلم ومقرراته فإنه قد ثبت أن التوراة تحدثت عن موضوعات علمية تتناقض تماماً مع ما توصل إليه العلم التجريبى الذى وصل فيه إلى درجة اليقين وثبت خطأ التوراة فى حديثها عن هذه الموضوعات(٤٢) وهذا يعد استهانة بالعقل البشرى فحينما تخبر التوراة عن أمور غير مقبولة علمياً تتعارض مع نتائج العقل البشرى ثم تطلب من هذا العقل بعد ذلك تصديق هذه الأمور فإن هذا يعد قهراً لهذا العقل فإما الحكم بعدم احترام التوراة للعقل أو الحكم بعدم صحة هذه النصوص وقد اعترف المجلس الثانى للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) بوجود أخطاء فى التوراة التى يستمد إيمانه منها بجانب الإنجيل فجاء فى البيان الصادر عنه : ((بالنظر للوضع الإنسانى السابق على الخلاص الذى وضعه المسيح تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان غير أن هذه الكتب تحتوى على شوائب وشيء من البطلان ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى)) (٤٣).

رابعا : ومن ناحية تناقض نصوص التوراة . فقد ثبت أن التوراة تحتوى على نصوص يناقض بعضها بعضا ويستحيل أن يكون الكلام الصادر عن الله-عز وجل-متناقضاً ومن الأمثلة على هذه المتناقضات-وهى كثيرة-ما جاءت فى سفر الخروج وسفر التثنية وسفر العدد من جهة وبين سفر حزقيال من جهة أخرى .

فقد جاء فى الأسفار الثلاثة الأول ما يفيد أن الله يأخذ الأبناء والأحفاد بذنب الآباء.

ففى سفر الخروج يصف الرب نفسه بأنه ((إله رحيم و رءوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف غافر الإثم والمعصية والخطية ولكنه لن يبرئ إبراء مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع))(٤٤).

وفى سفر العدد أيضاً يصف الرب نفسه فيقول :- ((الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع))(٤٥).

وفى سفر التثنية :- ((أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوننى)) (٤٦).

غير أنه قد جاء فى سفر حزقيال ما يتناقض مع هذا حيث يبين السفر أن الأبناء لا يحملون إثم الآباء بل إن كل نفس بما كسبت رهينة يقول سفر حزقيال :((وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياة يحيا النفس التى تخطئ هى تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا لا يموت)) . (٤٧)

وهذا هو الحق والعدل إذ ليس من العدل أن يحمل إنسان وزر عمل لم يكن له دخل فيه لذلك كان من القواعد المسلم بها فى كل الشرائع ألا تحمل نفس إثم غيرها .

قال تعالى فى القرآن الكريم ((أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى)) (٤٨).

وربما يختلط الأمر على أحد ويدعى أن فى القرآن مشابهة للتوراة فى جواز أن يحتمل الإنسان وزراً ارتكبه غيره ويقصد .آية سورة النحل ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغيرهم علم ألا ساء ما يزرون ﴾ (٤٩)

ويا بعد ما بين الاثنين فآية القرآن واضحة ومفسرة نفسها فالذى يحمل من أوزار غيره إنما يحمل نتيجة عمل كان هو سبباً فيه فالآية واضحة ((ومن أوزار الذين يضلونهم)) فهم السبب فى ضلالهم لا كما بينت آيات التوراة أن الأبناء يتحملون إثم ذنب لم يرتكبوه ولم يكن لهم دخل فيه ولماذا يصل أثر الذنب حتى الجيل الرابع ؟! إن هذا لظلم عظيم .

وقد اعترف بوجود هذا التناقض فى التوراة الفيلسوف اليهودى (سبينوزا) فقال ((ينفى صموئيل نفيا قاطعا أن الله يندم على قرار اتخذه (انظر صموئيل الأول ١٥ : ٢٩)(٥٠) ويؤكد ارميا عكس ذلك ، أى أن الله يندم على ما قرره من خير أو شر(انظر ارميا ١٨ : ٨، ١٠)(٥١)فما العمل ؟ ألا يتعارض هذان التصريحان تعارضا مباشرا ؟ وأى التصريحين يراد تفسيره تفسيرا مجازيا ؟

إن القضيتين كليتان متناقضتان ، تثبت إحداهما صراحة ما تنفيه الأخرى صراحة))(٥٢)

والخلاصة :

إنه بالنظر إلى القرآن والإنجيل والتوراة تبين أن القرآن تفرد من بين هذه الكتب باحترامه الكامل الشامل للعقل الإنسانى حيث قدره فأعطاه حقه فى التكريم نظرياً من حيث الآيات التى تحدثت عن العقل الإنسان مادحة له وآمرة بأعماله ومادحة أهله .

وعملياً من ناحية النظر إلى ما احتواه القرآن من تعاليم ومن حديث عن وظائف العقل وموافقته لنتائج العقول السليمة التى لا تجد غضاضة فى تقبل كل ما جاء به القرآن وأخبر عنه ولا تجد صعوبة فى فهمه وتدبره وكيف وقد بين القرآن نفسه أن من مقاصد إنزال القرآن تدبر الناس لآياته وتفهمه لها قال الله تعالى فى القرآن . ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ (٥٣).

أما الإنجيل والتوراة فهما شبيهان فى موقفهما من العقل فبالنظر إلى التوراة والإنجيل تبين أن احترامهما للعقل إنما كان فى الجانب النظرى فقط-مع اشتمالهما فى هذا الجانب على ما ينقص من قيمة العقل-أما فى الجانب العملى حين النظر فى محتويات هذين الكتابين تبين أنهما قد جاءا بما يتناقض مع العقل ويتصادم معه مما يعد مخالفة للآيات التى أمرت بإعمال العقل وجاءت الدعوة للتفكير وقد ظهر هذا حين تم وضع الكتابين فى ميزان الفصل والحكم وظهر عدم احترام هذين الكتابين للعقل الإنسانى الاحترام الأمثل وقد اعترف واحد من المؤمنين بالتوراة والإنجيل بهذه الحقيقة مع كثيرين مثله حينما عبر متسائلاً فى مقدمة كتاب له .

لماذا يشكو عدد غير قليل من عدم فهمهم للكتاب المقدس ؟

بل ولماذا نجد من يقرأ الكتاب المقدس ويستطيع أن يخرج منه متناقضات وأخطاء علمية وخلافه ؟ هل المشكلة هى فى الكتاب ؟ هل الكتاب يصعب فهمه ؟ هل الكتاب مضى زمنه ؟ أم المشكلة فى القارئ وفى خلفيته الثقافية ومفهومه عن الوحى ؟ (٥٤)

ومهما تكن الإجابة على هذه الأسئلة فقد وضحت بجلاء موقف هذه الكتب من العقل الإنسانى المخاطب بها حينما اعترفت بعدم فهم كثيرين للكتاب المقدس إنجيلاً وتوراة .

الهوامش

(١) الإمام الأكبر محمود شلتوت-الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ٤٢ (٣) [الأنبياء آية ٢٢].

(٤) [المؤمنون آية ٩٢] (٥) [سورة العنكبوت آية ٤٥] .

(٦) د. موريس بوكاى - دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة - ص١٣ .

(٧) د. محمد أحمد الغمراوى-الإسلام فى عصر العلم-ص٢١٢ .

(٨) محمد الصايم-قيمة العقل فى الإسلام-ص٧٩ .

(٩) [الحجر آية ٢٦] (١٠) الصافات من آية ١١

(١١) آل عمران من آية ٥٩]

(١٢) محمد الأمين الشنقيطى دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص١٧١

(١٣) سورة النساء آية ٨٢ (١٤) كورنثوس ١ : ١٧ - ٢٧

(١٥) عوض سمعان - الله ذاته ونوع وحدانيته - ص١٣٤ .

(١٦) يس منصور - رسالة التثليث والتوحيد -ص٣٢ .

(١٧) ابن تيمية . هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ولد بـ(حرّان) من بلاد الشام سنة ٦٦١ هـ وتوفى سنة ٧٢٨ هـ بدمشق عن سبعة وستين عاماً له مؤلفات كثيرة شهيرة وأثر عظيم فى الفكر الإسلامى . من أشهر كتبه درء تعارض العقل والنقل ،ومنهاج السنة النبوية ، وغيرها(مقدمة كتاب الفتاوى الكبرى لابن تيمية (للشيخ حسنين محمد مخلوف) مفتى الديار المصرية سابقاً .

(١٨) الإمام ابن تيمية-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح-ج٤ ص .

(١٩) سبقت ترجمته (٢٠) سورة المائدة من آية ١٧ ، وأيضا من آية٧٢

(٢١) سورة المائدة من آية ٧٣ (٢٢) سورة المائدة من آية ١١٦

(٢٣) الإمام ابن حزم-الفصل فى الملل والأهواء والنحل-ج١ ص٤٨

(٢٤) الإمام ابن القيم : هو شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ولد سنة (٦٧١) هـ تتلمذ على يد الإمام ابن تيمية وله مؤلفات كثيرة منها (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) و (الروح) ومدارج السالكين) وغيرها توفى عام (٧٥٢)هـ (من مقدمة كتاب هداية الحيارى ..)

(٢٥) الإمام ابن القيم - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان -ص٥٨٠ .

(٢٦) نفس المرجع ص٥٨١ .

(٢٧) د. موريس بوكاى-دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة-ص ١٣ .

(٢٨) سبق نقل النصين بطولهما فى صفحة ١١٥ ، ١١٦ .

(٢٩) كتاب (حل مشاكل الكتاب المقدس) القس منسى يوحنا ص١٥ ط مكتبة المحبة القاهرة -بدون تاريخ

(٣٠) القس كارل س وليامز-كتاب الأمور المتيقنة عندنا-ص٢٣ ط. المجمع العام لكنائس الله الجمهورية العربية المتحدة .

(٣١) [يوحنا ٥ : ٣١ ، ٣٢] . (٣٢) [يوحنا ٨ : ١٤ ، ١٥]

(٣٣) د. يحيى محمد ربيع-الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف-ص٢٧٩ بتصرف

(٣٤) أبو عبيدة الخزرجي - بين الإسلام والمسيحية تحقيق د . محمد شامة ص١٧٩ مكتبة وهبة

(٣٥) جامعة ٢ : ١٢ - ١٨ (٣٦) انظر ص : ١٥٤ ١٥٧,

(٣٧) راجع ص-١٥٩ ١٦٠, (٣٨) راجع ص - ١٦٤

(٣٩) هو باحث مهندس من العراق كان عضواً فى المجمع العلمى العراقى كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم توفى قبل سنوات قلائل-قالوا عن الإسلام- د. عماد الدين خليل ص ٧٠

(٤٠) د. أحمد سوسة-فى طريقى إلى الإسلام-ج١ ص٧١ نقلاً عن د. عماد الدين خليل-قالوا عن الإسلام ص٢٠٠ .

(٤١) نفس المرجع ص ٢٠١ (٤٢) راجع ص : ١٥١ , ١٥٢

(٤٣) نقلاً عن د. موريس بوكاى-ما أصل الإنسان-إجابات العلم والكتب المقدسة ص١٥٥ .

(٤٤) [٣٤: من ٦ و ٧] (٤٥) [عدد ١٤ : ١٨]

(٤٦) [تثنية ٥ : ٩] . (٤٧) [حزقيال ١٨ : ١٩-٢١]

(٤٨) سورة النجم آيات ٣٦- ٣٨ (٤٩) سورة النحل آية ٢٥

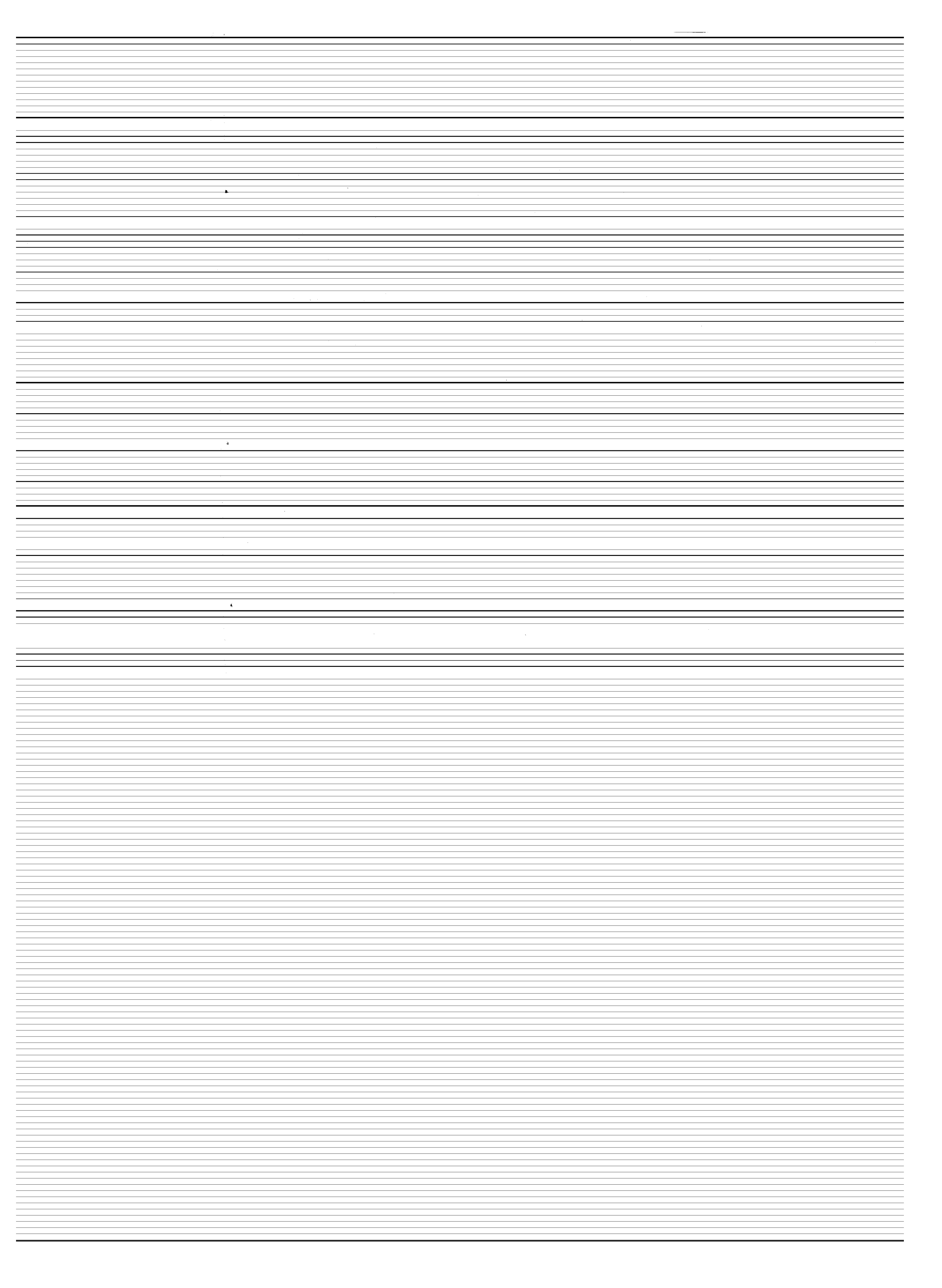
(٥٠) النص :((وأيضا نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنسانا ليندم))

(٥١) النص : ((تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها وتارة أتكلم على أنة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع لصوتى فأندم عن الخير الذى قلت إنى أحسن إليها به))

(٥٢) اسبينوزا رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٧٠

(٥٣) [سورة ص آية ٢٩] .

(٥٤) د. القس إكرام لمعي-كيف نفهم الكتاب المقدس-ط. لوجوس برنت سنتر هليوبوليس مصر الجديدة ١٩٩٣ .



خاتـــمة
(رحلـــة عقـل)

يطيب لى أن أثبت فى خاتمة البحث تجربة لرجل كان ذات يوم من المؤمنين بالتوراة والإنجيل كافرا بالقرآن وقد استعمل عقله ففكر وفكر فقاده التفكير إلى الكفر بالتوراة والإنجيل الموجودين بأيدى القوم وإلى الإيمان بالقرآن - وله أمثال كثيرون-وبهذه التجربة يظهر بجلاء موقف القرآن والإنجيل والتوراة من العقل وموقف العقل منها .

وصاحب التجربة كان رجلاً نصرانياً من نصارى مصر غير أنه قد اهتدى للإسلام وصار اسمه بعد إسلامه (محمد فؤاد الهاشمى) وألف كتاباً أسماه (الأديان فى كفة الميزان (وفى خاتمة الكتاب أثبت تجربته العقلية التى قادته إلى الإسلام تحت عنوان (الكفة الرابحة)

يقول فيها :-

((يولد الإنسان على دين آبائه ويشب على مبادئهم ويتربى جسمانياً وعقلانياً متشبعاً بآرائهم مؤتمراً بأمر دينهم وربما فاق قومه تطرفاً وزادهم تمسكاً بدينه حتى إذا شب عن الطوق وفى ساعة من ساعات الصفاء الروحى والحياد العقلى تأمل فيما يدين به وناقش ما يلقى عليه من تعاليم فتساوره بعض الشكوك ومن هنا تكون الشرارة الأولى التى تنطلق فتولد عنده الصراع الفكرى الذى يعتبر بداية التحرر مما قد يسميه فى ذلك الوقت متناقضات أو على الأقل ما يظنه متناقضات ثم تتطور تلك التى ظنها إلى مسائل تعتبر فى نظره شائكة تتطلب الحل فيضطر أمامها إلى البحث .

والتنقيب عن الحقائق وفى غمره البحث والتنقيب قد يطرق سمع ذلك الإنسان نداء يدعوه إلى اعتناق مبدأ من المبادئ أو دين من الأديان ، وبعد نظرة خاطفة إلى مظهر هذا الدين أو ذاك المبدأ يرفض هذا المبدأ و ذلك الدين وينفر ، بل يعرض ويفر منهما ، ويكون الرفض والفرار وسبب النفور والإعراض نتيجة تنسم رائحة التكليف المبنى على

الإرغام والإكراه على اعتناق هذا أو ذاك دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه ؛ لأنه من العسير على العقل الواعى والوجدان المتحرر والضمير اليقظ والإلهام الفطرى أن يطمئن لدين أو مبدأ يجبر معتنقيه على الإيمان به وذلك يخالف ما فطر عليه الإنسان من حرية التفكير والبحث فى كنه ما يدرى وما لا يدرى وما يريد أن يدرى .

وقد تطرأ على الإنسان الرغبة الملحة التى تبلغ به حد التطفل فيسترق السمع فى غفلة من دينه الذى ولد وشب عليه إلى صدى دعوة تدعو إلى دين آخر فإذا به قد وجد ضالته المنشودة وأصاب الهدف الذى يبحث عنه والغاية التى كان يحلم بأمل الوصول إليها بشتى الوسائل فيأخذ الدين الذى وافق هواه وحل جميع المسائل التى اعترضته وعالج جميع ما صادفه من مشاكل ووضع حداً للصراع الفكرى ، فيضطر إلى دراسة خفايا هذا الدين والبحث عن مدى جدية الدعوة الجديدة ومدى مقدرتها على موافقة الهوى الذى يكون قد استبد بذلك الإنسان الذى يريد أن يسير وراء عقله الفطرى حراً طليقاً دون النظر إلى الأبوة أوالبنوة أوالعشيرة أو الأموال التى تكون قد اضمحلت قيمتها أمام إلحاح الفطرة التى تدفع الإنسان دفعاً قوياً للبحث عن الحقائق . وكلما كانت الحقيقة التى يدعى الإنسان إلى الإيمان بها سلسة واضحة لا تعقيد فيها ولا تكليف ولا إكراه تحمل فى ظاهرها و باطنها ما يتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها خلقه ، كانت حقيقة غنية بوسائل الدعوة لنفسها و لمبادئها ويتهافت الناس على الإيمان بها لأنها لا تحتاج إلى دعاة يستعملون أساليب الكياسة والفطنة المدعمة بمعسول الألفاظ والمنطق الخلاب حتى يجروا المعتنقين إليها جراً ، ويجذبوا

المؤمنين إليها جذبا وذلك لأن الحقائق ليست بضاعة تتعلق بمطالب الجسد الترابى إنما هى مطلب الروح والعقل ؛ والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى لاالتواء فيها ولا دوران .

ومؤلف هذا الكتاب صادفته الحالات الثلاثة ودار فى فلكها واصطلى فى أتون الفكر ردحا من شبابه فقد ولد على دين من أديان أهل الكتاب ونشأ يقلد أبويه مترسماً خطى أجداده مؤدياً طقوسهم وشعائرهم حتى بلغ أشده ونال حظاً من علم الدنيا ، وُجه

إلى تعلم أسرار دينه ثم دفع به فى هذا المضمار وزج به فى طريق ينتهى به أن يكون دعامة من دعائم الدعوة لهذا الدين ورب قائداً من قادته .

وقادتنى الدراسة إلى إصاخة السمع إلى عدة نداءات وصلت إلى سمعى نتيجة الثغرات التى أوجدتها الريبة والشك .

فيما لم يستطيع العقل قبوله وما لم يطمئن إليه الضمير لحظة الطهر الوجدانى مما أدرسه أو مما أعد لتحمله من المهام فكان لتلك النداءات حظ من الإنصات الذى أعقبه التفكير في الأديان السابقة على دينى فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث وجدت بعد التمحيص أن أغلال دينى أخف وطأة من قيود ما سبقه من الأديان من نواحى التكليف والإكراه والإرغام نتيجة الطغيان الكهنوتى والكنسى .

وبعد أن أكملت دراستى ولم أكن قد أصبت ما رمت إليه وما أتعبنى الكد فى البحث عنه تحولت إلى البحث فى الدين الإسلامى وفى هذه المرة لم تكن بغيتى الفرار من دينى ولكن كان قصدى من البحث فى الإسلام استخراج العيوب وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التى أوحى إلى بها من أساتذتى وأهلى ، ولكن ما كدت أطرق الباب وأمسك بأول الخيط حتى دخلت باب المقارنة بين ذلك الدين وما سبقه من الأديان وخرجت من تلك المقارنة وقد استولى على سحر الحقيقة الناصعة والمبادئ الوضاءة والتعاليم الصريحة .

لا اعوجاج فيها ولا التواء ولا سلطان لكاهن ولا سلطة لكنيسة ولا طغيان لأحبار وجدت لكل سؤال جواباً شافياً ووجدت فصل الخطاب فيما لا يستطيع أى دين سابق سواء كان وضعياً أو منحدراً من الأديان السماوية أو مبدأ من المبادئ الفلسفية وقولى منحدراً يرجع إلى انحدار الديانات على يد رجال الدين الذين خرجوا بها عما جاءت من أجله . ما لم يستطع كل هؤلاء أن يعطونى جواباً عنه فيه إقناع أو اقتناع .

وجدت أن ما زعموه فى الإسلام عيوباً مزايا ، وما ظنوه متناقضات حكماً و أحكاماً وشرائع فصلت لأولى الألباب ، وأن ما عابوه على الإسلام كان علاجاً للبشرية التى طالما ترددت فى بيداء الظلمات حتى أخرجها الإسلام من الظلمات إلى النور وهدى الناس بإذن

ربهم إلى صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا ودخلوا بالناس أبواباً من الكفر والشرك والإلحاد .

وجدت الإسلام قد أخرج أسراباً من شبه الجزيرة عاشوا فى بيداء الشرك والوثنية إلى التوحيد الخالص دون اصطدام مع الفطرة أو واقع الحياة و الطبيعة البشرية مما جعل الإسلام يأخذ بلبى ويقبض على لبابتى ، ومن واضح أحكامه ونور تعاليمه وصدق رسالته حملنى على الإيمان به والتصديق بما جاء به محمد ﷺ فانقدت إليه دون إكراه أو ضغط أو إغراء ولكنى آمنت به عن تعقل وتفكر ودراسة وتمحيص وتطلع ومراجعة وبحث والحمد لله .الذى أنعم على بنعمة الإيمان بدين قال الله فى حقه :-

﴿ إن الدين عند الله الإسلام........ ﴾ . (١))(٢)

(١) سورة آل عمران من آية ١٩

(٢) محمد فؤاد الهاشمى _ الأديان فى كفة الميزان ص ١٧٨ - ١٨١

نتائج البحث

لقد توصلت في هذا البحث إلى :

١- أن القرآن الكريم قد أنزل العقل منزلة عظيمة حيث ظهر احترام القرآن للعقل اضحاً جلياً من خلال الآيات التى نزلت تمتدح العقل البشرى .

٢- أن القرآن الكريم قد حافظ على العقل البشرى لأهميته فحرم ما يعطله عن وظيفته من كل مسكر ومفتر .

٣- أن القرآن الكريم قد حارب كل ما يمنع العقل من أداء مهمته من تقليد للغير تقليداً أعمى من غير بينة ومن تبعية عمياء للسادة والكبراء وإن كانوا من علماء الدين . ومن اتباع للهوى واتباع للظن .

٤- أن القرآن قد توافق مع حقائق العلم التى توصل إليها العقل البشرى ووصل فيها إلى درجة اليقين .

٥- أن تعاليم القرآن من عقيدة وشريعة وأخلاق . جاءت موافقة لعقل الإنسان يفهمها ويقبلها . ويستطيع أن يقوم بأدائها .

٦- أن الإنجيل قد تناقض موقفه من العقل حيث مدح الإنجيل العقل فى آيات ظهر احترامه للعقل فيها وذمه فى آيات أخرى .

٧- وظهر أيضاً تناقض الإنجيل فى موقفه من الخمر التى تغيبه وتعطله فحرمه ونهى عنها فى آيات وأحلها فى أخرى .

٨- أن الإنجيل قد توافقت بعض آياته مع العلم الذى توصل إليه العقل البشرى . وتعارضت بعضها معه .

٩- أن الإنجيل قد جاء ببعض التعاليم التى تتعارض مع العقل البشرى وكلفه بها باعتراف أهله المؤمنين به

١٠- أن التوراة قد تناقض موقفها من العقل مثل - الإنجيل تماماً -. حيث مدحت العقل في بعض النصوص . ونقصت من قيمته فى أخرى

١١- وظهر كذلك تناقض التوراة فى موقفها من الخمر التى تغيب العقل فحرمتها فى بعض النصوص وأحلتها في أخرى .

١٢- وظهر تناقض التوراة مع العلم الذى توصل إليه الإنسان بعقله ووصل فيه إلى درجة اليقين

١٣- ان التعاليم التى أمرت بها التوراة قد جاء بعضها متعارضا مع العقل الإنسانى عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

التوصيات

في نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى توصيات عدة _ خاصة لمن يهمه أمر هذا الموضوع.

- وأبدأ بأهل القرآن موصيا إياهم أن يتنبهوا إلى المعين الذى لا ينضب إلى القرآن الكريم لينهلوا من كنوزه ويعلموا كيف حافظ على العقل الإنسانى وأرشده إلى كل ألوان الهداية التى تقوده إلى بر الأمان فى دنياه وأخراه .
- وأوصيهم أن يتنبهوا إلى ما يدسه أعداء الإسلام من مطاعن وشبهات ليخذلوا المسلمين عن نصرة كتابهم وقضاياهم . ويصرفوهم عن الكنز الثمين الذى وهبهم إياه خالق الأرض والسماء .
- كما أوصي - مشفقا - المستشرقين المتعصبين وأذنابهم أن يريحوا أنفسهم من عناء محاولة تشويه القرآن لصرف المسلمين عنه إنهم حين يحاولون ذلك يصيرون:

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فما وهاها وأوهى قرنه الوعل

فإنه محفوظ بحفظ الله تعالي له قال الله - تعالى - فى قرآنه الكريم :-

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾(١)

- ووصيتي إلى أهل التوراة والإنجيل هى أن يحكموا عقولهم بعد أن يخلصوها من أمراضها ويزيلوا عنها الحجب والموانع ويتفكروا ويتدبروا وينظروا بعين العقل إلى كتبهم التى بين أيديهم وينظروا إلى القرآن الكريم ويقارنوا بينها ويفعلوا كما نصح القرآن قوما سبقوهم كانوا على مثل حالتهم فقال مرشدا لهم ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾(٢)

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة سبأ آية ٤٦

إنها دعوة للتفكر والتدبر لإعمال العقل ولكن بعد تخليصه من الحجب التى تعوقه عن عمله وتمنعه من أداء وظيفته . حتى ينطلق ليصل إلى الحق الذى لن يستطيع أحد أن يمنعه منه لو خلى وشأنه .

وقفة شكر لإتمام البحث

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبحمده وشكره تختتم القربات .

وبعد ..

ففى ختام هذا البحث لا يسعنى إلا أن أسجد لله سبحانه..

شكرا على منته وفضله أن وفق لتمامه على تواضع حاله ورقة موضوعه غير أن هذا هو دأب البشر وديدنهم ..

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجبر كل تقصير وسهو وأن يوفقنا والمسلمين جميعا لما يحبه ويرضاه . وأسأله سبحانه أن يجعل هذا الجهد فى ميزان حسناتى يوم ألقاه..

إنه سبحانه هو ولى ذلك والقادرعليه

والله من وراء القصد والحمد لله أولاً وآخراً

الباحث

المراجـــع

أولاً القرآن الكريم :

كتاب الله الخالد

ثانياً : كتب التفسير وعلوم القرآن

- الأساس فى التفسير - سعيد حوى ط. دار السلام ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٩م .
- البحر المحيط-أبو حيان الأندلسى-ط. دار الفكر ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
- التبيان فى علوم القرآن-محمد على الصابونى . مكتبة الصابونى الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م
- تفسير المنار-محمد رشيد رضا . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٢ م
- جامع البيان فى تأويل آى القرآن-ابن جرير الطبرى . ط . مصطفى البابى الحلبى
- الجامع لأحكام القرآن-الإمام القرطبى-ط. دار الريان للتراث.
- روح المعانى - شهاب الدين السيد محمود الآلوسى . ط. إدارة الطباعة المنيرية
- فى ظلال القرآن-سيد قطب-ط. دار الشروق الطبعة . الثالثة عشر ١٩٧٨م ، ١٤٠٧هـ .
- مباحث فى علوم القرآن د. مناع القطان-طباعة مكتبة وهبة ط. السادسة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
- مباحث فى علوم القرآن د. صبحى الصالح-ط. دار العلم للملايين بيروت الطبعة. الثانية عشر.
- مفاتح الغيب-الفخر الرازى-ط. دار الفكر الطبعة. الثالثة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م
- مناهل العرفان ذمحمد عبد العظيم الزرقانى-دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .
- الوجوه والنظائر-الحسين بن محمد الدامغانى-ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ثالثاً: كتب السنة

- صحيح البخاري-أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري-ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٨ .
- صحيح مسلم-أبو الحسن مسلم ابن الحجاج النيسابوري . دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٣٧٥ه ، ١٩٥٥م
- صحيح ابن حبان . دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
- سنن ابن ماجة ط . عيسى البابي الحلبي
- سنن أبو داود . ط دار الحديث سوريا الطبعة الأولى ١٣٩٣ه ، ١٩٧٣م
- سنن الترمذي . ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٣ه، ١٩٦٢م
- سنن النسائي ط دار الفكر . بيروت الطبعة الأولى ١٣٤٨ه ، ١٩٣٠م

رابعاً: الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى وتفاسيرها.

* الكتاب المقدس ((العهد القديم والجديد)) . دار الكتاب المقدس - مصر
* تفسير بشارة يوحنا-وليم باركلي-ترجمة د/ عزت زكي .
* تفسير العهد الجديد-وليم باركلي-ترجمة القس فايز فارس-دار الثقافة المسيحية دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية .
* تفسير العهد الجديد رسالة رومية-وليم باركلي-ترجمة القس منيس عبد النور ط.دار الثقافة .
* دائرة المعارف الكتابية مجلس التحرير الدكتور القس صموئيل حبيب ، الدكتور القس فايز فارس ،القس منيس عبد النور ، جوزيف صابر ط دار الثقافة _ القاهرة.
* السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم _ وليم مارش ط مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت عام ١٩٧٣ م
* فهرس الكتاب المقدس إشراف د .جورج بوست دار الثقافة القاهرة

* الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل – وليم إدى ط مجمع كنائس الشرق الأدنى
بيروت عام ١٩٧٣ م
* معجم اللاهوت الكتابى ط دار المشرق – الطبعة الثانية

خامساً: كتب اللغة والمعاجم :

– التعريفات : السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجانى – ط مصطفى البابى الحلبى . القاهرة
– ديوان المتنبى – شعر المتنبى – مكتبة مصر للطباعة والنشر
– الشوقيات – ديوان شعر أحمد شوقى ط .مكتبة مصر
– العين–الخليل ابن أحمد الفراهيدى–تحقيق د. مجدى المخزومى–إبراهيم السامرائى ط. دار الرشيد للنشر – العراق .
– القاموس المحيط–الفيروز أبادى–ط. دار الفكر ١٩٩٥ م.
– كشاف اصطلاح العلوم والفنون–محمد بن على التهانوى–دار صادر– بيروت
–لسان العرب–ابن منظور–ط. دار المعارف القاهرة .
– مختار الصحاح–محمد ابن أبى بكر الرازى–ط. دار المعارف .
– المصباح المنير–الفيومى–ط. المطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة السادسة . ١٩٢٥م .
– معجم الألفاظ والأعلام القرآنية–محمد إسماعيل إبراهيم–ط. دار الفكر العربى .
– المعجم الفلسفى – د. جميل صليبا – ط. دار الكتاب اللبنانى بيروت الطبعة. الأولى ١٩٧٣.م
– معجم متن اللغة–الشيخ أحمد رضا–ط. دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠.
– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم–محمد فؤاد عبد الباقى–ط. دار الحديث القاهرة ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
– المورد–منير البعلبكى–بيروت الطبعة. الثامنة والعشرون ١٩٩٤م .

سادسا : مراجع عامة

(أ)

* الأديان فى كفة الميزان-محمد فؤاد الهاشمى . دار الكتاب العربى بمصر
* أديان العالم -حبيب سعيد -دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة
* الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام د/ على عبد الواحد وافى . ط . دار نهضة مصر للطبع والنشر
* الإسلام-أحمد شلبى-ط . دار النهضة العربية .
* الإسلام عقيدة وشريعة-محمود شلتوت ط . دار الشروق .
* الإسلام فى عصر العلم د/ محمد أحمد الغمراوى ط. دار الإنسان ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .
* الإسلام يقيناً لا تلقيناً د/ صابر طعيمة-دار الجيل الجديد بيروت ط. الثانية ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥ .
* أسواق الذهب-أحمد شوقى .
* أضواء على اليهودية - د/ محمد أبو الفتوح . بدون تاريخ .
* الإعجاز الفكرى فى القرآن د/ السيد الجميلى-دار ابن زيدون لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٦م .
* الأعمال الكاملة ذللإمام محمد عبده-تحقيق د. محمد عمارة ط . دار الشروق .
* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان-الإمام ابن القيم-دار التراث . القاهرة .
* (الله ذاته ونوع ووحدانيته) - عوض سمعان -
* (الله واحد أم ثالوث) - محمد مجدى مرجان- دار النهضة المصرية
* الأمور المتيقنة عندنا - كارل .س. وليمز- ط. المجمع العام لكنائس الله . الجمهورية العربية المتحدة .

(ب)

* البراهين الجلية فى العقائد المسيحية-عوض جرجس-
* البرهان الصحيح على ألوهية المسيح-الأب يوسف لويس-المطبعة التجارية الحديثة-
* بين الإسلام والمسيحية-أبو عبيدة الخزرجي-تحقيق د . محمد شامة
طبعة مكتبة وهبة . الطبعة: الثانية .
* بين الدين والعلم-عبد الرازق نوفل . مكتبة وهبة . الطبعة الأولى

(ت)

* تجديد الفكر الدينى فى الإسلام -محمد إقبال - ترجمة عباس محمود
ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨
* تحت راية القرآن-مصطفى صادق الرافعى-ط. دار الإيمان المنصورة طبعة. أولى
١٤١٧هـ، ١٩٩٦ .
* تحريم الخمر فى الديانة المسيحية-الشماس/ صادق إلياس .
* تراث الإسلام-للمستشرق الألمانى لويس شاخت- ط. سلسلة عالم المعرفة بالكويت.
* التشريع الجنائى فى الإسلام-عبد القادر عودة-ط. مؤسسة الرسالة بيروت
١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م
* التفكير فريضة إسلامية-عباس محمود العقاد ط. دار الرشاد الحديثة-الطبعة. السادسة
* تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية - الشيخ مصطفى عبد الرازق لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٣هـ ١٩٤٤م
* تهافت العلمانية د/ عماد الدين خليل ط. مؤسسة الرسالة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م

(ج)

*الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- الإمام أحمد عبد الحليم ابن تيمية .

(ح)

* حضارة العرب-غوستاف لوبون-ط.الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة .
* حقائق الإسلام وأباطيل خصومه-عباس محمود العقاد .-ط.الهيئة العامة للكتاب مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩ م
* حقائق وأباطيل حول اعجاز القرآن-د/ على البدرى . دار الكتاب الجامعى
* حل مشاكل الكتاب المقدس- القس منسى يوحنا- ط. مكتبة المحبة بالقاهرة
* الحيوان -الجاحظ _ تحقيق أ. عبد السلام هارون.مكتبة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية

(خ)

* الخصائص العامة للإسلام-د/ يوسف القرضاوى-ط. مكتبة وهبة .

(د)

* دائرة معارف القرن العشرين-محمد فريد وجدى-ط. دار الفكر .
* دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة-موريس بوكاى-ط. دار المعارف . طبعة. رابعة عام ١٩٧٧م .
* دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - محمد الأمين الجكنى الشنقيطى ط . مكتبة ابن تيمية . القاهرة
* الدين-محمد عبد الله دراز-ط. دار القلم الكويت ط.٤ ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
* الدين والعلم-عبد الرازق نوفل- .

(ر)

* رد بعض شبهات أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم-د/ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ط. وزارة الأوقاف المصرية ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٣م .
* رسالة التثليث والتوحيد-ياسين منصور-مطبعة الإسكندرية ط. الثالثة ١٩٦٧م

* رسالة فى اللاهوت والسياسة - باروخ اسبينوزا _ ترجمة د. حسن حنفى ط. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م
* روح الدين الإسلامي-عفيف طبارة-ط. دار العلم للملايين .

(س)

* السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- الشيخ محمد الغزالى-ط. دار الشروق ١٠.ل .

(ش)

* شبهات وهمية حول الكتاب المقدس-د/ القس منيس عبد النور-- كنيسة قصر الدوبارة القاهرة .

(ظ)

* ظلام من الغرب- الشيخ محمد الغزالى-ط. دار الاعتصام .

(ع)

* عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه ذصموئيل مشرقى-ط. دار الكتب المصرية.
* عقائد أساسية-مدخل فى علم اللاهوت المسيحى-دونالد ديمارى ترجمة شاكر إبراهيم-مكتبة النيل المسيحية .
* العقائد الإسلامية-السيد سابق-دار الفتح للإعلام العربى ط. العاشرة ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠ .
* العقد الفريد - ابن عبد ربه - دار الكتاب العربى . بيروت ١٩٨٣ م
* العقل والدين-وليم جيمس-لجنة التأليف والنشر والترجمة .
* العقيدة والشريعة فى الإسلام - جولد تسيهر ترجمة د. محمد يوسف موسى ، د. عبد العزيز عبد الحق ، د. على حسن عبد القادر . دار الكاتب المصرى
* العقل والعلم-د/ يوسف القرضاوى-ط. مكتبة وهبة ٢٠٠٠م.

* عقيدة ختم النبوة د/ عثمان عبد المنعم عيش-ط. مكتبة الأزهر الطبعة. الأولى ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.
* العلم يشهد-بيترو ستونر-ترجمة أنيس إبراهيم-ط. دار الثقافة.
* علم اللاهوت الكتابى -جرهاردوش فوس- ترجمة :عزت زكى داز الثقافة القاهرة.

(ف)

* الفصل فى الملل والأهواء والنحل-ابن حزم. مكتبة السلام العالمية
* فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال-ابن رشد-بدون تاريخ.
* فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين-محمد عزت الطهطاوى-ط. مكتبة دار التراث القاهرة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(ق)

* قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل-ط. دار الندوة العالمية للشباب الإسلامى- الرياض ط. أولى ١٤١٢هـ.
* القرآن العظيم هدايته وإعجازه _ محمد الصادق عرجون. مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٩٦٦م
* القرآن وإعجازه التشريعى-محمد إسماعيل إبراهيم. دار الفكر العربى
* القرآن والكون د/ محمد عبد الله الشرقاوى ط. دار الجيل. بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٩١م
* القرآن وقضايا الإنسان د/ عائشة عبد الرحمن-ط. دار العلم للملايين.
* القرآن والنظر العقلى د/ فاطمة إسماعيل محمد-ط. المعهد العالمى للفكر الإسلامى الطبعة. الثانية ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
* قصة الإيمان بين الفلسفة و العلم و القرآن- الشيخ نديم الجسر.
* قصة الحضارة-ول ديورانت-ترجمة د/ محمد بدران-ط. دار الجيل بيروت.
* قيمة العقل فى الإسلام - محمد الصايم _ مكتبة الزهراء. القاهرة

(ك)

* الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث-هنرى موريس-ترجمة نظير عريان مكتبة المحبة .
* الكليات-أبو البقاء الكفورى-ط. وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥م .
* الكون والإعجاز العلمى للقرآن-منصور حسب النبى-ط. دار الفكر العربى .
* كيف نفهم الكتاب المقدس _ القس إكرام لمعى - ط. (لوجوس برنت سنتر) مصر الجديدة .القاهرة ١٩٩٣

(ل)

* لماذا أسلم هؤلاء القساوسة-الشوادفى الباز-مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(م)

* ما اصل الانسان ؟ اجابات العلم والكتب المقدسة - موريس بوكاى - ط. مكتب التربية العربى لدول الخليج .الرياض ١٩٨٥م-١٤٠٦هـ
* المجموع وتكملته- الإمام النووى و محمد بخيت المطيعى ط. مكتبة الإرشاد جدة .
* محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن إبراهيم خليل أحمد دار المنار. القاهرة
* المسيح إنسان أم إله-محمد مجدى مرجان-ط. دار النهضة العربية .
* المستشرقون - نجيب العقيقى ط دار المعارف الطبعة الرابعة .
* معيار العلم فى فن المنطق - الإمام أبو حامد الغزالى مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٩هـ
* مقارنة الأديان بين الإسلام واليهودية د. عوض الله جاد حجازى ط.دار الطباعة المحمدية بالأزهر- القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م
* مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون دار القلم - بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ

* المنطق ومناهج البحث-مدخل نقدى-د/ محمد عبد الله الشرقاوى ط. دار النهضة للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .

* الموافقات فى أصول الأحكام-الإمام ابن إسحاق الشاطبى-ط. دار إحياء الكتب العربية

* الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تحت اشراف د مانع الجهنى ط. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر .

(هـ)

* هذا حلال وهذا حرام-عبد القادر أحمد عطا-دار الاعتصام القاهرة .

* هل الكتاب المقدس كلام الله - الشيخ أحمد ديدات - دار المختار الإسلامى طبعة ١٩٩٩م

(و)

* وجود الله-د/ يوسف القرضاوى-ط. مكتبة وهبة .

* الوجوه والنظائر - الحسين بن محمد الدامغانى _ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة - ١٩٩٢

(ى)

* اليهودية-أحمد شلبى-ط. دار النهضة العربية ط. الثانية ١٩٩٧م .

سابعا : رسائل جامعية (ماجستير و دكتوراه)

* أثر القرآن فى تحرير العقل و الفكر الإنسانى (رسالة دكتوراه)د . عبد الفتاح محمد عبد الكريم العزب من كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

* الأسفار التاريخية فى العهد القديم. عرض و نقد (رسالة دكتوراه) د. صابر أحمد ط - من كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

* العقل ومكانته فى القرآن الكريم (رسالة ماجستير)د. سيد محمد منصور اللبان أصول الدين والدعوة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

* القرآن والنظر العقلى (رسالة ماجستير) فاطمة محمد إسماعيل - من كلية بنات عين شمس ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م

ثامنا : اسطوانات الحاسب الآلى (الكمبيوتر)

● **الكتاب المقدس:**

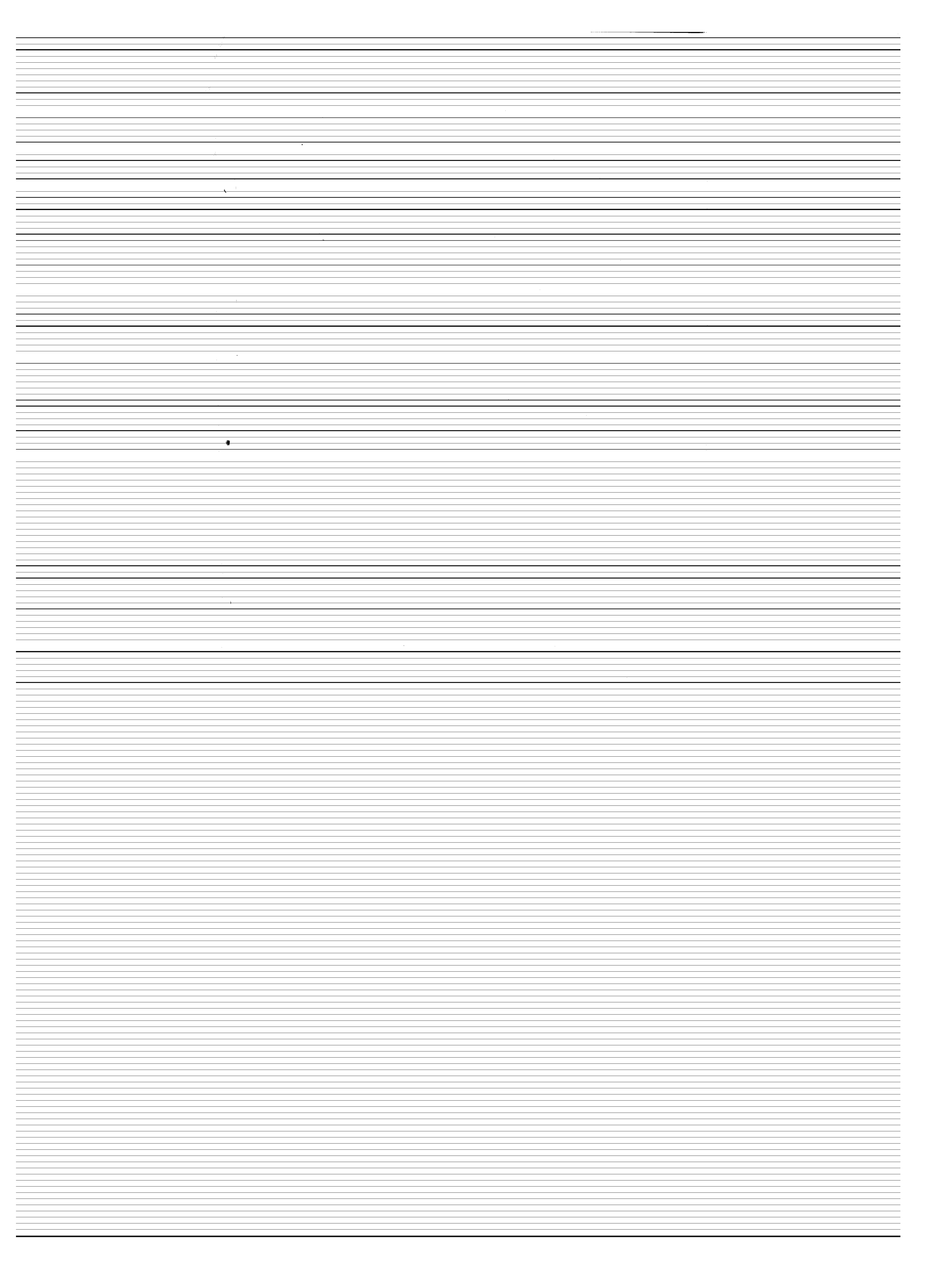
إصدار الكتاب المقدس بمصر

Arabic Holly Bible with KJV multimedia CD ROM version 2.2

* مكتبة العقائد : ر مركز التراث للحاسب الآلى طبعة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م عمان - الأردن ، و القاهرة.

* برنامج المحدث من موقع المحدث على الإنترنت

www.muhaddith.com



الفهرس العـــام

